

العقود الفريدة

تأليف

الفيقيه احمد بن محمد بن عبد الله الاندلسي

المتوفى سنة ٥٢٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العرابي

الجزء الرابع

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

كِتَابُ الْعِجْدَةِ

فِي كَلَامِ الْأَعْرَابِ

فرش كتاب العجدة

- قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النسب الذي هو سبب التعارف ، وسلم إلى التواصل ، وفي تفضيل العرب ، وفي كلام بعض الشعوية :
ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كلام الأعراب خاصة : إذ كان أشرف الكلام حسبا ، وأكثره رونقا ، وأحسنه ديباجا ، وأقله كلفة ، وأوضحه طريقة : وإذا كان مدار الكلام كله عليه ، ومُنْتَسَبُهُ إليه .

- قال رجل من منقر : تكلم خالد بن صفوان بكلام في صلح لم يسمع الناس كلاما قبله مثله ، وإذا بأعرابي في بَت ، ما في رجله حذاء ، فأجابه بكلام وددت أني متُّ قبل أن أسمعه ، فلما رأى خالد ما نزل بي قال لي : ويحك ! كيف نجاريهم وإنما نحكيهم ؟ أم كيف نسايقهم وإنما نجري بما سبق إلينا من أعرافهم ؟ قلت له : أبا صفوان ، والله ما ألومك في الأولى ، ولا أدع حمدك على الأخرى .

- وتكلم ربيعة الرأي يوما بكلام في العلم فأكثر ، فكان العُجْبُ داخله ، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال : ما تعدون البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلت الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم . فكانما ألقمه حجرا .

قول الأعراب في الدعاء

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب ،
لولا جفاء فيهم .

وقال غيلان : إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب .

قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابي يقال له مرثد : اللهم اغفر لي والجلد

بارد ، والنفس رطبة ، واللسان منطلق ، والصحف منشورة ، والأقلام جارية ،

والتوبة مقبولة ، والآنفس مريجة ، والتضرع مرجو ، قبل أز العروق ، وحشك

النفس ، وعلز الصدر ، وتزيل الأوصال ، ونصول الشعر ، وتحيف التراب ؛

وقبل أن لا أقدر على استغفارك حتى يفنى الأجل ، وينقطع العمل . أعني على

الموت وكربه ، وعلى القبر وغمته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ،

وعلى يوم القيامة وروعته ؛ أغفر لي مغفرة واسعة لا تغادر ذنبا ، ولا تدع كربا ؛

أغفر لي جميع ما اقترضت علي ولم أؤده إليك ؛ أغفر لي جميع ما تبث إليك منه

ثم عدت فيه . يارب تظاهرت على منك النعم ، وتداركت عندك مني الذنوب ؛

فلك الحمد على النعم التي تظاهرت ، وأستغفرك للذنوب التي تداركت . أمسيت

عن عذاب غيا ، وأصبحت إلى رحمتك فقيرا ؛ اللهم إني أسألك نجاح الأمل

عند انقطاع الأجل ، اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي ؛ اللهم اجعلني من الذين

إذا أعطيتهم شكروا ، وإذا آتيتهم صبروا ، وإذا أذكرتهم ذكروا ، واجعل لي

قلبا توابا أو آبا ، لا فاجرا ولا مرتابا . اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا ،

وإذا أساءوا استغفروا ، اللهم لا تحقق علي العذاب ، ولا تقطع بي الأسباب ،

وأحفظني في كل ما تحيط به شفتي ، ويأتي من ورائه سُبُحتي ، وتعجز عنه قوتي ،

أدعوك دعاء ضعيف^(١) عمله ، متظاهرة ذنوبه ، ضنين على نفسه - دعاء من بدنه

ضعيف ، ومُتته عاجزة ؛ قد انتهت عدته ، وخلقت جدته ، وتم ظمؤه ؛ اللهم

(١) في بعض الأصول : « خفيف » .

- لا تخيبي وأنا أرجوك ، ولا تعذبي وأنا أدعوك ، والحمد لله على طول النسيئة ، وحسن التباعة ، وتشنج العروق ، وإساعة الريق ، وتأخر الشدائد ؛ والحمد لله على حله بعد عله ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ والحمد لله الذي لا يُودى قتيلُه ، ولا يخبِ سُوله ، ولا يُردُّ رسوله . اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ؛ وأعوذ بك أن أقول زورا ، أو أعشى فجورا ، أو أكون بك مغرورا ؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعُصال الداء ، وخيبة الرجاء ، وزوال النعمة ، وفجأة النعمة .

لأمراني في العواف

- دعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال : إلهي ، مَنْ أُولى بالتقصير والزلل مني وأنت خلقتني ، وَمَنْ أُولى بالعفو منك عني وعلمك بي ماضٍ ، وقضاؤك بي مُحِيط ؛ أطعك بقوتك والمِنَّة لك ، وعصيتك بعلمك ، فأسألك يا إلهي بوجوب رحمتك ، وانقطاع حجتي ، وافتقاري إليك ، وغناك عني - أن تغفر لي وترحمني ؛ إلهي لم أحسن حتى أعطيتني . فتجاوز عن الذنوب التي كتبت عليّ ، اللهم إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك : شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، ولم نَعصك في أبغض الأشياء إليك : الشرك بك ؛ فاعفر لي ما بين ذلك ؛ اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للتوكلين عليك ^(١) . إلهي أنت شاهدكم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّي لك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ؛ إذا أوحشتني الغربة ، آنسني ذكرك ؛ وإذا أكبتني على الغموم ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ؛ علما بأن أزمنة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها عن قضائك ، فأقللني إليك مغفورا لي ، معصوما بطاعتك باقي عمري ، يا أرحم الراحمين .

٢٠

لآخر في مثله

الأصمعي قال : حَجَجْتُ فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيَا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ : يَا خَيْرَ مَوْفُودٍ سَعَى إِلَيْهِ الْوَفْدُ ، قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَذَهَبَتْ مُنْتِي ، وَأَتَيْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبٍ لَا تَغْسِلُهَا إِلَّا نَهَارٌ وَلَا تَحْمِلُهَا إِلَّا بَحَارٌ ؛ أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ

(١) في بعض الأصول : . وخير المعينين للتوكلين عليك ،

عقوبتك ، ثم التفت فقال : أيها المُشفقون ، ارحموا من شملته الخطايا ،
وغمرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ممالك من التلاد ؛ ارحموا
من وبخته الذنوب ، وظهرت منه العيوب ؛ ارحموا أسير ضُرّ ، وطريد فقر .
أسألكم بالذي أعملتكم الرغبة إليه ، إلّا ما سألتكم الله أن يهب لي عظيم أجرى .
ثم وضع في حلقة الباب خذه وقال : ضَرَعَ خذى لك ، وذل مقامى بين يديك ،
ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنب مكروبٌ هـ من الخيرات مسلوبٌ

وقد أصبحتُ ذا فقرٍ هـ وما عندك مطلوبٌ

العتبي قال : سمعت أعرابيا بعرفات عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن هذه
عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك ،
أن لا يشرك بك شيئا بكل لسان فيها يدعى ، ولكل خير فيها يرجى ؛ أتتك
العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العناة من شعب المضيّق ؛ رجاء ما لا خلف له
من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ؛ أبَدْتُ لك وجوها المصونة ،
صابرة على وهج^(١) السهام ، وبرد الليالي ، ترجو بذلك رضوانك ؛ يا غفار ،
يا مُستزاداً من نعمه ، ومُستعازداً من نقمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير
وشهيق . ثم بسط كلنا يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إن كنتُ بسطتُ يدي إليك
راعبا ، فطالما كفيّتيه : ساهياً بنعمتك التي تظاهرت علىّ عند الغفلة ، فلا يأْس
منها عند التوبة ؛ ولا تقطع رجائي منك لما قدّمت من اقتراف ، وهب لي الإصلاح
في الولد ، والأمن في البلد ، والعافية في الجسد ، إنك سميع مجيب .

ودعا أعرابي فقال : يا عمادَ مَنْ لا عمادَ له ، ويا ركنَ مَنْ لا ركنَ له ،
ويا مجير الضعفاء ، ويا مُنقذ الهلكى^(٢) ، ويا عظيم الرجاء ، أنت الذى سيج لك
سواد الليل ويأض النهار ، وضوء القمر وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر

(١) في بعض الأصول : دلفج .

(٢) في بعض الأصول : الفرقى .

ودوى الماء : يا محسن ، يا مجمل ، يا مفضل ، لا أسألك الخير بخير هو عندك ، ولكنى أسألك برحمتك ، فاجعل العافية لى شعاراً ودثاراً ، وجنة دون كل بلاء .

الاصمعي قال خرجت أعرابية إلى منى فقطع بها الطريق ، فقالت : يا رب ، أخذت وأعطيت وأنعمت وسلبت ، وكل ذلك منك عدلٌ وفصلٌ ، والذي عظم على الخلائق أمرك ؛ لا بسطت لسانى بمسئلة أحد غيرك ، ولا بذات رغبتي إلا إليك ٥ ياقرة أعين السائلين ، أغنى بحدود منك أتبعج في فراديس نعمته ، وأتقلب في رواق نضرته ، أحلنى من الرجلة ، وأغنى من العيلة ، وأسدل على سترك الذى لا تخرقه الرماح ، ولا تزيله الرياح ، إنك سمع الدعاء .

الاعرابى فى فلاة قال : وسمعت أعرابيا فى فلاة من الأرض وهو يقول فى دعائه : اللهم إن استغفارى إليك مع كثرة ذنوبى للؤم ، وإن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك ١٠ لعجزى إلهى كم تحببت إلى بنعمتك وأنت غنى عنى ، وكم أنتفض إليك بذنوبى وأنا فقير إليك ؛ سبحان من إذا تعد عفا ، وإذا وعد وفى .

قال : وسمعت أعرابيا يقول فى دعائه : اللهم إن ذنوبى إليك لا تضرك ، وإن رحمتك إياى لا تنقصك ؛ فاغمر لى ما لا يضرك ، وهب لى ما لا ينقصك .

الآخرين قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول فى دعائه : اللهم إنى أسألك عمل الخائفين ، ١٥ وخوف العالمين ، حتى أتنعم بترك النعم طمعا فيما وعدت ، وخوفا مما أوعدت . اللهم أعذنى من سطواتك ؛ وأجرنى من نقماتك ؛ سبقت لى ذنوبٌ وأنت تغفر لمن يتوب (١) ؛ إليك بك أتوسل ، ومنك إليك أفر .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إن أقواما آمنوا بك بالسنتهم ليحققوا دماهم فأدركوا ما أملوا ، وقد آمنوا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك فأدرك منا ٢٠ ما أملناه .

قال : ورأيت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة رافعا يديه إلى السماء وهو يقول رب ، أتراك معذبنا وتوحيدك فى قلوبنا ، وما إخالك تفعل ؛ ولئن فعلت لتجمعنا

مع قوم طالما أينضام لك .

الاصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول في صلاته : الحمد لله حمداً لا يلى جديده
ولا يُحصى عديده ، ولا يبلغ حدوده ؛ اللهم اجعل الموت خيراً غائب ننتظره ،
واجعل القبر خيراً بيت نعمره ؛ واجعل ما بعده خيراً لنا منه ؛ اللهم إن عني
قد أغرور قتادموعا من خشيتك ؛ فاغفر الزلة ، وعُدْ بحملك على جهل من لم يرجُ غيرك
الاصمعي قال : وقف أعرابي في بعض المواسم فقال : اللهم إن لك على
حقوقا فتصدق بها على ، وللناس قبلي تباعات فتحملها عني ؛ وقد وجب لكل ضيف
قري ، وأنا ضيفك الليلة ، فاجعل قراي فيها الجنة .

قال : ورأيت أعرابيا أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : سائلك عبد بابك
ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهورته ، وبقيت تباعته فأرض عنه ، وإن
لم ترض عنه فاعفُ عنه غير راض .

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة ، فقال : اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا
فعال إلا بمال ؛ فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

قال زيد بن عمر ^(١) : سمعت طاوسا يقول : بينا أنا بمكة إذ دفعتُ إلى الحجاج
ابن يوسف ، فثنى لي وساداً فجلس ؛ فبينما نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابي
في الوادي رافعا صوته بالتلبية ؛ فقال الحجاج : عليّ بالملبي . فأثى به ، فقال : من
الرجل ؟ قال : من أفناء الناس . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتني ؟
قال : من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفت
محمد بن يوسف ؟ يعني أخاه ، وكان عامله على اليمن ؛ قال : خلفته عظيماً جسيماً
خراجاً ولأجاً . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتني ؟ قال : كيف
خلفت سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخائق مطيعاً للمخلوق ؛
فازورّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وقد تعلم مكانته مني ؟ فقال
له الأعرابي أقترأه بمكانته منك أعزّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافد

(١) في بعض الأصول : د عمرو ،

بينه ، وقاضى دينه ، ومصداق نبه صلى الله عليه وسلم ! قال : فوجم لها الحجاج ولم يُبحر له جوابا ، حتى خرج الرجل بلا إذن . قال طاوس : فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك ألوذ ، فاجعل لى فى اللهم إلى جوارك والرضا بضمائك : مندوحة عن مخرج الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين : اللهم عُد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة .

٥

قال طاوس : ثم اختفى فى الناس فألقيته بعرفات قائما على قدميه وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حاجتى ونصبي وتعي فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبيته فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروما من وجه رحمتك ^(١)

الأصمعى قال : رأيت أعرابيا يطوف بالكعبة وهو يقول : إلهى عَجَّتْ إليك الأصوات بضروب من اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك إلهى أن تذكرنى على طول البلاء . ^(٢) إذا نسيت أهل الدنيا . اللهم هَبْ لى حَقك ، وأَرْضْ عني خلقك ، اللهم لا تُعَيِّنِي بطلب ما لم تقدره لى ، وما قدرته لى فيَسْرَهُ لى .

١٠

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة ، فقالت : كان الله صاحبك فى أمرك ، وخليفتك فى أهلك ، ووليّ نَجْحِ طَلَبَتِكَ . أمضِ مُصَاحِبًا مَكْلُوفًا ، لا أَشْمَتَ الله بك عَدُوًّا ، ولا أرى محبيك فيك سُوءًا .

١٥

قال : ومات ابن لأعرابي فقال : اللهم إني وهبتُ له ما قصر فيه من يرى ، فهبْ له ما قصر فيه من طاعتك : فإنك أجود وأكرم .

لأعرابي مات ابنه

قولهم فى الرقائق

العتبي قال : ذكر أعرابي مصيبة فقال : والله تركت سُودَ الرءوسِ بيضا ، ويبيض الوجوه سُودًا ، وهَوَّاتِ المصائبَ بعدها .

٢٠

لأعرابي

(١) فى بعض الأصول : مرغبتك .

(٢) فى بعض الأصول : البكاء .

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثى آل أبي سفيان :

رمى الحدثانُ نسوةَ آل حرب ٥ بمقدار سَمَدٍ له سُودا
فرد شعورهن السود بيضا ٥ وردّ وجوههن البيض سودا
فإنك إذ سمعت بكاء هند ٥ ورملة إذ يلطمن الحدودا
بكيت بكاء موجعة بحزن ٥ أصاب الدهر واحدا الفريدا

٥

قال : قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسن عزاءكِ قالت : إنّ فقدي إياه
أمتني كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هوت على المصائب بعده : ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدك فليمت ٥ فعليك كنت أحاذرُ
كنت السوادَ لمقلتي ٥ فعليك يكي الناظر
ليت المنازلَ والديا ٥ رَحَقَافِرٌ ومقابرُ

١٠

وقيل لأعرابي : كيف حزنك على ولدك ؟ قال : ما ترك همّ الغداء
والعشاء لي حزنا ١

وقيل لأعرابي : ما أذهب شبابك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، وذهب
جلده : ذهب شبابه .

وقيل لأعرابي : ما أنحل جسمك ؟ قال : سوء الغداء ، وسُدوبة الرعي ،
واختلاجُ الهموم في صدرى . ثم أنشأ يقول :

الهمُّ مالم تُنْضِ لبيله : دائِ تَضْمَنُهُ الضلوعُ عظيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقولُ لا ٥ إنّ الذى ضمنَ النجاحَ كريمُ

وقيل لأعرابي قد أخذته السن : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تقيّدتى
الشعرة ، وأعثر في البعرة : قد أقام الدهر صغرى بعد أن أقمت صغره .

٢٠

وقال أعرابي : لقد كنتُ أنكر البضاء فصرت أنكر السوداء ، فبا خبر

مبدول وبأشْر بدل ١

وقال أعرابي :

لبعض الشعراء

إذا الرجال وَلَدَتْ أولادُها ، وجَعَلَتْ أَسْقَامُها تَعْتادُها
واضطَرَبَتْ من كِبَرِ أَعْضادُها ، فَهِيَ زُرُوعٌ قد دنا حَصَادُها

وذكر أعرابي قطيعة بعض إخوانه ، فقال : صَفِرَتْ عِيَابُ الودِّ بعد
امتلائها واكفهرت وجوهٌ كانت بِمائها ؛ فأدبر ما كان مقبلا ، وأقبل
ما كان مدبراً .

لأعرابي في
القطيعة

وذكر أعرابي منزلاً باد أهله ، فقال : منزل والله رحلتُ عنه ربّات الخدور
وأقامت فيه أنافي^(١) القدور ، وقد اكتسى بالنبات كأنما ألبس الحُلل ؛ وكان
أهله يُعَفُّونَ فيه آثارَ الرياح ، وأصبحت الريح تُعَفِّي آثارهم فالعهد قريب
والملتقى بعيد .

لآخرين في تغير
الديار

١٠

ذكر أعرابي قوماً تغيرت أحوالهم ، فقال : أَعْيُنُ والله كحلت بالعبرة بعد
العَبْرَةِ ، وَأَنْفُسُ لبست الحزن بعد السرور .

١٥

وذكر أعرابي قوماً تغيرت حالهم ، فقال : كانوا والله في عيش رقيق الحواشي
فظواه الدهر بعد سعة ، حتى ييست أبدانهم من القُر ، ولم أر صاحباً أغرَّ من
الدنيا ، ولا ظالماً أغثم من الموت ؛ ومن عصف به الليل والنهار أروياه ، ومن
وُكِّلَ به الموت أفناه .

وقف أعرابي على دار قد باد أهلها ، فقال : دارٌ والله معتصرة للدموع ،
حطت بها السحاب أثقالها ، وجرت بها الرياح أذيالها .

وذكر أعرابي رجلاً تغيّرت حاله ، فقال : طَوَّيْتُ صحيفته وذهب رزقه ،
فالبلاء مُسْرِعٌ إليه ، والعيش عنه قابض كفيه .

٢٠

وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سعة ، فقال : كان والله في ظل عيش
عمود ، فقدحت عليه من الدهر زُند عين كاية الزند .

(١) في بعض الأصول : « رواحل » .

لأعرابية ترى
انها

الأصمعي قال : أنشدني العقيل لأعرابية ترى ابنها :

ختلته المنونُ بعد آختيالٍ هـ بين صفين من قنأ ونصالٍ
في رداء من الصفيح صقيلٍ هـ وقبص من الحديد مُذال
كنتُ أخباك لاغتداء يدِ الدهر ولم تخطر المنونُ بيالي

لأعرابي في مثله

٨ وقال أعرابي يرى ابنه :

دَفَنْتُ بكفي بعض نفسي فأصْبَحْتُ هـ وللنفس منها دافينٌ ودفين
وقال أعرابي : إن الدنيا تنطق بغير لسان فتُخبر عما يكون بما قد كان .
خرج أعرابي : هاربا من الطاعون ؛ فيينا هو سائر إذ لدغته أفعى فسات ،
فقال فيه أبوه :

١٠ طاف يَبْغِي نَجْوَةً : من هلاكٍ فهلك
ليت شِعْرى ضَلَّةً هـ أَيْ شَيْءٌ قَتَلَكَ
وَالْمَنَايا رَصْدٌ هـ للفتى حيث مَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ هـ حين تلقَى أجلك

وذكر أعرابي بلدا فقال : بلد كالترس ، ماتمشي فيه الرياح إلا عابرات سبيل ، لأعرابي في ند

١٥ ولا يمر فيها السفر إلا بأدَلِّ دليل .

قولهم في الاستطعام

معن بن زائدة
وأعرابي

قدم أعرابي من بني كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن ، فقال : إني والله
ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم أقوى من رحلة مثلي من أهل السن والحب
إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في
المعروف ؛ فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك
٢٠ فافعل . فوصله وأحسن إليه .

لأعرابي

الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : وقف أعرابي

على قوم فقال : إنا - رحمكم الله - أبناء سبيل ، وأنضاء طريق وفلال سنة ؛ رحم الله امرأ أعطى عن سعة ، وواسى من كفاف . فأعطاه رجل درهما ، فقال : آجرك الله من غير أن يبتليك .

ووقف أعرابي بقوم فقال : يا قوم ، تنابعت علينا سنون جهاد شداد ، لم يكن للسماء فيها رجع ، ولا للأرض فيها صدع ، فنضب العذ ، ونشف الوشل ، وأحل الخصب ، وكلع الجذب ، وشف المال ، وكسف البال ، وشظف المعاش ، وذهب الرياش ؛ وطرحنى الأيام إليكم غريب الدار ، نأى المحل ، ليس لى مال أرجع إليه ، ولا عشيرة ألحق بها ؛ فرحم الله امرأ رحم أعرابى ، وجعل المعروف جوابى .

١٠ خرج المهدي يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول : قوم معوزون^(١) ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ؛ باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصبة الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فهل من أمرٍ بخير ، كلاًه الله في سفره ، وخلفه في أهله ؟ فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

١٥ الأصمعى قال : أغير على إبل خزيمة ، فركب بحيرة ، فقبل له : أتركب حراماً ؟ قال : يركب الحرام من لا حلال له .

خزيمة في إبل أغير عليها

لأعرابي وقال أعرابي :

يا ليت لى نعلين من جلد الصُّبُع . كلّ الحذاء يَحْتَدِي الخافي الوَقْعُ

٢٠ أبو الحسن قال : اعترض أعرابي لعتبة بن أبي سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة . قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : فيا أخاه ! قال : أسمعته فقل . قال : شيخ من بني عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخُثُولَة ، ويشكو إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وترادف ضر ، وعندك ما يسعُه ويصرف

بين عتبة بن أبي سفيان وأعرابي

عنه يؤسّه فقال عتبة أستغفر الله منك ، وأستعينه عليك ، قد أمرت لك بغناك ،
فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وسأل أعرابي فقال : رحم الله مسلماً لم تمجّ أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذاً
من مقامى ، فإن البلاد مجذبة ، والدار مضیعة ، والحياة زاجر يمنع من كلامكم ،
والعدم عاذر يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم الله امرأً يحير
وداعياً يحير . فقال له بعض القوم : ممن الرجل ؟ فقال : ممن لا تنفعكم معرفته ،
ولا تضركم جهالته . ذلّ الاكتساب ، يمنع من عز الاكتساب .

العنبي قال : قدم علينا أعرابي في فُشاش^(١) قد أطردت الأصاصُ إبله ، فجمعت
له شيناً من أهل المسجد ، فلما دفعت إليه الدراهم أنشأ يقول :

لا والذي أنا عبدٌ في عبادته . لولا شماتة أعداء ذوى إحنٍ
ما سرّنى أن إبلنى في مباركها . وأنّ امرأ قضاؤه الله لم يكن
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال :

لولا شماتة أعداء ذوى حسيده . وأنّ أنال بنفعى من يُرجّنى
لما خطبت إلى الدنيا مطالبها . ولا بذلت لها عرضى ولا دينى
لكن مُنافسة الأكفاء تحمّلنى . على أمورٍ أراها سوف تُردّينى
وقد خشيت بأن أبى بمنزلة . لا دين عندى ولا دنيا تُواتبنى

العنبي قال : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسرى ، فلما مثل بين يديه
أنشأ يقول :

أصلحك الله قلّ ما بيدى . فما أطبق العيال إذ كثروا
أناخ دهرٌ ألّنى بكلكله . فأرسلونى إليك وانتظروا

قال : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم . فأمر
له بأربعة أبعرة موقورة بُراً وتمراً وخلع عليه .

(١) الفشاش : كساء غليظ .

أعرابي أعرابي
على إبله

بين خالد القسرى
وأعرابي

ابن طوق
وأعرابي

الشياني قال : أقبل أعرابي إلى مالك بن طوق ، فأقام بالرجة حبناً ، وكان الأعرابي من بني أسد صعلوكا في عباءة صوف وشملة شعر ، فكلمها أراد الدخول منه الحجاب ، وشمته العبيد ، وضربه الأشراف ؛ فلما كان في بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرجة ، فعارضه الأعرابي ، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ذلك حتى أخذ يعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ، إني عائد بالله • من أشرطك هؤلاء ! فقال مالك : دعوا الأعرابي ؛ هل من حاجة يا أعرابي ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير ؛ أن قصصني إلى بسمعك ، وتنظر إلى بطرفك ، وتقبل إلى بوجهك . قال : نعم . فأنشأ الأعرابي يقول :

يَا بَيْكَ دُونَ النَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي • وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى حَوْلَهُ وَأَطُوفُ
وَيَمْتَنِعُنِي الْحُجَابُ وَالسُّتْرُ مُسَبَّلٌ • وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَالشُّرُوطُ صَفُوفُ
يَدُورُونَ حَوْلِي فِي الْجُلُوسِ كَأَنَّهُمْ • ذُنَابُ جِيَاعٍ يَلْتَهُنَّ خُرُوفُ
فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا • فَأُضْرَفُ عَنْهُ إِنِّي لَضَعِيفُ
وَمَالِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَلَا لِمَنْ • تَرَكْتُ وَرَائِي مَرْبِيعٌ وَمَصِيفُ
وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَدِيسٌ وَخُنْدَفٌ • وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
تَخَطَّيْتُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَرِجْلَتِي • إِلَيْكَ وَقَدْ حَنَّتْ إِلَيْكَ صُرُوفُ
بِحُشْنِكَ أَيْبَى الْيُسْرِ مِنْكَ فَزَيِّ • يَا بَيْكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُنُوفُ
فَلَا تَجْعَلْنِي لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً • فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الشُّرُوطِ مَخُوفُ

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه ؛ ثم قال لمن حوله : من يعطيه درهما بدرهمين وثوباً بثوبين ؟ فوقعت عليه الثياب والدرهم من كل جانب حتى تحير الأعرابي ؛ ثم قال له : هل بقيت لك حاجة يا أعرابي ؟ قال : ٢٠ أما إليك فلا ! قال : فإلى من ؟ قال : إلى الله أن يبقيك للعرب ؛ فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها .

دخل أعرابي إلى هشام بن عبد الملك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أتت علينا

ثلاثة أعوام : فعام أذابَ الشحم ، وعام أكلَ اللحم ، وعام آتقَ العظم ؛ وعندكم أموال ، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ، وإن تكن للناس فلم تُحَبِّبْ عنهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا ؛ إن الله يجزي المتصدقين ! قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : ما ضربتُ إليك أكباد الإبل أدرع الحجير ، وأخوض الدجا لخاصٍ دون عام ، ولا خير في خير لا يعم . فأمر له هشام بأموال فرقت في الناس ؛ وأمر للأعرابي بمال فرقه في قومه .

طلب أعرابي من رجل حاجة فوعده قضاءها ؛ فقال الأعرابي : إن من وعدٍ لبعض الأعراب قضي الحاجة وإن كثرت ؛ والمطل من غير عسر آفة الجود .

وقال أعرابي ، وأتى رجلاً لم تكن بينهما حرمة في حاجة له ، فقال : إني امتطيت إليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ووفدت بالشكر ، وتوسلت بحسن الظن : فحقق الأمل ، وأحسن المثوبة ^(١) ، وأكرم القصد ، وأتم الود ، وعجل المراد .

وقف أعرابي على حلقة يونس النحوي ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه . إنا أناس قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلاً ؛ لا ندفن ميتاً ؛ ولا نتحول من منزل وإن كرهناه ؛ فرحم الله عبداً تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، ورسلاً سنة ؛ فإنه لا قليل من الأجر ؛ ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ . إن الله لا يستقرض من عوز ؛ ولكن ليأو خيَّارَ عباده .

وقف أعرابي في شهر رمضان على قوم ؛ فقال : يا قوم لقد ختمت هذه الفريضة على أفواهنا من صبح أمس ، ومعى بننان لي ، والله ما عليَّهما تحللاً بخلال ؛ فهل رجل كريم يرحم اليوم مقامنا ^(٢) ، ويرد حشاشتنا ؛ منعه الله أن

(١) في بعض الأصول : المنزلة .

(٢) في بعض الأصول : ذلنا .

يقوم مقام ذل وعار وصغار ! فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ! فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال : أشدُّ واللهِ على من سوء حالى وفاقى ، توهمى فيكم المواساة ! انتعلوا الطريق لاصحبكم الله .

الاصمعى قال : وقف أعرابى علينا فقال : يا قوم ، تابعت علينا سنون بتغير وانتفاص ، فما تركت لنا هُبَماً ولا رُبَماً ، ولا عافطة ولا نافطة ، ولا رَاغِيَةً ولا رَاغِيَةً : فأماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ! فأعينوني من فضل ما آتاكم الله ، وارحوا أبا أيتام ، ونضو زمان : فلقد خلفت أقواما يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه : ولقد مشيت حتى انتعلتُ الدماء ، وجُعتُ حتى أكلتُ النوى ^(١) .

١٠٠

الاصمعى قال : وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقالت : إني أتيتُ من أرض شاسعة ، تهيضني هائضة ^(٢) وترفعني رافعة في بوايدِ برّين لحمى ، وهضن عظمى : وتركنتي والهة ، قد ضاق بي البلد ، بعد الأهل والولد ، وكثرة من العدد : لا قرابة تُؤويني ، ولا عشيرة تحميني : فسألت أحياء العرب : مَنْ المرتجى سَيِّئُهُ ، المأمونُ عِيَهُ ، الكثير نائِلُهُ ، المكفى سائلُهُ ؟

فدلتُ عليك : وأنا امرأة من هوازن ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع في أمرى واحدة من ثلاث : إما أن تُحسِّنَ صَفْدِي ، وإما أن تُقيمَ أودى ، وإما أن تُردِّدني إلى بلدى . قال : بل أجمعهن لك ! ففعل ذلك بها أجمع .

لأعرابية مع
عبد الرحمن
ابن أبي بكر

١٥

وقال أعرابي :

شعر لبعض
الأعراب

٢٠

يا عاملَ الخيرِ وُزِقَتِ الجنةُ . أكسُ بُنياني وأمهنة
وكنْ لنا مِنَ الزمانِ جنةً . وأرددْ علينا إنْ إنَّ إنَّ
أقسمتُ باللهِ لتفعلنَّ

(١) في بعض الأصول : « الثرى » .

(٢) في بعض الأصول : « تهيطنى هابطة » .

الاصمعي قال : وقفت أعرابية فقالت : يا قوم ، سَنَة جردت وأيد جدت ،
و حال أجهدت : فهل من فاعل لخير ، وأمر يميز ؟ رحم الله من رحم ، وأقرض
من يُقرض ^(١) .

الاصمعي قال : أصابت الأعراب أعوامٌ جدبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة
منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول : أيها الناس ، إخوانكم في الدين ،
و شركاؤكم في الإسلام ، عابرو سبيل ، وفلال بؤس ، وصرعى جذب ، تتابعت
علينا سنون ثلاثة ، غيرت النعم وأهلك النعم ، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق
عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمئى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مخنا عظاماً ،
وعاد إشرافنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، ويكتنا السهل ، وهذه آثار
مصائبنا ، لائحة في سماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، ومواسياً من قليل ، فلقد
عظمت الحاجة ، وكسف البال وبلغ المجهود ، والله يجزى المتصدقين .

الاصمعي قال : كنتُ في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال :
أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويُبرز الكعاب ؛ وقد حملتنا سنو المصائب ،
ونكبات الدهور ، على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد
فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله .

أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ، ساقته إليك
الحاجة ، وبلغت به الغاية ، والله سائلك عن مقامى هذا . فقال عمر : ما سمعتُ
أبلغ من قاتل ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا ^(٢) .

سمع عدى بن حاتم رجلاً من الأعراب وهو يقول : يا قوم ، تصدقوا على
شيخ مَعِيل ، وعابر سبيل ، شهد له ظاهره ، وسمع شكواه خالفه ، بدنه مطلوب
وثوبه مسلوب ! فقال له : من أنت ؟ قال : رجل من بني سعد في دية لزمته ،
قال : فكم هي ؟ قال : مائة بعير . قال : دونكها في بطن الوادي !

(١) في بعض الأصول : . من لا يظلم ،

(٢) في بعض الأصول : . ولا أوعظ من واعظ ولا أبلغ من مقول له منك ومنى .

سأل أعرابي رجلاً فأعطاه ، فقال : جعل الله للمعروف إليك سيلاً ، والخير عليك دليلاً ، ولا تجعل حظ السائل منك عذرة صادقة .

وقف أعرابي بقوم فقال : أشكو إليكم أيها الملائمة زمانا كلع في وجهه ، وأناخ على كلنكته ، بعد نعمة من البال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ؛ اعتورتني شدائده ، بقبل مصائبه ، عن قيسى نوابه ، فما ترك لي ثاغية أجتدي ضرعها ، ولا راغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ، أو مُعِدٍ على حتفه ؟ فرد القوم عليه ولم يُنبِلوه شيئاً ؛ فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأمل من أمثالكُم • جوداً وليس الجود من فعالِكُم
لا برك الله لكم في مالِكُم • ولا أزاح السوء عن عيالِكُم
فالفقر خير من صلاح حالِكُم

١٠ الأصمعي قال : سأل أعرابي فلم يُعط شيئاً ، فرفع يديه إلى السماء وقال :
يا رب أنت فتني وذخري • لصيبة مثل صغار الذر
جاءم البرد وهم بشر • بغير لحفٍ وبغير أزر
كانهم خفافس في جحر • تراهم بعد صلاة العضر
وكلهم ملتصق بصدري • فاسمع دعائي وتول أمرى

١٥ سأل أعرابي ومعه ابنتان له ، فلم يُعط شيئاً ؛ فأنشأ يقول :
أيا آبتني صابراً أباً • لأنكا بعين من يراكا
الله ولاي وهو ولاكا • فأخلصا الله في نجواكا
تضرعاً لا تذخر أبكا • له له يرحم من آواكا
إن تبكيا فالدهر قد أبكا

٢٤

العتبي قال : كانت الأعراب تنجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام ، فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز ، فقام أعرابي لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ؛ والمنع مبغضة ؛ فلأن

هشام وأعرابي

نحبك خير من أن نبغضك ! فأعطاه وأجزل له .

الاصمعي قال : وقف أعرابي غَنَوِيٌّ على قوم : فقال بعد التسليم : أيها الناس ، ذهب التَّيْلُ ؛ وعجف الخَيْلُ ؛ وبُخَسَ الكَيْلُ ؛ فن يرحم نضو سفر ، وقل سنة ، ويُقرض الله قرصاً حسناً . لا يستقرض الله من عُدَم ، ولكن ليُلوِّكُم فيما آتاكم . ثم أنشأ يقول :

هل من فتىٍّ مقتدِرٍ معينٍ • على فقيرٍ بائسٍ مسكينٍ
أبي نباتٍ وأبي بنينٍ • جزاء ربِّي بالذي يُعطيني
أفضلَ ما يُجزَى به ذو الدينِ

الاصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول لرجل : أطعمك الله الذي أطعمتني له ؛ لبس الأعراب ١٠
فقد أحييتني بقتل جوعي ، ودفعت عني سوء ظني بيومي ؛ فحفظك الله على كل جنب ، وفرج عنك كل كرب ، وغفر لك كل ذنب .

وسأل أعرابي رجلاً فاعتلَّ عليه ، فقال : إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً !

وقال أعرابي للمأمون : المأمون وأعراب

١٥ قلْ للإمام الذي تُرْجى فضائله • رأسُ الأنام وما الأذنبُ كالرأس
إني أعوذ بهرون وتُخفرتَه • وبأن عمَّ رسول الله عباس :
من أن تُشدَّ رحال العيس راجعةً • إلى اليمامة بالحرمان واليأس

الاصمعي قال : أصابت الأعراب جماعةً ، فررت برجل منهم قاعد مع زوجته أعرابي وزوجه ٢٠
بقارة الطريق وهو يقول :

يا ربِّ إني قاعدٌ كما ترى • وزوجتي قاعدةٌ كما ترى
والبطن مني جائعٌ كما ترى • فسا ترى ياربنا فيما ترى !

الاصمعي قال : حدثني بعض الأعراب قال : أصابتنا سنةٌ وعندنا رجل غني أعرابي في جماعة
وله كلب ، فجعل كلبه يعوى جوعاً ، فأنشأ يقول :

تشكى إلى الكلب شدة جوعه * وفي مثل ما بالكلب أو بني أكثر
قلت : لعل الله يأتي بغيته * فيُضْحِي كَلَانًا قَاعِدًا يَتَكَبَّرُ^(١)
كأني أمير المؤمنين من الغنى * وأنت من النعمى كأنك جعفر

الأصمعي قال : سأل أعرابي رجلاً يقال له عمرو ، فأعطاه درهماين ؛ فردهما
عليه وقال :

أعرابي
اسم عمرو

تركتُ لعمرو درهميه ولم يكن * ليُفْنِي عَنِّي فاقتي درهما عمرو
وقلتُ لعمرو خذهما فاصطرفهما * سريعتين في نقض المودعة والأجر

أبو الحسن قال : وقف علينا أعرابي ، فقال : أخ في كتاب الله ، وجار في بلاد
الله ، وطالب خير من رزق الله ؛ فهل فيكم من مؤاس في الله ؟

بعض الأعراب

الأصمعي قال : ضجر أعرابي بكثرة العيال والولد ، وبلنه أن الوباء بخير
شديد ؛ فخرج إليها يعرضهم للوث ، وأنشأ يقول :

قلتُ لحُمَي خَيْرَ آسَعَدِي * هَاكِ عِيَالِي فَاجْهَدِي وَجِدِي
وباكري بصالب ووردي * أعانك الله على ذي الجند

فأخذته الحمى ، فمات هو وبقي عياله .

سأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابتنا سنة .

مروان وأعرابي

ولي بضع عشرة بنتا ، فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء
صفائح من حديد ، ويكون مسيلها ما يليني فلا تقطر عليكم قطرة ؛ وأما البنات
فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين
ليس لهن كاسب غيرك ! قال : فنظر إليه الأعرابي ثم قال : والله ما أدرى
ما أقول لك ، ولكن أراك قبيح المنظر ، سيئ الخلق ، فأعصك الله بيطر أمتها
هؤلاء الجلوس حولك !

وقف أعرابي على رجل شيخ من أهل الطائف ، فذكر له سنة وسأله .

طائفي وأعرابي

(١) في بعض الاصول : * يتذمر ..

فقال : وددت والله أن الأرض خطة لا تنبت شيئا ! قال : ذلك أيبس لجفير
أتمك في آستها .

قولهم في المواعظ والزهد

أبرحاتم عن الأصمعي قال : دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك هشام وأعرابي
فقال له : عظمي يا أعرابي . فقال : كفى بالقرآن واعظا ، أعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَيُلْ لِلطَّافِقِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا
اكتالوا على الناس يستوفون ۝ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ۝ أَلَا يَظُنُّ
أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم
قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يطفف في الكيل والميزان ، فما ظنك
بمن أخذه كله ؟ ١٠

وقال أعرابي لأخيه : يا أخي ، أنت طالب ومطلوب ، يطلبك ما لا تقوته ،
وتطلب ما قد كُفيتَه ، فكأنَّ ما غاب عنك قد كُشف لك ، وما أنت فيه قد نُقلت
عنه ، فامهد لنفسك ، وأعد لعدك ، وخذ في جهازك .
ووعظ أعرابي أخاه أفسد ماله في الشراب ، فقال : لا الدهر يعطاك ،
ولا الأيام تُتذكرك ، ولا الشيب يزجرك ؛ والساعات تُحصي عليك ، والأنفاس
تُعَدُّ منك ، والمبايا تُقَادُ إليك ؛ أحب الأمور إليك أَعُودُهَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ .
وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لثلاث خلال فيه : لأنه
متلف للمال ، مذهب للعقل ، مُسْقَطٌ لِلرُّومَةِ .

وقال أعرابي لرجل : أي أخي ، إن يسار النفس أفضل من يسار المال ،
فإن لم ترزق غنى ، فلا تحرم تقوى ، فرب شعبان من النعم ، غرثان^(١) من الكرم ؛
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ عَلَى خَيْرٍ . تَرَحَّبْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَتَسْتَبْشِرُ بِهِ السَّمَاءُ ؛ وَلَنْ يُسَاءَ
إِلَيْهِ فِي بَطْنِهَا ، وَقَدْ أَحْسَنَ عَلَى ظَهْرِهَا .

(١) في بعض الأصوات : « غريبان » .

وقال أعرابي : الدرامُ مياهمُ تسمُ حمداً وذمّاً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ؛ وما كلُّ من أعطى مالا أعطى حمداً ولا كل عديمٍ ذميراً .

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أَنْتَ لِلْبَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ * فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَأَمْسَالُ لَكَ

لابن عباس وهذا نظير قول ابن عباس - ونظر إلى درهم في يد رجل - فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

وقال أعرابي لأخ له : يا أخى ، إن مالك إن لم يكن لك ، كنت له ؛ وإن لم تُنفه أُنفاك ؛ فكله قبل أن يأكلك .

وقال أعرابي : مضى لنا سلفُ أهل تواصل اعتقدوا منا ، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضاً لازماً ، وإظهار البرِّ واجباً . ثم جاء الزمان بينين اتخذوا مِنْهُمْ بضاعة ، وبرَّهم مرايحة ، وأيادهم تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة كنقد [السوق] : خذ منى وهات .

وقال أعرابي لولده : يا بني ، لا تكن رأساً ولا ذنباً ، فإن كنت رأساً قتها للنطاح ، وإن كنت ذنباً قتها للنكاح .

قال : وسمعت أعرابياً يقول لابن عمه : سأخطب ذنبك إلى عذرك ، وإن كنت من أحدهما على شك ومن الآخر على يقين ؛ ولكن ليتم المعروف منى إليك ، ولتقوم الحجة لى عليك .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : إن الموفق من ترك أرفق الحالات به لأصلحها لدينه ، نظراً لنفسه إذا لم تنظر نفسه لها .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : الله يُخْلِفُ ما أنلف الناس ، والدهر مُتْلِفٌ ما أخلفوا ، وكم من مينة عليها طلب الحياة ، وكم من حياة سببها التعرض للوثة .
وقال أعرابي : إن الآمال قَطَعَت أعناق الرجال ، كالسراب : غرٌّ من رآد ، وأخلف من رجاء .

وقال أعرابي لصاحب له : أصحب من يتناسى معروفاً عندك ، ويتذكر حقراً لك عليه .

وقال أعرابي : لا تسأل عمن يفتر من أن تسأله ، ولكن سل من أمرك أن تسأله ، وهو الله تعالى .

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : تمام العدة ، وانقضاء المدة .
ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر ، فقال : يا هذا ،
ه أنتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقالت أعرابية لابنها : يا بني ، إن سؤالك الناس مافي أيديهم أشد من الافتقار إليهم ، ومن افتقرت إليه هنت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب فإذا ألحنت عليك الحاجة ولزمتك سوء الحال ، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمستول ، فإنه يعطى السائل .

وقالت أعرابية توصي ابناً لها أراد سفراً : يا بني ، عليك بتقوى الله فإنها
١٠ أجدي عليك من كثير غيرك ؛ وإياك والتهائم ، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين ، ومثل لنفسك مثالا تستحسنة من غيرك فاحذر عليه واتخذة إماماً ، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء ، فقد أجاد الحلة إزارها وردادها .

قال الأصمعي : لا تكون الحلة إلا ثوبين : إزاراً ورداء .
أنشد الحسن لأعرابي كان يطوف بأمه على عانقه حول الكعبة :
١٥ إن تركبي على قذالي فاركبي . فطالما حملتني وميرت بي
في بطنك المطهر المطيب . كم بين هذاك وهذا الماركب
وأنشد لآخر كان يطوف بأمه :

ماحجَّ عبدٌ حجةً بأمه . فكان فيها مُنفقاً من كده
٢٠ إلا آسَتمَّ الأجرَ عند ربِّه

قال وسمعت أعرابياً يقول : ما بقاء عمري تقطعه الساعات ، وسلامة بدني معرض للآفات ؛ ولقد عجبتُ من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله وأظماً له نهاره .

وذكر أهل الساطان عند أعرابي فقال : أما والله لن عزوا في الدنيا بالجور

لقد ذلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليل فإن عِوضاً عن كثير باق ، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم .

ووصف أعرابي الدنيا فقال : هي رنقةُ المشارب ، جمة المصائب لا تمتك الدهر بصاحب .

وقال أعرابي : من كان مطينه الليل والنهار سارا به وإن لم يَسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الزهادة في الدنيا مفتاحُ الرغبة في الآخرة .
والزهادة في الآخرة مفتاحُ الرغبة في الدنيا .

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : وإذا متُّ فإلى أين يُذهَبُ بي ؟
قالوا : إلى الله ! قال : فأكراحتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه ؟

وقال أعرابي : من خاف الموت بادره الموت ، ومن لم يُنَجِّ النفس عن الشهوات أسرع به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك .

وقال أعرابي لصاحب له : والله لئن هملجت إلى الباطل إنك لمطوف عن الحق ، وإن أبطأت لئُسِرَ عَنِّي إليك ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم راجحون ؛ فلا تغرَّك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك .

وقال أعرابي : خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحبت له الموت .

وقال أعرابي : حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع ، وأخفافا ترفع ، والخير يُطلب عند غير أهله ، والفقير قد حل غير محله .

وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له : قُلِ الحقَّ وإلا أوجعتك ضرباً ! قال له :
وأنت فاعمل به ، فوالله ما أوددك الله على تركه أعظم مما توعدني به .

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال الكريم يسأط عليه اللئيم ،
والعاقل يسأط عليه الجاهل .

وقيل له : أي الداعين أحق بالإجابة ؟ قال المظلوم .

- وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : من أفرد الله بم حاجته .
ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة غائر العينين . مُشرف الحاجبين نائياً الجهة ،
فقال له : يا أعرابي ، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .
الاصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما
أقرب من هواك فخالقه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى .
قال : وسمعت أعرابيا يقول : من نتج^(١) الخير أنتج له فراخا تطير بأجنحة
السرور ؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقضبانة الغيظ ، وثمرة الندم .
وقال أعرابي : الهوى^(٢) عاجله لذيقه ، وآجله وخيم .
وقيل لأعرابي : إنك لحسن الشارة . قال : ذلك عنوان نعمة الله عندي .
قال الاصمعي : ورأيت أعرابيا أمامه شيء فقلت له : لمن هذه الشاة ؟ قال :
هى لله عندي .
وقيل لأعرابي : كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار .
وقال أعرابي : من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه .
وقال : بذس الزاد التعدى على العباد .
وقال : التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة .
وقال : من ثقل على صديقه خفَّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما
يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .
قال وسمعت أعرابيا يقول لابنه وهو يعاتبه : لا تتوهمن - على من يستدل
على غائب الأمور بشاهدها - الغفلة عن أمور يعاينها ، فتكون بنفسك بدأت ،
وحظك أخطأت .
ونظر أعرابي إلى رجل حسن الوجه بضه فقال : إني أرى وجهها ما علقه

(١) في بعض الأصول : ولد .

(٢) في بعض الأصول : الشر .

بَرْدٌ وَضَوْءُ السَّحَرِ ، وَلَا هُوَ بِالَّذِي قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

من كلِّ مجتهدٍ بَرَى أوصالَه • صَوْمُ النَّهَارِ وَبِحِجَّةٍ^(١) الْأَسْحَارِ

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيَا يَنْشُدُ :

وإِذَا أَظْهَرْتَ أَمْرًا حَسَنًا • فَلَيْكِنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا قُسِرَ

فُسِرَ الْخَيْرَ مَوْسُومٌ بِهِ • وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ يَشَرُّ

وقول الأعرابي هذا على ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسر

امرؤ سريرة إلا ألبسه الله رداءها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال : وأنشدني أعرابي :

وما هذه الأيام إلّا مُعَارَةٌ • فَمَا اسْطَغْتِ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

فإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَيِّ بِلَدَةٍ • تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدِ

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَمَنْ يَكُ مُسْدَلًا • عَلَى وَجْهِهِ سِتْرٌ مِنَ الْأَرْضِ يَبْعُدِ

وقال أعرابي : أعجز الناس من قَصَّرَ في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضَيَّعَ

من ظفر به منهم .

وقال أعرابي لابنه : لَا يَسِرُّكَ أَنْ تَغْلِبَ بِالشَّرِّ ؛ فَإِنَّ الْغَالِبَ بِالشَّرِّ هُوَ الْمَغْلُوبُ .

وقال أعرابي لأخ له : قَدْ نَهَيْتُكَ أَنْ تَرِيقَ مَاءَ وَجْهِكَ عِنْدَ مَنْ لَا مَاءَ فِي وَجْهِهِ .

فإن حفظك من عطيته السؤال .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ،

وبغض الشر خير وإن فعلت أكثره .

وشهد أعرابي عند سوار القاضي بشهادة ، فقال له : يَا أَعْرَابِي ، إِنْ مِدَانَتَا

لَا يَجْرِي مِنَ الْعِتَاقِ فِيهِ إِلَّا الْجِيَادُ . قَالَ : لَنْ كَشَفْتَ لَتَجِدُنِي عَثُورًا ۖ فَسَأَلْ

عنه سوار فأخبر بفضل وصلاح ، فقال له : يَا أَعْرَابِي ، أَنْتَ مَنْ يَجْرِي فِي مِدَانَتَا .

قال : ذَلِكَ بَسْتَرِ اللَّهُ .

(١) في بعض الأصول : « وسهرة » .

وقال أعرابي : والله لولا أن المروءة ثقيل حملها ، شديدة مؤتها ، مترك
النام للكرام شيئاً .

احتضر أعرابي ، فقال له بنوه : عظام يا أبت . فقال : عاشروا الناس معاشرة
إن غبتم حنوا إليكم ، وإن متم بكوا عليكم .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شملة شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال
له : إن الشملة لا تكلمك وإنما يكلمك من هو فيها .

مز أعرابي يقوم يدفنون جارية ، فقال نعم الصهر ما صاهرتم ! وأنشد :

وفي الأعياص أكماء لليل * وفي الحدي لها كف كريمة

وقال أعرابي : رب رجل يرره منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه
قلبه التحاف الجناح على الخوافي . ١٠

ومز أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أنبتة الطاعة
وحصدته المعصية ! وقال الآخر : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبه ، ومن فارق
الحق فالجذع راحلته .

العتبي عن زيد بن عمار ، قال : سمعت أعرابيا يقول لأخيه وهو يبنى
منزلاً : يا أخى : ١٥

أنت في دارِ شَتَاتٍ * فتأهبْ لِشَتَاتِكَ

واجعل الدنيا كيوْمٍ * ضُمَّتْهُ عَنْ شَهْوَاتِكَ

واجعل الفِطْرَ إذا ما * نَلْتَهُ يَوْمَ مَمَاتِكَ

واطلبِ الفوزَ بعيش الز * هد^(١) من طول حَيَاتِكَ

ثم أطرق حيناً ورفع رأسه وهو يقول : ٢٠

قائدُ الغَفْلةِ الأمل * والهوى قائدُ الزَّلَلِ

قتلَ الجَهِلُ أهله * ونجا كلُّ من عقلَ

(١) في بعض الاصول : الدهر ، .

فاغنم دولة السلافة واستأنف العمل
 أيها المبتنى القصور . رَ وقد شاب واكتمل
 أخبر الشيب عنك أنك في آخر الأجل
 فعلام الوقوف في * عرصة العجز والكسل
 أنت في منزل إذا حله نازل رحل
 منزل لم يزل يضيق ويفو بمن نزل
 فتأهب لرحلة * ليس يسعى بها جمل
 رحلة لم تزل على الدهر مكروهة القفل

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : ما جوفى له إلا قبر .

لأعرابي
 في السر

وقال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل . ودوام عهده ، فانظر إلى
 حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ماضى من زمانه .

لآخر في الوفاء

وقال أعرابي : إذا كان الرأي عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من
 لا يستعمله ، والمال عند من لا يتفقّه - ضاعت الأمور .

لآخر فيما يضيغ
 الأمور

وسئل أعرابي عن القدر فقال : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس :

لآخر في القدر

يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها .

١٥

وسئل آخر عن القدر فقال : علمٌ اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه
 المختلفون ، وحق علينا أن نرد ما التبس علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه .
 وقال أعرابي تكوير^(١) الليل والنهار ، لا يُبقى على الأعمار ، ولا لأحد
 فيه الخيار .

أبو حاتم عن الأصمعي قال : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر . وحضر
 غداؤه فقال : اطلبوا من يتغدى معنا . فطلبوا ، فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة ،
 فأتوه به ، قال له : هلم . قال له : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ! قال :

الحجاج وأعرابي

(١) في بعض الأصول : « تعاور » .

ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعاني إلى الصيام ، فأنا صائم . قال : صوم في مثل هذا اليوم على حر ؟ قال صمت ليوم هو أحر منه ! قال فأفطر اليوم وتصوم غدا . قال : ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلى قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل ليس إليه سبيل ! قال : إنه طعام طيب . قال : والله ما طيبه خبازك ولا طبّاخك ، ولكن طيبته العافية ! قال الحجاج : تالله ما رأيت كالיום ، أخرجوه عني .

لأعرابي

أبو الفضل الرياشي قال : أنشدنا أعرابي :

أَبَاكِه رَزِيئَةُ إِنِّ أَنَاهَا نَعِيٌّ أَمْ يَكُونُ لَهَا اضْطِبَارُ
إِذَا مَا أَهْلُ وُدِّي وَدَّعُونِي وَرَاحُوا وَالْأَكْفُ بِهَا غُبَارُ
وَعُودِرَ أَغْظَمْنِي فِي لَحْدٍ قَبِيرٍ تَعَاوَرَهُ الْجَنَائِبُ وَالْقِطَارُ
تَظَلُّ الرِّيحُ عَاصِفَةً عَلَيْهِ وَيَرَعَى حَوْلَهُ اللَّهُقُ النَّوَارُ
فَذَلِكَ النَّأْيُ لَا الْهَجْرَانُ حَوْلًا وَحَوْلًا ثُمَّ تَجْمَعُنَا الدِّيَارُ

للي الأخيلية

وهذا نظير قول ليلي الأخيلية :

لَعَمْرُكَ مَا الْهَجْرَانُ أَنْ تَمْشِطَ النَّوَى * وَلَكِنَّمَا الْهَجْرَانُ مَا غَيَّبَ الْقَبْرُ

للخنساء

ونظيره قول خنساء :

نَأْيُ الْخَلِيلَيْنِ كَوْنُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا رِمَا

لبعض الشعراء

وأنشد الآخر :

إِذَا مَا الْمَنَاءُ أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ * حَبِيكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

عمر وأعرابي
بالجباة

الرياشي قال : مرَّ عمر بن الخطاب بالجباة فإذا هو بأعرابي ، فقال : ما تصنع هنا يا أعرابي في هذه الديار الموحشة ؟ قال : وديعة لي ها هنا يا أمير المؤمنين . قال : وما وديعتك ؟ قال : بُني لي دفنته ، فأما أخرج إليه كل يوم أندبه . قال : فأنذه حتى أسمع . فأنشأ يقول :

يَا غَائِبًا مَا يُؤُوبُ مِنْ سَفَرَةٍ * عَاجِلُهُ مَوْتُهُ عَلَى صِغَرَةٍ

يا قَرَّةَ الْعَيْنِ كُنْتَ لِي سَكَنًا هـ فِي طَوْلِ لَيْلِي نَعْمُ وَفِي قِصَرِهِ
شَرِبْتُ كَأْسًا أَبُوكَ شَارِبُهَا هـ لَا بُدَّ يَوْمًا لَهُ عَلَى كِبَرِهِ
يَشْرَبُهَا وَالْأَنَامُ كُلُّهُمْ هـ مَنْ كَانَ فِي بَدْوِهِ وَفِي حَضَرِهِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ هـ الْمَوْتُ فِي حُكْمِهِ وَفِي قُدْرِهِ
قَدْ قَسَمَ الْعَمْرُ^(١) فِي الْعِبَادِ فَآ هـ يَقْدِرُ خَلْقُ يَزِيدُ فِي عُمرِهِ هـ

قولهم في المدح

ذكر أعرابي قوما عبادا ، فقال : تركوا والله النعيم لينعموا ؛ لهم عبرات
لـ ضمهم في المدح متدافعة ، وزفرات متتابعة ، لا ترام إلا في وجه وجهه عند الله .

وذكر أعرابي قوما فقال : أدبهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ؛ فلم تغرهم
السلامة المنظوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذي به قطع الناس مسافة
آجالهم ؛ فدلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالوجد^(٢) فأحسنوا المقال ،
وشفعوه بالفعال .

وستل أعرابي عن قوم فقال : كانوا إذا اصطموا سفرت بينهم السهام ؛
وإذا تصاحفوا بالسيوف ففرت المنايا أفواهاها ؛ فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه ،
وحرب عبوس قد ضاحكتها ألسنتهم ؛ إنما قومي البحر . ما ألقمته التقم .

وذكر أعرابي قوما فقال : ما رأيت أسرع [منهم] إلى داع بليل على فرس
حسيب وجل نجيب . ثم لا ينتظر الأول السابق الآخر اللاحن .

وذكر أعرابي قوما فقال : جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم . فالخير بهم
زائد ، والمعروف لهم شاهد ؛ فيعطونها بطيئة أنفسهم إذا طلبت إليهم . ويباشرون
المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغِيَ لديهم .

وذكر أعرابي قوما فقال : والله ما أنالوا شيئا بأطراف أناملهم إلا وطنناه

(١) في بعض الأصول : الموت .

(٢) الوجد : الغنى والسعة .

بأشخاص أقدامنا ؛ وإن أقصى مهمهم لأدنى فعالنا .

وذكر أعرابي أميرا فقال : إذا ولي لم يطابق بين جفونه ، وأرسل العيون
على عيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسيء خائف .
ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلني زماما
من أزمك تجزبه الأعداء ، فإنني مسرّ حرّ ، ورّكّاب نجب ، شديد على الأعداء
لين على الأصدقاء ؛ منطوى الحصيلة ، قليل الثبيلة ، نومي غرار ، قد غدتني
الحرب بأفويقها ، وحلبت الدهر أسطرها ؛ ولا تمنعك مني الدمامة ؛ فإن من
تحتها شهامة .

وذكر أعرابي رجلا براءة المنطق فقال : كان والله بارع المنطق ، جزل
الألفاظ ، عرنى اللسان ، فصيح البيان ، رقيق حواشي الكلام ، بليغ الريق ،
قليل الحركات ، ساكن الإشارات .

وذكر أعرابي رجلا فقال : رأيت له حلما وأناة ، يحدثك الحديث على
مقاطعه ، ينشدك الشعر على مدارجه ، فلا تسمع له لحنا ولا إحالة .
العتبي قال : ذكر أعرابي قوما ، فقال : آلت سيوفهم آلا تقضي
دينا عليهم ، ولا تضيّع حقّهم ، فما أخذ منهم مردود إليهم ، وما أخذوا
متروكّ لهم .

ومدح أعرابي رجلا ، فقال : مارأيت عينا قط أخرج لظلمة الليل من عينه
ولحظة أشبه بلهب النار من لحظته ؛ له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجرأة
بجرأة الليث إذا غضب .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ؛
لم أر أحدا أرتقّ لخلل الرأي منه ، بعيد مسافة العقل ومراد الطرف ، إنما يرى
بهمته حيث أشار الكرم .

ومدح أعرابي رجلا فقال : ذاك والله فسيح النسب ، مستحكم الأدب ، من
أى أقطاره أتته انتهى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، آمراً بإرشاد ،
وناهياً عن فساد ، لحديث السوء غير منقاد .

وقال أعرابي : إن فلاناً « نعم » للسان قبل أن يخلق لسانه لها : فما تراه الدهر
إلا وكأنه لا غنى له عنك وإن كنت إليه أحوج ؛ إذا أذنبت إليه غفر وكأنه
المذنب ، وإذا أسأت إليه أحسن وكأنه المسى .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : اشترى والله عِرْضَه من الأذى ؛ فلو كانت
الدنيا له فأنتقمها لرأى بعدها عليه حقوقاً ، وكان منهاجاً للأمور المشككة إذا تناجز
الناس باللائمة .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : كان والله يغسل من العار وجوها مسودة ،
ويفتح من الرأي عبونا منسدة .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : ذاك والله ينفع سلبه ولا يستمر ظلمه : إن قال
فعل ، وإن ولي عدل .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : ذاك والله يعنى في طلب المكارم ، غير ضال
في مسالك طرقها ، ولا مُشْتَغِل عنها بغيرها .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : يفوق^(١) الكلمة على المعنى فتمرق مروق السهم
من الرمية ، فما أصاب قتل . وما أخطأ أشوى ، وما عطعظ له سهم منذ تحرك
لسانه في فيه .

وذكر أعرابي أخاه فقال : كان والله ركوباً للأهوال ، غير ألوف لربات
الحِجال ؛ إذا أرعد القوم من غير كز^(٢) ، يهين نفساً كريمة على قومها ، غير
مبقية لغد ما في يومها .

ومدح رجل رجلاً فقال : كأن الألسن ريضت فما تنعقد إلا على ودّه ،
ولا تنطق إلا بثنائه .

(١) في بعض الأصول : يسدد .

(٢) في بعض الأصول : وقر .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله للإخاء وَصولا ، وللبال بَذولا ، وكان الوفاء بهما عليه كفيلا ، فمن فاضله كان مفضولا .

وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : التباعد من حشو الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله من شجر لا يتخلف ثمره ، ومن بحر لا يتخاف كدره .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك والله قبيح زانه الله بالخير ناشئا ، فأحسن لبسه ، وزين به نفسه .

ومدح أعرابي رجلا فقال : يصم أذنه عن استماع الحنا ، ويخرس لسانه عن التكلم به : فهو الماء الشريب ، والمصقع الخطيب .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رجل سبق إلى معروفه قبل طلبه إليه ، فالعرض وافر ، والوجه بمائه ؛ وما أستقل بنعمة إلا أثقلني^(١) بأخرى .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رضيع الجود والمفطوم به ، عني^(٢) عن الفحشاء ، معتصم بالنقوى ؛ إذا خرست^(٣) الألسن عن الرأي حذف بالصواب كما يحذف الأرنب ؛ فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام القوم سابقا .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن جليسه لطيب عشرته أطرب من الإبل على الحداء ، والتمل على الغناء .

وذكر أعرابي رجلا فقال : كان له علم لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه كذب ، كأنه الوئيل عند المحل .

(١) في بعض الأصول : .ه أثقلني . .

(٢) في بعض الأصول : .ه عقيم . .

(٣) في بعض الأصول : .ه حذفت . .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما رأيت أعشق للبروف منه ، وما رأيت
المنكر أبغض لأحد منه ^(١) .

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بني برمك ، فقبل له : كيف رأيتم ؟ قال :
رأيتم قد أنست بهم النعمة كأنها من بناتهم ^(٢) .

قال : وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما زال يبنى المجد ، ويشترى الحمد ، حتى
بلغ منه الجهد .

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف
ما يعرف من الممدوح ، وإنى والله ما رأيت أعشق للكارم فى زمان اللوم
منك . ثم أنشد :

١٠ مالى أرى أبوابهم مهجورة • وكأن بابك تجمع الأسواق
حَبُوكَ أم هابُوكَ أم شاهوا الندى • يديك فاجتمعوا من الآفاق
إنى رأيـتـك للكارم عاشقاً • والمكرُمات قليلة العشاق
وأنشد أعرابي فى مثل هذا المعنى :

لبعض الشعراء

بَلَّتْ المكارمُ وسط بيتك يئها ^(٣) • فتلاذها بك للصديق مُباح
١٥ وإذا المكارم أغلقت أبوابها • يوما فأنت لقفلها مفتاح
وأنشد أعرابي فى بنى المهلب :

لشاعر فى بنى
المهلب

قَدِمْتُ على آلِ المَهْلَبِ شاتياً • قصياً بعيد الدار فى زمن المَحَلِ
فا زال بى لُطافُهم وافقَادُهم • ويرم حتى حسبتهم أهلى

وأنشد أعرابي : لأعرابي فى مثله

٢٠ كأنك فى الكتاب وجدت لاء • محزماً عليك فأتحل

(١) فى بعض الأصول : • بغضه • .

(٢) فى بعض الأصول : • ثيابهم • .

(٣) فى بعض الأصول : • كهفها • .

وما تدرى إذا أعطيت مالا • أن تكبر من سماحك أم تهمل
إذا دخل الشتاء فأنت شمس • وإن دخل المصيف فأنت ظل

لشاعر في عمر
ابن عبد العزيز

وقال أعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز :

مُقابل الأعراق في الطاب الطاب • بين أبي الحاص وآل الخطاب

لشاعر

وأنشد أعرابي :

لنا جَوَادُ أَعَارَ النَّبِيلَ نائله • والنَّيْلَ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةَ النَّبِيلِ
إن بارز الشمس ألقى الشمس مُظْلِمَةً • أوزاحم الصُّمَّ أَلْجَاهَا إِلَى الْمِيلِ
أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ تَأْتِيهِ مُشْكَلَةٌ • وَعِنْدَ لِمَضَائِهِ أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ
والموتُ يَرْهَبُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ • فِي شَدَّةٍ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ

قولهم في الذم

١٠

الأصمعي قال : ذكر أعرابي قوما فقال : أولئك سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ
بِالْهَيْجَاءِ ، وَدُبِغَتْ وَجْرُهُمْ بِاللُّزْمِ : لباسهم في الدنيا الملامة ، وزادهم إلى
الآخرة الندامة .

قال : وذكر أعرابي قوما فقال : لهم بيوت تُدْخَلُ حُبُورًا إِلَى غَيْرِ نِمَارِقٍ
وَلَا وَسَائِدَ ، فَصَحُّ الْأَلْسِنِ بِرَدِّ السَّائِلِ : جُعِدَ الْكَافُ عَنِ النَّائِلِ .

١٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول : لقد صَغُرَ فَلَامًا فِي عَيْنِي عَظَمُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ،
وَكُنَّا نَمُرُّ بِرَأْيِ السَّائِلِ إِذَا أَتَاهُ ، مَلَكُ الْمَوْتِ إِذَا رَأَاهُ .

وسئل أعرابي عن رجل ، فقال : ما ظنكم بِسَكِيرٍ لَا يَفِيْقُ ، يَتَمُ الصَّدِيقُ ،
وَيَعِصِي الشَّفِيقُ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرَمْتُ فِيهِ الصَّلَاةَ ، وَلَوْ أَفْلَتَتْ كَلِمَةٌ
سِوَهُ لَمْ تَصِرْ إِلَّا إِلَهًا ، وَلَوْ نَزَلَتْ لَعْنَةُ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ .

٢٠

وذكر أعرابي قوما فقال : أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجزما
على أصدقائهم ! يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : إن فلانا ليعدي يائمه من تسمى باسمه ، وإن خيبي فرب باقية قد ضاعت في طلب رجل كريم .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : تغدو إليه مراكب الضلالة فترجع من عنده يُدور الآثام ، مُعِدِمٌ عما تُحِبُّ ، مُثَرِّبٌ^(١) بما تُكْرَهُ . وصاحب السوء قطعة من النار

وقال أعرابي لرجل : أنت والله عن إذا سأل الحف ، وإذا سئل سوف ، وإذا حدث حلف ، وإذا وعد أخلف ؛ تنظر نظر حسود ، وتعرض إعراض حقود . وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لما سئل عن سفره : ما رجنا في سفرنا إلا ما قصرنا من صلاتنا ؛ فأما الذي لقينا من الهواجر ، ولقيت منا إلا باعراً ، فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا . ثم أنشأ يقول :

رجعنا سالمين كما خرجنا • وما خابت سرية سالمينا

لشاعر في الهجاء . وقال أعرابي :

لما رأيتك لا فاجراً • قوياً ولا أنت بالزاهد
ولا أنت بالرجل المتقى • ولا أنت بالرجل العابد
عرضتك في السوق سوق الرقيق • وناديت هل فيك من زائد
على رجل خان وذو الصديق^(٢) • كفورٍ بأنعمه جاحد
فما جاءني رجل واحد • يزيد على درهم واحد
سوى رجل زاذني دانقاً • ولم يك في ذاك بالجاهد
فيمتلك منه بلا شاهد • مخافة ردك بالشاهد
وأبت إلى منزلي غائماً • وحلّ البلاء على الناقد

قال : وذكر أعرابي رجلاً ، قال : كان إذا رأني قزب من حاجب
لبيض الأعراب حاجبا ، فأقول له : لا تُقْبِحْ وجهك إلى قُبْحِهِ ، فوالله ما أتيتك لطمع راغباً ،
ولا لحرف راها .

(١) في بعض الأصول : مكر . .

(٢) في بعض الأصول : خائن للصديق . .

وذم أعرابي رجلا فقال : عبد الفعال ، حر المقال ، عظيم الرواق ، ذى الأخلاق ؛ الدهر يرفعه ، ونفسه تضعه .

وذم أعرابي رجلا فقال : ضيق الصدر ، صغير القدر ، عظيم الكبر ، قصير الشبر ، لثيم النَجْر ، كثير الفخر .

٥ وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد ؛ إقبالُ حظهم إقبالُ حظ الكرام ، شجرُ أصوله عند فروعه ، شغلهم عن المعروف رغبتهُم في المنكر . وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك يتيم " ، أعيا ما يكون عند جلسائه أبلغ ما يكون عند نفسه .

١٠ وذكر أعرابي رجلا فقال : ذلك إلى من يداوى عقله من الجهل ، أحوجُّ منه إلى من يداوى بدنه من المرض ؛ إنه لا مرض أوجع من قلة عقل .

وذكر أعرابي رجلا لم يدرك بثأره ، فقال : كيف يدرك بثأره من فى صدره من اللؤم حشو مرفقته ؛ ولو دُقَّت بوجهه الحجارة لرضها ، ولو خلا بالكعبة لسرقها .

١٥ وذكر أعرابي رجلا فقال : تسهر والله زوجته جوعا إذا سهر الناس شبعاً ؛ ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار ، ولا آجل نار ؛ كالبهيمة أكلت ما جمعت ، ونكحت ما وجدت .

٢٠ وسمع أعرابي رجلا يزعم ، فقال : ويحك ! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم ، ولست بواحد منهما ؛ وأراك يخف عليك ثقلُ الذنوب فيحسن عندك مقايح العيوب . وذكر أعرابي رجلا بضعف فقال : سيئ الروية ، قليل التقية ، كثير السعاية ، ضعيف النكايه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه ؛ وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال .

وذكر أعرابي رجلا بذلة فقال : عاش خاملا ومات موتورا .

وذكر قوما فقال : ألبسوا نعمة ثم عروا منها فقال : ما كانت النعمة إلا طيفا لما اقتبها لها ذهبت عنهم .

وذم أعرابي رجلا فقال : هو كعبد القن يسرك شاهدا ويسوءك غائبا .

ودعت أعرابية على رجل فقالت : أمكن الله منك عدوا حسودا ، وفجع بك صديقا ودودا ؛ وسلط عليك ممتا يضنيك ، وجاراً يؤذيك .

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ذى الهمة : ما أحوجك أن يكون عرضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن حدثته يسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكت عنه أخذ في الترهات .

وذكر أعرابي أميرا فقال : يصل النشوة ، ويقضى بالعشوة ، ويقبل الرشوة .

وذكر أعرابي رجلا راكبا هواه ، فقال : والله هو أسرع^(١) إلى ما يهواه ، من الأسن^(٢) إلى راكد المياه ، أقره ذلك أو أغناه .

وقال أعرابي : ليت فلانا أقالني من حسن ظني به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ ؛ ولكن من لم تحكمه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب المدح ، وبالذم إلى من يستوجب المدح .

وقال أعرابي لرجل : هل أنت إلا أنت لم تغير ! ولو كنت من حديد وضعت على أتون محمى لم تذب .

وسمعت أعرابيا يقول لأخيه : قد كنت نهيتك أن تدنس عرضك بعرض فلان ، وأعلمت أنك سميت المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فجأة ، قصير عمر الغنى ، طويل عمر الفقر .

أقبل أعرابي إلى سوار فلم يصادف عنده ما أحب ، فقال فيه :

رأيت لي رؤيا وعبرتها . وكنت للأحلام عبّارا

(١) في بعض الأصول : « أقصد » .

(٢) في بعض الأصول : « الطرق » .

بَأْتِي أُخِيطُ فِي لَيْلَتِي • كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَارًا

وقال أعرابي في ابن عم له يسمى زيادا :

لشاعر في ابن عمه

مَنْ يُبَادِلُنِي قَرِيبًا • يَبْعِدُ مِنْ إِيَادٍ ؟

مَنْ يُقَادِرُ، مِنْ يُطَافِسُ • مَنْ يُنَادِلُ بِزِيَادٍ

وقال سعيد بن سلم الباهلي : مدحني أعرابي ، فاستبطأ الثواب فقال :

في هجاء ابن سلم

لِكُلِّ أَخِي مَذْحِ ثَوَابٍ يُعِدُّهُ • وَلَيْسَ لِمَذْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ

مَدَحَتْ سَعِيدًا وَالْمَذْحِ مَهْزَةً • فَكَانَ كَصَفْوَانٍ ، عَلَيْهِ تُرَابٌ

وقال أيضا :

وإِنَّ مِنْ غَايَةِ حَرْصِ الْفَقَى • طِلَابَهُ الْمَعْرُوفَ فِي بَاهِلِهِ

كَكَيْدِهِمْ وَغَدٌّ وَمَوْلُودُهُمْ • تَلْعَنُهُ فِي قُبْحِهِ الْقَابِلَةُ

وقال أيضا :

سَبَّحَنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا • فَأَبْدَى الْكَبِيرُ مِنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

وقال فيه :

لَمَّا رَأَانَا فَرَّ بَوَّابُهُ • وَأَنْسَدَ مِنْ غَيْرِ يَدٍ بِأَبِهِ

وَعِنْدَهُ مِنْ مَقْتِهِ حَاجِبٌ • يَحْجِبُهُ إِنْ غَابَ حُجَّابُهُ

دخل أعرابي على المساور بن هند وهو على الرمي ، فلم يعطه شيئا ؛ فخرج في هجاء المساور

وهو يقول :

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَةٍ • فَمَا زَالَ يَسْمَعُ حَتَّى ضَرِطَ

وَحَكَّ قَفَاهُ بِكُرْسُوْعِهِ • وَمَسَّحَ عُشُونَهُ وَامْتَنَخَطَ

فَأَتَسَكَّتْ عَنْ حَاجَتِي خِيفَةً • لِأُخْرَى تُقَطِّعُ شَرَجَ السُّفَطِ

فَأَقْسَمُ لَوْ عُذْتُ فِي حَاجَتِي • لِلطَّائِحِ بِالسَّانِحِ وَتَجِ النَّمَطِ

وَقَالَ غَلَطْنَا حِسَابَ الْخَرَاجِ • فَقَاتَ مِنَ الضَّرْطِ جَاءَ الْعَلَامُ

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الضرط جاء الغلط . حتى هرب من غير

٥

١٠

١٥

٢٠

عزل إلى بلاد أصبهان .

في رجل قصير أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير :
يَكادُ خَلِيلِي مِنْ تَقَارُبِ شَخْصِهِ • يَعْضُ الْقَرَادُ اسْتَهُ وَهُوَ قَائِمٌ
وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : ترخى ذيلها على عرقوبتي نعمة ، ونسدت
في امرأة قبيحة خمارها على وجه كالجمالة .

لبعض الأعراب العنبي قال : سمعت أعرابيا يقول : لا ترك الله حُخًا في سُلَامَى ناقة حملتني إليك
وللداعي عليها أحق بالدعاء عليه : إذ كلفها المسير إليك .
وقال أعرابي لابن الزبير لا بُوركت ناقة حملتني إليك . قال : إن صاحبها .
قوله : إن ، يريد « نعم » . قال قيس الرقيات :

وَتَقُولُ شَيْبٌ قَدْ عَلَا • كَ وَقد كبرتَ فقلتُ إِنَّهُ
يريد : نعم .

وذكر أعرابي رجلا ، فقال : لا يؤنس جارا ، ولا يؤهل دارا ،
ولا يُثَقِّبُ ^(١) نارا .

وسأل أعرابي رجلا فخرمه ، فقال له أخوه : نزلت والله بواد غير ممطور ،
وبرجل غير مبرور ^(٢) : فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .

ودخلت أعرابية على حدوده بنت المهدي : فلما خرجت سئلت عنها ، فقالت :
والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا : كأن بطنها قرية ، وكأن ثديها دبة ، وكأن استها
رُقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عَفْرِيَّتَهُ يقاتل ديكاً .

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها : والله إنك لمشرقة الأذنين ، جاحظة
العينين ، ذات خلق متضائل ، يعجبك الباطل ، إن شبت بطرت ، وإن جعت
صخب ، وإن رأيت حسنا دفنفيه ، وإن رأيت سيئا أذعته : تكرمين من حقرتك ،
وتحقرين من أكرمك .

(١) في بعض الأصول : « يبعث » .

(٢) في بعض الأصول : « مسرور » .

وهما أعرابي امرأته فقال :

يا بَكر حواء من الأولاد • وأمّ آلافي من العبادِ
عُمرُك ممدودٌ إلى التَّنادي • فحدّثنا بحديثِ عادِ
والعهدِ من فرعون ذى الأوتاد • يا أقدم العالم في الميلادِ
إني من شخصك في جهادِ

وقال أعرابي في امرأة تزوجها ، وقد خطبها شابة طرية ودسوا إليه عجوزاً :

عجوزٌ تُرجى أن تكون فتية • وقد نحل الجنبان وأحدوذب الظَّهرِ
تدسُّ إلى العطار سلة^(١) أهلها • وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ
تزوجتها قبل المحاق^(٢) بليّة • فكان مُحاقاً كله ذلك الشهرِ
وما غزنى إلا خضابٌ بكفّها • وكلُّ بعينها وأنواها الصُّفرِ
وقال فيها :

ولا تستطيع التكحل من ضيق عينيها • فإن عالجته صار فوق المحاجرِ
وفي حاجبيها حَزّة كغرارة • فإن حلقا كانا ثلاث غرائرِ
وتديان أتما واحد فهو مزود • وآخر فيه قرينة لليسافرِ

وقال فيها :

لها جسم بُرغوث وساقا بعوضة • ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عيناها إذا مارأيتها • وتعيّس في وجه الضجيج وتكلج
لها مضحك كالخس تحسب أنها • إذا ضحكت في أوجه القوم تسلج
وتفتح - لا كانت - فماً لورأيتها • توهمته باباً من النار يُفتح
إذا عين الشيطان صورة وجهها • تعوذ منها حين يمسى ويصبح

(١) في بعض الأصول : • ميرة • .

(٢) في بعض الأصول : • الهلال • .

في سوداء . وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحل في مِرْوِدِها * تَكْحَلُ عَيْنُهَا ببعض جلدِها

وقال فيها :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعدة

لاشك إذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

٥

لكتيف نميب . وقال كثير في نصيب بن رباح ، وكان أسود :

رأيت أبا الحِجَاءِ في الناس حائراً * ولون أبي الحِجَاءِ لون البهائم

تراه على ملاحه من سَوَادِهِ * وإن كان مظلوماً له وجه ظالم

أعرابي وعامل . وقال رجل من العمال لأعرابي : ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة ؟

فقال له : فإن عرفت أتجعل لي على نفسك مسألة ؟ قال : نعم . قال :

١٠

إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تُضَيِّعُ

قال : صدقت ، هات مسألتك ؟ قال له : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك ؟

١٥

قولهم في الغزل

بعض الأعراب . ذكر أعرابي امرأة فقال : لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل

عضو منها شمس طالعة .

وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها

وما نقص منه .

٢٠ وقال أعرابي في امرأة ودعها للسير : والله ما رأيت دمعاً تفرق من عين

يأتمد على دياج خد ، أحسن من عبرة أم طرتها عيناها فأعشب لها قلبي .

قال : سمعت أعرابياً يقول : إن لي قلباً مروعا ، وعينا دموعا ؛ فإذا يصنع

كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داهما ، دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟

وقال أعرابي : دخلت البصرة ، فرأيت أعينا دُججا ، وحواجب زُججا ، يسحب
التياب ، ويسلبن الألباب .

وذكر أعرابي امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزينا القمر ، فلما غاب أدنيتيه ،
قلت له : فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ^(١) ما أحل الله مما حرم الإشارة بغير
باس ، والتقرب من غير مساس . ٥

وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفظام النفس
عن الصبا ؛ ولقد تقطعت كبدى للعاشقين . لوم العاذلين قرطة في آذانهم ،
ولوعات الحب جيرات على أبدانهم ^(٢) ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني .
وذكر أعرابي امرأة فقال : لقد نعمت عينٌ نظرت إليها ، وشقى قلب تفجع
عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بي طرفها ، ويتجهمني لسانها .
قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ قال : إني ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ،
فأجد لذكرها ريح المسك . ١٠

وذكر أعرابي نسوة خرجن متنزهات ، فقال : وجوه كالدنانير ، وأعناق
كأعناق البعافير ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة
تعلق ، وكم أسير لمن وكم مطلق . ١٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول اتبعت فلانة إلى طرابلس ^(٣) الشام ؛ والحريص
جاحد ، والمُضِل ناشد ؛ ولو خضت إليها النار ما ألتها ^(٤) .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الهوى هوان ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف
من يقول ، من أبكته المنازل والطلول . ٢٠

(١) في بعض الأصول : « أعذب » .

(٢) في بعض الأصول : « نيران في أبدانهم » .

(٣) في بعض الأصول : « أطوار » .

(٤) في بعض الأصول : « ما المستها » .

وقال أعرابي : كنت في شبابي أعضّ على الملام ، عضّ الجواد على اللجام ،
حتى أخذ الشيب بعنان شبابي .

وذكر أعرابي امرأة فقال : إن لسانى لذكرها لذلول ، وإن حبها لقلبي
لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

- وصف أعرابي نساء يلاغة وجمال ، فقال : كلامهنّ أقتل من النبل ، وأوقع
بالقلب من الويل بالمحل ؛ فروعهنّ أحسن من فروع النخل .

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي : فكلما
بكى قبلته : فأنشأ يقول :

يا ليتني كنت صبيّاً مُرضِعاً • تحملى الذلفاء حولاً أكتماً

- ١٠ إذا بكيتُ قبلتني أربعا • فلا أزال الدهر أبكى أنجما

وأنشد أبو الحسن علي بن عبد العزيز بمكة لأعرابي :

جارية في سَفَوان دارها • تمشي الهوينا مائلاً خمارها

قد أعصرت أوقدنا أعصارها • يطير من غلبتها إزارها

العتي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء ، فقال : تبسم عن خمش اللثات ،

- ١٥ كأفاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه .

وقال العتي : خرجت ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها : فزال

أصدع الليل حتى أنصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت :

يا هذا ، أما لك ناه من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله

ما يراني إلا الكواكب . قالت : فأين مكوكبها .

- ٢٠ ذكر أعرابي امرأة فقال : هي السقم الذي لا بُرء معه ، والبُرء الذي لا سقم

معه ؛ وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما .

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مأتم :

بَصْرِيَّةٌ لم تُبهر العينُ مثلها • غدثٌ بياضٌ في ثيابٍ سوادٍ

عَدَوْتُ إِلَى الصَّحراءِ تَبْكِينَ هَالِكًا . فَأَهْلَكْتَ حَيًّا ، كُنْتَ أَشَامَ عَادِ
فِيَارِبُ خَذَلِي رَحْمَةً مِنْ قُوَادِمِهَا . وَحُلْ بَيْنَ عَيْنَيْهَا وَبَيْنَ قُوَادِي
وَقَالَ فِي جَارِيَةٍ وَدَّعَهَا :

مَالَتْ تُودِّعُنِي وَالسَّمْعُ يَغْلِبُهَا . كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْفُصَيْنِ
ثُمَّ آسَمَرْتُ وَقَالَتْ وَهِيَ بِأَكْبَرَةٍ . يَالَيْتَ مَعْرِفِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنْ
الْعَتَبِي قَالَ : أَنْشُدْ أَعْرَابِي :

يَا زَيْنَ مَنْ وَلَدَتْ حَوَاءَ مِنْ وَلَدٍ . لَوْلَاكِ لَمْ تَحْسُنِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَطِيبِ
أَنْتِ الَّتِي مِنْ أَرَاهُ اللَّهُ صُورَتَهَا . نَالَ الْخُلُودَ فَلَمْ يَهْرَمْ وَلَمْ يَشِبْ
وَأَنْشُدِ الرِّيَاشِي لِأَعْرَابِي :

مِنْ دِمْنَةٍ خُلِقْتَ عَيْنَاكَ فِي هَهْنٍ . فَمَا يُرَدُّ الْبُكَاءُ جَهْلًا مِنَ الدَّمَنِ
مَا كُنْتَ لِلْقَلْبِ إِلَّا فِتْنَةً عَرَضَتْ . يَا حَبِذَا أَنْتِ مِنْ مَعْرُوضَةِ الْفِتَنِ
تَسَى سَلَى وَأَجْزِيهَا بِهِ حَسَنًا . فَمِنْ سِوَايَ يُجَازِي السُّوءَ بِالْحَسَنِ
قَالَ وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَصِفُ امْرَأَةً ؛ فَقَالَ : يَبْضَاءُ جَفْدَةً ، لَا يَمَسُّ الثَّوْبُ
مِنْهَا إِلَّا مُشَاشَةً كَكَنْفِهَا ، وَحَلَّتْ ثَدْيَيْهَا ، وَرَضَعَتْ رُكْبَتَيْهَا ، وَرَانِفَتْ
أَلَيْنَهَا . وَأَنْشُد :

أَبَتْ الرُّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا . مَسَّ الْبَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرًا
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ . نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجْنًا غَيُورًا

وَقَالَ أَعْرَابِي : لَيْتَ فَلَانَةٌ حَظِي مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ يَرُثُهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبِضَ
الْليلِ بَصْرِي دُونَهَا ؛ وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْقَى مِنَ الظَّمَا .

وَذَكَرَ أَعْرَابِي امْرَأَةً فَقَالَ : تِلْكَ شَمْسٌ بَاهَتْ الْأَرْضَ شَمْسَ سَمَائِهَا ، وَلَيْسَ لِي
شَفِيعٌ فِي اقْتِضَائِهَا ، وَإِنْ نَفْسِي لَكُنُومٌ لَدَائِهَا ، وَلَكِنَّا تَفِيزُ عِنْدَ امْتِلَائِهَا .

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى حَبِيبٌ فَقَالَ :

وَيَا شَمْسَ أَرْضِيهَا الَّتِي تَمُّ نَوْرُهَا . فَبَاهَتْ بِهَا الْأَرْضُ شَمْسَ سَمَائِهَا

شكوتُ وما الشكوى لمثلِي عادة . ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائها
وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :
نعم ، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة ؛ إن أطعمته شيئاً أحبها ، وإلا فلا :
كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا ، ويفرح إن رأى من رآها ، وإن
ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا للأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ،
وبعدها وتعهده فإذا اجتمعا لم يشكوا أحبا ، ولم ينشدا شعرا ، ولكن يرفع رجلها
ويطلب الولد .

وقال أعرابي :

شكوتُ ! فقالت : كلُّ هذا تَبَرُّماً . يَحْيى ! أراح الله قلبك من حُبِّي
فلما كنتُ الحبَّ قالت : لشدَّما . صبرتُ ! وما هذا بفعلٍ شجى القلب !
وأذنو فتقصيني ، فأبعدُ طالبا . رضاها ، فتعتدُّ التَّباعُدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوئها . وتجزعُ من بُعدي ، وتنفرُ من قُرْبِي
فيا قوم هل من حيلةٍ تعلوونها . أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربِّي

قولهم في الخيل

الاصمعي قال : سمعتُ أعرابيا يقول : خرجت علينا خيلٌ مستطيرة النقع .
كأنَّ هودايا أعلام ، وآذانها أطرافُ أقلام ، وفرسانها أسودُ آجام .

أخذ هذا المعنى عدى بن الرقاع فقال :

يخرُجن من فُرجاتِ النقعِ داميةً . كأنَّ آذانَها أطرافُ أقلامٍ
وقال أعرابي : خرجنا حفاةً حين انتعل كلُّ شيءٍ بظله ، وما زادنا إلا التوكل
ولا مطايانا إلا الأرجل ؛ حتى لحقنا القوم .

وذكر أعرابي فرساً وسرعته ؛ فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطانا في
أشطان ، فلما أرسلت لمع لمع البرق ؛ فكان أقربها إليه الذي تقع عينه [من
بعده] عليه .

وقال أعرابي في فرس الأعور السلي :

مرّ كلّ مع البرقِ سامَ ناظِرُهُ • يسبحُ أولاده ويطعمُ آخرَهُ
فما يَمْسُ الأرضَ مِنْه حافرُهُ

سئل أعرابي عن سوابق الخيل ، فقال : الذي إذا مشى رَدَى ، وإذا عدادحا ؛

وإذا استقبل ألقى ، وإذا استدبر جَيَّ ^(١) ، وإذا اعترض استوى .

وذكر أعرابي خيلا ؛ فقال : والله ما انحدرت في وادٍ إلا ملأت بطنه ،

ولا ركبت بطنَ جبل إلا أسهلت حزنه .

وقال أعرابي : خرجت على فرس يخال اختيال النشوان ، نسوف للحزام ؛

مُهارش للجام ؛ فما متع النهار حتى أمتعنا برف ورفاهة .

قولهم في الغيث

الأصمعي قال : قلت لأعرابي : أي الناس أوصفُ للغيث ؟ قال : الذي

لامرئ القيس
وعبيد بن
الأبرص

يقول - يعني امرأ القيس - :

دِيمَةُ هَطْلَاءٍ فِيهَا وَطْفٌ • طَبَقَ الْأَرْضِ تَحْرَى وَتَدَرُ

قلت : فبعده مَنْ ؟ قال : الذي يقول - يعني عبيد بن الأبرص - :

يَا مَنْ لِبَرْقِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ • فِي عَارِضٍ مَكْفَهْرٍ الْمَزْنِ دَلَّاجِ

دَانٍ مُسْفٌ فَوْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ • يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاجِ

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أصابتك سماء في وجهك

سليمان وأعرابي

يا أعرابي ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة ^(٢) طَافِيَاءٌ وَطَفَاءٌ ؛ كأن

هواذيلها الدلاء ، مرجعنة النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ؛

كثير زَجَلْهَا ، قاصف رعداها ، خاطف برقها ، حثيث ودقها ، بطي سيرها ؛

مُشْتَعِجِرٌ قَطَرُهَا ، مظلم نورها ؛ قد لجأت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصوله

(١) في بعض الأصول : جنأ .

(٢) في بعض الأصول : سماء .

بأظلافها ، متجمعة بعد شتائها ؛ فلو لا اعتصامنا يا أمير المؤمنين ببعض الشجر ، وتعلقنا بقن الجبال ، لكنا نجفاء في بعض الأودية ولقم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسأ لها في أجلك ، فهذا يبركتك وعادة الله بك على رعبتك ، وصلى الله على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أيك ، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن كانت محبرة لقد أجدت . قال : بل محبرة مزورة " يا أمير المؤمنين . قال : يا غلام أعطه ؛ فو الله لصدقه أعجب إلينا من صفته .

قيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : قصور يبيض في حدائق خضر .
وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : بيضة في روضة غب سارية والشمس مكبدة .

وقال أعرابي : لقد رأيت بالبصرة بروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع ، فهي تروع واللابس لها أروع .

العنبي قال : سمعت أعرابياً يقول : مررت ببلد ألقى بها الصيفُ بعاغه ، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أرجائه ، وقد نفت الريح القذى عن مائه ؛ فكأنه سلاسل درع ذات فضول .

وأشدد أبو عثمان الجاحظ لأعرابي :

أين إخواننا على السراء . أين أهل القباب والدهناء
جاورنا والأرض ملبسة نو . ر إقحاح يُجَاد بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد . تضحك الأرض من بكاء السماء

ابن عمران المخزومي قال : أتيت مع أبي والياً على المدينة من قريش ، وعنده

أعرابي يقال له ابن مطير ، وإذا مطر جود ؛ فقال له الوالي : صفه ؛ فقال : دعني أشرف وأنظر . فأشرف ونظر ، ثم قال :

كثرت لكثرة وذقه أطباؤه . فإذا تحلب فاضت الأطباء

وله ربابٌ هَيْدَبٌ لَرِيقِهِ • قَبْلَ التَّبَعِ دِيمَةٌ وَطَفَاءُ
وَكَاثٌ بَارِقُهُ حَرِيقٌ تَلْتَبِقُ • رِيحٌ عَلَيْهِ وَعَرْفَجٌ وَأَلَاءُ
وَكَاثٌ رَيْقُهُ وَلَمَّا يَخْتَفِلُ • وَذُقَ السَّمَاءُ عِجَاجَةً طَخِيَاءُ
مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعِيرٍ • بِمَدَامَعٍ لَمْ تُنْمِرْهَا الْأَقْدَاءُ
فَلَهُ بِلا حَزَنٍ وَلَا بِمِسْرَةٍ • ضَحِكَ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ
حَيْرَانٍ مُتَّبِعٌ صَبَاهُ تَقْوَدُهُ • وَجَنُوبُهُ كَفٌ لَهُ وَرِهَاءُ
ثَقُلَتْ كُلَاهُ فَبَهَرَتْ أَصْلَابُهُ • وَتَبَعَجَتْ عَنْ مَائِهِ الْأَحْشَاءُ
غَدَقَتْ تَبَعَجَ بِالْأَبَاطِيحِ مُزَقَّتْ • تِلْكَ السُّيُولُ وَمَالُهَا أَشْلَاءُ
غُرٌّ مُحَجَّالَةٌ دَوَالِجُ صُمْنَتِ • حَمَلَ اللَّفَاجَ وَكُلَّهَا عَذَاءُ
مُحَمٌّ فَهَنْ إِذَا عَبَسَتْ فَوَاحِمٌ • سَوْدٌ، وَهَنْ إِذَا ضَحِكَنْ وَضَاءُ
لَوْ كَانَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاوِلِ مَأْوُهُ • لَمْ يَبْقَ فِي لُجَجِ السَّوَاوِلِ مَاءُ

قَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأَعْرَابِيٍّ : أَخْرَجَ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرَى السَّحَابَ . فَخَرَجَ
يُصَفِّهِ السَّحَابَ
فَنَظَرَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ : سَفَاتِنٌ ، وَإِنْ احْتَمَعَتْ فَعَيْنٌ .

قَوْلُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْإِيجَازِ

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَنْ أَبْلَغَ النَّاسَ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ لَفْظًا وَأَسْرَعُهُمْ بَدِيهَةً .
لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ
الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : خَطَبَ رَجُلٌ فِي نِكَاحٍ فَأَكْثَرَ وَطَوَّلَ ، فَقِيلَ : مَنْ يَجِيبُهُ ؟
قَالَ أَعْرَابِيٌّ : أَمَّا . قِيلَ لَهُ : أَنْتَ وَذَاكَ ؟ فَالْتَفَتَ إِلَى الْخَاطِبِ فَقَالَ : إِنْى وَاللَّهِ
مَا أَنَا مِنْ تَخْطِيطِكَ وَتَمْطِيطِكَ فِي شَيْءٍ ؛ قَدْ مَتَّ بَحْرَمَةً ، وَذَكَرْتَ حَقًّا ، وَعَظَّمْتَ
مَرْجُوًّا ؛ خُبْلَكَ مَوْصُولٌ ، وَفَرْضُكَ مَقْبُولٌ ، وَأَنْتَ لَهَا كَفٌّ كَرِيمٌ ، وَقَدْ
أَنْكَحْتَاكَ وَسَلَّمْنَا .

وَتَكَلَّمَ رَيْعَةُ الرَّأْيِ يَوْمًا فَأَكْثَرَ ، فَكَانَ الْعُجْبُ دَاخِلَهُ ، وَأَعْرَابِيٌّ إِلَى جَنْبِهِ ،
وَأَعْرَابِيٌّ
فَأَقْبَلَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ : مَا تَعْمَدُونَ الْبَلَاغَةَ يَا أَعْرَابِيٌّ ؟ قَالَ : قُلَّةُ (١) الْكَلَامِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : • حَذَفَ ، .

وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم !
فكأنما ألقمه حجرا .

شيب وأعرابي شيب بن شيبه قال : لقيت أعرابيا في طريق مكة ، فقال لي : تكتب ؟ قلت : نعم . قال : وممك دواة ؟ قلت : نعم . فأخرج قطعة جراب من كفه ، ثم قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عقيب الطائي •
لأمتيه لؤلؤة : إني أعتقتك لوجه الله واقتحام العقبة ، فلا سبيل لي ولا لأحد عليك إلا سبيل الولاء ، والملة علىّ وعليك من الله وحده ، ونحن في الحق سواء ثم قال : آكتب شهادتك .

روى أن أعرابيا حضر مجلس ابن عباس ، فسمع عنده قارئاً يقرأ : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها وهو يرجعكم إليها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

لبعض الأعراب قيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قل : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وقيل لأعرابي : كم بين بلد كذا وبلد كذا ؟ قال : نَعْمُرُ ليلةً وأديمُ يوم . ١٥
✓ وقال آخر : سوادُ ليلةٍ وبياضُ يوم .

✓ وقيل لأعرابي : كيف كتبتك للسر ؟ قال : ما صدرى له إلا قَبْرٌ .

ماوية وأعرابية قال معاوية لأعرابية : هل من قِري ؟ قالت : نعم . قال : وما هو ؟ قالت :
خُبْزٌ تخير ، ولبنٌ فطير ، وماءٌ نمير .

✓ وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : كنّا بين قِدرٍ تفور ، وكأسٍ تدور ، ٢٠
وحديث لا يحور .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : شدة الرعدة ، وقرصاء القعدة ،
وذَرَبَ المعدة .

وقيل لأعرابي : مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث . قيل له : ما معناه ؟
قال : إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى !

وقال : أضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى : فرفع رأسه
إليه متشكراً فقال : ما أدري ما أقول لك وما أقول فيك : أقول رفعتك الله !
فقد رفعتك : أم أقول : نورك الله ! فقد نورك : أم أقول : حسنك الله ! فقد
حسنك : أم أقول : عمرك الله ! فقد عمرك : ولكني أقول : جعلني الله فداك !
وقيل لأعرابي : ما تقول في ابن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك .

وقيل لأعرابي وقد أدخل ناقته في السرق ليبيعها : صف لنا ناقتك . قال :
ما طلبتُ عليها قط إلا أدركتُ ، وما طلبتُ إلا فتُ . قيل له : فلم تبيعها ؟ قال :
لقول الشاعر : ١٠

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ عارٍ * كرائمَ من ربِّ يهنُ ضنينُ

وقيل لأعرابي : كيف ابك ؟ وكان به عاقا : قال : عذابٌ لا يقاومه الصبر ،
وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليقني قد استودعته القبر .

قيل لشریح القاضي : هل كلك أحد قط فلم تطلق له جوابا ؟ قال ما أعلمه
إلا أن يكون أعرابيا خاصم عندي ويشير بيديه ، فقلت له : أمسك ، فإن لسانك
أطول من يدك ! قال : ١٥

أسامري أنت لا تُمس

وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : حُرُّ الوحش لا تحتاج
لبعض الأعراب إلى يطار .

وقال أعرابي يصف خاتما - فقال : سُيِّف تدوير حَلَقَتِهِ ، ودُور كُرْمِي فضته ،
وأَحْكَم تَرْكِيبِهِ ، وَأَتَقَنَ تَدْبِيرُهُ ، فِيهِ يَتَمُّ الْمَلِكُ ، وَيَنْفُذُ الْأَمْرُ ، وَيُكْرَمُ الْكِتَابُ
وبشرف المكتوب إليه . ٢٠

لبعض الأعراب
في الخاتم

وقال آخر يصف خاتماً :

وأيضُ أَمَا جِسْمُهُ فَمُنَوَّرٌ ۝ وَأَمَّا رَأْسُهُ فَمُعَارُ
وَلَمْ يُكْنَسْ إِلَّا لَتُسْكَنْ وَسْطُهُ ۝ بِزِيْعَةِ رَأْسٍ مَا عَلَيْهِ خَارُ
لَهَا أَخَوَاتٌ أَرْبَعٌ هُنَّ مِثْلُهَا ۝ وَلَكِنِهَا الصُّغْرَى وَهُنَّ كِبَارُ

قوله في المناكح

٥

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال : تزوج رجل من
الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب
القديمة فتقول :

وَمَا يَسْتَوِي الرَّجُلَانِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ ۝ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ

١٠

ثم مرت بعد أيام فقالت :

وَمَا يَسْتَوِي الثَّوْبَانِ ثَوْبٌ بِهِ الْبِلَى ۝ وَثَوْبٌ بِأَيْدِي الْبَائِعِينَ جَدِيدٌ

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت :

نَقْلٌ فَوَادِكَ حَيْثُ شِدَّتْ مِنَ الْهَوَى ۝ مَا الْقَلْبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ بِأَلْفِهِ الْفَتَى ۝ وَحَيْثُ أَهْلُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

١٥

الأصمعي قال : أخبرني أعرابي قال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة

أعرابي وولي
امرأة

فزوجوه : فقال رجل لولي المرأة : نَعَمْ لَكُمْ فَلَانِ فزوجهوه ! فقالوا : ما نعلم

لنا حتى تبرقنا له .

أبو حاتم عن الأصمعي قال : قالت أعرابية لبنات عم لها : السعيدة منكن

لأعرابية تنصع
بنات عمها

من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بدين وكلين وغيرين ورَحِيَيْنَ ، فَيُدِبُ التَّيْسَانِ ،

٢٠

وَيَنْهَقُ الْعَيْرَانِ ، وَيَنْجُ الْكَلْبَانِ ، وَتَدُورُ الرِّجَالُ ، فَيَعْبُجُ الْوَادِي : وَالشَّقِيَّةُ

منكن من يتزوجها الحضري ، فيكسرها الحرير ، ويطعمها الخبز ، ويحملها ليلة

الزفاف على عود - تعني : سرجا .

الأصمعي قال . سمعت أعرابياً يُشارُ امرأته ، فقالت لها أخته . أما والله أيامَ شرخه

إذ كان ينكتك كما ينكت العظم عن عته ، لقد كنت له تبوعا ، ومنه سمعنا ؛ فلما
لان منه ما كان شديدا ، وأخلق منه ما كان جديدا ، تغيرت له ا وايم الله لن
كان تغير منه البعض . لقد تغير منك الكل .

لأعرابي في
زوجته

وقيل لأعرابي : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على الفراش
فدنت يدها إلى صدرى ، فوددت والله أن أجرة خزت من السقف ففدت يدها
وضلعين من أضلاع صدرى ا ثم أنشأ يقول :

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتى • ولكن قرين السوء باقٍ معمرُ
فباليته صارت إلى القبر عاجلاً • وعذبها فيه نكيرٌ ومنكرُ

لآخر في مثله

وتزوج أعرابي امرأة ، فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت في السن ،
فقال له : ألم تكن تُرضى إذا غضبت ، وتُعتب إذا عتبت ، وتُسفق^(١) إذا أبيت ؛
فما بالك الآن ؟ قال : ذهب الذى كان يُصلح بيننا .

الأصمعى
وأعرابي طلق
زوجته

الأصمعى قال : كنت أخلف إلى أعرابي أقبس منه الغريب ، فكنت إذا
استأذنت عليه يقول : يا أمانة ، إيذنى له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مرارا
فلم أسمع يذکر أمانة : فقلت له : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمانة منذ حين ا
قال : فوجم وجهه ندمت على ما كان منى ؛ ثم قال :

طعنت أمانة بالطلاق • ونجوت من غلّ الوثاق
بانن فلم يَألم لها • قلبى ولم تدمع مآقى
ودواء ما لا تشتهى • به النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب يده • بن اثنين فى غير اتفاق
لو لم أرخ بفراقها • لأرخت نفسى بالإباق

٢٠

لأعرابي طلق
امرأته

الأصمعى قال : تزوج أعرابي امرأة فأذنته وافندى منها بجمار وجبة ، فقدم
عليه ابن عم له من البادية : فسأله عنها : فقال :

(١) فى بعض الأصول : « وتسعد » .

خَطَلْتُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِلْحَيْنِ بَلَّتَهُ • فَأَدْخَلَهَا مِنْ شِقْوَتِي فِي جَبَالِيَا
فَأَقْتَنَنْتِي مِنْهَا حِمَارِي وَجُبَّتِي • جَزَى اللَّهُ خَيْرًا جُبَّتِي وَحِمَارِيَا

لأعرابي بين
يدي زمان

الاصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعرابي ؛ فقال :
أصلح الله الأمير ؛ إن خيرَ عُمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ويثوب حله ،
ويجتمع رأيه ؛ وإن شرَّ عُمر المرأة آخره ؛ يسوء خلقها ، ويحج لسانها ، وتعم
رحمها ؛ قال له : صدقت ، اسفح يدها .

لبعض الأعراب
في مثله

قال : وذكرْتُ أعرابية زوجها وكان شيخاً ؛ فقالت : ذهب ذفره ، وبقي
بخره ، وفتر ذكره .

الاصمعي قال : كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أي ضرب
تريدها ؟ قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتي ولدها في جهلها وطول . فتزوجها
على تلك الصفة ، فجاء ولدها في قصرها وقبحه ؛

قدم أعرابي من طي فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته ينتجمان ، فقالت له :
من أنعم عيشاً ، أنحن أم بنو مروان ؟ قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاماً ،
إلا أنا أردأ منهم كسوة ؛ وهم أظهر منا نهاراً إلا أنا نحن أظهر منهم ليلاً .

الاصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ؟
قال : خيراً ، كبا الله لوجهها ولو أمر بي إلى السجن ؛

الاصمعي قال : استشارت أعرابية في رجل تزوجه ، فقيل لها : لا تفعل
فإنه وُكَلَّةٌ مُنَكَلَةٌ ، يأكل خِلَلَه أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل .
قال أبو حاتم : هو الخلالة . ووكله تنكته : إذا كان يكل أمره إلى الناس
ويتكل عليهم .

العتي قال : خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى آبتيه . وكان للخطاب
امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ؛ قال أبوها : ولم ؟ قالت : يوم عتاب ،
ويوم اكتتاب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب ؛ قالت الصغرى : زوجنيه ؛ قال لها :

على ما سمعت من أختك ؟ قالت : نعم ، يوم تزّين ، ويوم تسمن ، وقد تهر فيا
بين ذلك الأعين .

لأعرابية ترقص
طفلا

الأصمعي قال : رأيت امرأة ترقص طفلا لها ، وتقول :
أحبه حبّ الشحيح ماله * قد كان ذاق الفقر ثم ناله
إذا أراد بذله بدا له

٥

أعرابية فقدت
زوجها

الأصمعي قال : هلك أعرابي ، فأدمنت امرأته البكاء عليه . فقال بعض بنينا :
أتفقدين من أينا غيرة * أتفقدين نفعه وخيرة
أراك ما تبكين إلا أيرة

فأمسكت عن البكاء .

أعرابية وأعرابي
ينظر إلى ابنتها

جلس أعرابي إلى أعرابية ، فعلمت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها ،
فأنشأت تقول :

١٠

وما نلت منها غير أنك نائمك * بعينيك عينيها وأيرك خائب

لبعض الأعراب

الرياشي قال : أنشدني العتي لأعرابي :

ماذا تظن بسلمي إن ألم بها * مرّجل الرأس ذو بُردين مزّاح
حلّو فكاهته خزّ عمامته * في كفه من رقي إبليس مفتاح

١٥

أعراب وامرأة
خطبها

أبو حاتم عن الأصمعي قال : خطب أعرابي امرأة ، فقالت : سل عني
بنى فلان وبنى فلان . قال لها : وما عليهم بذلك ؟ قالت : في كلهم نكحت
وكنت ، قال : أراك جلفنة قد خزمتك الخزام ، قالت : لا ، ولكن جواله
بالرجل عتريس .

٢٠

تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذات مال ، فكان يصبر عليها
لما لها ، ثم ملأها وتركها ، وكتب إليه تسترده ، فكتب إليها يقول :

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلا وضرب الرقاب

فكتب إليه : إنه واقعه ما يريد قيس غير طعن الكلا !

أعرابي خاطب المفضل الضبي قال : خطب أعرابي امرأة ، فجعل يخطبها ويُنعظ ، فضرب ذكره يده وقال : مه ! إليك يساق الحديث . فأرسلها مثلاً .

أبو البيداء
على بن عبد العزيز قال : كان أبو البيداء عتيماً ، وكان يتجلد ويقول لقومه :
زوّجوني امرأتين ! فيقال له : إن في واحدة كفاية . فيقول : أقمالي فلا ! فقالوا :
نزوّجك واحدة ، فإن كفتك وإلا زوّجناك أخرى . فزوّجوه أعرابية ، فلما دخل
بها أقام معها أسبوعاً ، فلما كان في اليوم السابع أتوه ، فقالوا له : يا أبا البيداء ،
ما كان أسرك في اليوم الأول ؟ قال : عظيم جداً ! قالوا : ففى الثاني ؟ قال : أجل
وأعظم ! قالوا : ففى الثالث ؟ قال : لا تسألوا ! فأجابت المرأة من وراء
الستر ، فقالت :

١٠ كان أبو البيداء يندو في الوهق • حتى إذا أدخل في بيت أبى
فيه غزال حسن اللدّ خرق • مارسه حتى إذا أرفض العرق
آنكسر المفتاح وأنسد الغلق

لأعرابي في امرأته
كانت لأعرابي امرأة لا تُرد يد لأمس : فقيل له : مالك لا تفارقها ؟ قال :
إنها حسنة ، فلا تُفرك ، وأم بنين فلا تُترك .

١١ قال شيخ من الأعراب :
أنا شيخ ولى امرأة عجوز • تراودنى على ما لا يحوز
تريد أنيكها في كلّ يوم • وذلك عند أمشال عزيز

وقالت دقّ أيرك مذ كبرنا • فقلت لها بل اتسع القفيز

الأصمعي قال : قال أعرابي في امرأة تزوّجها ، وقد تزوّجت قبله خمسة ،
وتزوّج هو قبلها أربعاً ، فلاحته يوماً ، فقال فيها :

٢٠ لو لابس الشيطان ما ألابس • أو مارس الغول التي أمارس
لأصبح الشيطان وهو عابس • زوّجها أربعة عمارس
فانفلتوا منها ومات الخامس • وساقى الحين فهانا السادس

وقال فيها :

بُؤَيُوزِلْ أَعْوَامٌ أَذَاعَتْ بِخَمْسَةِ * وَتَعْتَدُنِي - إِنْ لَمْ يَقِِ اللَّهَ - سَادِيَا
وَمَنْ قَبْلَهَا غَيَّبَتْ فِي التَّرْبِ أَرْبَعَا * وَأَعْتَدُهَا مُدَّ جَسْتُهَا فِي رَجَائِيَا
كَلَانَا مُطْلٌ مَشْرِفٌ لِنَيْمَةِ * يَرَاهَا وَيَقْضِي اللَّهُ مَا كَانَ قَاضِيَا

٥ وقال أعرابي :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عِبَالًا دَرْدَقًا * مُقَرَّقِينَ وَعَجُوزًا شَمْلَقًا
الدردق : الصغار . والمقرقم : البطي . الشباب . والشملق السبته الخلق .

قولهم في الإعراب

الاصمعي قال : قلت لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء !
قلت له : أفنجز فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوى .
١٠

وسمع أعرابي إماما يقرأ : وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، قال : ولا إن
آمَنُوا أيضاً ، لا ننكحهم . فقيل له : إنه يلحن ، وليس هذا يُقرأ . فقال : أئخروه
قبه الله ! ولا تجعلوه إماما : فإنه يُجْلُ ما حَزَمَ الله .

وسمع أعرابي أبا المكنون النحوى وهو يقول في دعائه يستسقى : اللهم ربنا
وإلهنا وسيدنا ومولانا ، صلِّ على محمد نبينا : [اللهم] ومن أراد بنا سوءاً فأحط
١٥ ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد ، ثم أرسخه على هامسته كرسوخ السَّجِيلِ
على هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا عينا مريئاً مريعاً مُجْلِجِلاً مُسْحِفِراً هزجاً سخاً
سَفُوحاً طَبِقاً غَدَقاً مُثَعِّنِجاً صَخِباً نَافِعاً لِعَاقَتِنَا وَغَيْرَ ضَارٍ بِخَاصَّتِنَا . فقال
الأعرابي : يا خليفة نوح ، [هذا] الطوفان ورب الكعبة ، دعنى حتى آوى إلى
٢٠ جبل يعصنى من الماء .

الاصمعي قال : أصابت الأرض مجاعة : فلقبت رجلاً منهم خارجاً من
الصحراء كأنه جذعٌ محترق فقلت : أنقرأ في كتاب الله شيئاً ؟ قال : لا . قلت :
فأعليك ؟ قال : ما شئت . قلت : اقرأ (قل يا أيها الكافرون) . قال : كل بأبيها

الكافرون . قلت : [قُلْ] (قل يا أيها الكافرون) كما أقول لك . قال : ما أجد لسانى ينطق بذلك .

قال : ورأيت أعرابيا ومعه بُنَى له صغير ممسك بقم قربة ، وقد خاف أن تعليه القربة : فصاح : يا أبت ، أدرك فأها ، علبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها !

قوله فى الدين

قال أعرابى : الدين ذل بالنهار ومم بالليل .

لبعض الأعراب

وقال أعرابى فى غرماء له يطلبونه بدين :

لبعض الشعراء
فى غرماء .

جاءوا إلى غضاباً يلغظون معاً . فقلت موعدكم دار ابن هبّار

وما أواعدهم إلا لأذرأهم . عنى فيخرجنى نقضى وإمرارى

وما جلبت إليهم غير راحلة . تتخدى برحلى وسيف جفنه عارى

إن القضاء سيأتى دونه زمن . فاطو الصحيفة واحفظها من النار

الأصمعى قال : كان لرجل من يحضّب على رجل من باهلة دين : فلما حل دينه

هرب الأعرابى وأنشأ يقول :

إذا حل دينُ اليحْصبيّ فقل له . تزوّذ بزادٍ واستعزّ بدليل

سيصبح فوقى أقمم الریش واقعاً . بقالى قلاً أو من وراء ديل

الأصمعى قال : فأخبرنى رجل أنه رآه مقتولاً بقالى قلاً وعليه نسر أقمم الریش .

قال الأصمعى : آخضهم أعرابيان إلى بعض الولاية فى دين لأحدهما على صاحبه :

ببعض أعرابيين

فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعناق ، فقال له المدعى : دعنى من هذه الأيمان

وأخلف بما أقوله لك : لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلّفا يتبع ظلّفا :

وحثك من أهلك ومالك حتّى الورق من الشجر ، إن لم يكن لى هذا الحق قبلك !

فأعطاه حقه ولم يحلف له .

الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها أعرابى أبداً : لا أورد الله لك صادرة ،

ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك .

قولهم في النوادر والملح

أبو العباس
وأعرابي

الشياني قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين منزهاً بالأنبار ، فأمن في
نزهته وانتبذ من أصحابه : فوافي خباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟
قال : من كنانة . قال : من أي كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة . قال :
فأنت إذاً من قريش ! قال : نعم . قال : فمن أي قريش ! قال : من أبغض قريش
إلى قريش ، قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ! قال : نعم . قال : فمن أي ولد
عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال :
فأنت إذاً أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ووثب إليه ، فاستحسن
ما رأى منه وأمر له بجائزة .

الشياني قال : خرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على أعرابي يرعى إبلًا
له ، فقال له : يا أعرابي ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابي :
غشوم ظلوم ! لا حيّاه الله ! فقال : فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟
قال : فأظلم وأغشم ! فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأومأ الحجاج إلى
الأعرابي ، فأخذ وحمل : فلما صار معه قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج !
فحزك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجاج ! قال : ما تشاء يا أعرابي ؟
قال : السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً ! قال : فضحك الحجاج وأمر
بتخليه سبيله .

يوسف بن عمر
ووال

الأصمعي قال : ولّى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابياً على عمل له :
فأصاب عليه خيانة فمزله ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ! أكلت مال الله !
قال الأعرابي : فقال من آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن
يعطيني فلساً واحداً فما فعل . فضحك منه وخلي سبيله .

ابن جعفر
وأعرابية

الشياني قال : نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد
دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لي
كنت أدجنها وأعلفها من قوتي ! وألمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلت

عن كبدى ، فذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسة مائة درهم .

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان ، فقال : والله لئن أُرِيْتُموه لَتُشْكِنَ منه بذي ناب عيش أغبر .

ببر أعراب وقوم
في الهلال

الأصمعي قال : رأيت أعرابيا واقفا على ركة ملحمة ، فقلت : كيف هذا الماء يا أعرابي ؟ قال : يخطئ القلب ويصيب الاست .

بين الأصمعي
وأعرابي في ماء

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك . قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إني أسألك مئة كميته أبي خارجة أكل بدجا ، وشرب مُعسلا ، ونام في الشمس ، فأت دَفَّانَ شُبَّعانَ ريان .

بينه وبين
أعراب سمين

محمد بن وضاح يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل أعرابي المسجد والبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلي : فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد حَجَّرْتَ واسعا يا أعرابي .

النبي صلى الله
عليه وسلم وبين
الأعراب

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول في الطواف : اللهم اغفر لأمي . فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال : أبي رجل يحنال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .

ليس الأعراب

أبو حاتم عن أبي زيد قال : رأيت أعرابيا كأنَّ أنه كوز من عظمه : فرآنا نضحك منه : فقال : ما يُضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ما كنت فيهم إلا أفطس .

قال : وجيء بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول : هاؤم أقرموا كتابي . فقيل له : يقال هذا يوم القيامة . قال : هذا والله شر من يوم القيامة : إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي ، وأنتم جثم بسيئاتي وتركتم حسناتي .

٢٠

وقيل لأبي المخش الأعرابي : أيسرك أنك خليفة وأن أمتك حرة ؟ قال : لأبي المخش لا والله . ما يسرنى ! قيل له : ولم ؟ قال : لأنها كانت تذهب الأمة وتضيع الأمة . اشتري أعرابي غلاما ، فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه يبول في الفراش . قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشا فليبول فيه .

أخذ الحجاج أعرابيا لصا بالمدينة فأمر بضربه : فلما قرعه بسوط قال : يا رب شكرا ! حتى ضربه سبعة سوط ، فلقبه أشعب ، فقال له : أنتدري لم ضربك الحجاج سبعة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك : إن الله تعالى يقول : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم . فقال الأعرابي :

١٠ يا رب لا تُشكر فلا تزدني . أسأت في شكرى فأعف عني
باعد ثواب الشاكرين مني

مر أعرابي بقوم وهو ينشد ابنا له ، فقالوا له : صغره . قال : كأنه دينير ! قالوا : لم زره . ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جمل ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه كأنه دينير ؟ فقال : القرني في عين أمها حسناء .

١٥ والقرني : دوية من خشاش الأرض إذا مسها أحد تقبضت فصارت مثل الكرة .

قيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أن أمضى إليه ركضا .

وغزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ما رأيت مع رسول الله في غزائك هذه ؟ قال : وضع عنا نصف الرحلة ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي !

٢٠ جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السخنياني ، فقيل له : يا أعرابي ، لعلك قددرى ؟ قال : وما القدري ؟ فذكر له محاسن قولهم : قال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم : فقال : لست بذاك . قال : فلعلك مثبت ؟

المحاج وأعرابي
لس

أعرابي ينشد
غلاما

لبعض الأعراب
في الغزو

السخنياني وبعض
الأعراب

قال : وما المنيب ؟ فذكر محاسنهم ؛ فقال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب
الناس منهم ؛ فقال : لست بذلك . قال أيوب : هكذا يفعل العاقل ؛ يأخذ
من كل شيء أحسنه .

جرير وأعرابي

الأصمعي قال : سمع أعرابي جريراً ينشد :

- كاد الهوى يومَ سلبانٍ يقتلني • وكاد يقتلني يوماً بنعجانٍ
- وكاد يقتلني يوماً بذي خُشب • وكاد يقتلني يوماً بسلبانٍ

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات ! لا يموت هذا أبداً .

السيباني قال : بلغني أن أعرابيين ظريفيين من شياطين العرب حطمتها سنة ،

فانحدرا إلى العراق ؛ فبينما هما يتماشيان في السوق - واسم أحدهما خندان - إذا

- ١٠ فارس قد أوطأ دابته رجلَ خندان ، فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلقا به حتى
أخذاً أرش الإصبع ، وكانا جاععين مقرورين ، فلما صار المال بأيديهما قصداً إلى بعض
الكرائج ، فابتاعا من الطعام ما اشتيا ، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول :
- فلا غرّة مادام في الناس كُرْجُجٌ • وما بقيت في رجلٍ خُندانٌ إصْبَعُ

وهذا شبيه قول أعرابية في ابنها ، وكان لها ابن شديد العُرام ، كثير القتال

أعرابية وابنها

- ١٥ للناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فوائب مرة فتي من الأعراب ، فقطع الفتى
أنفه ، فأخذت أمه دية أنفه ؛ لحسن حالها بعد فقر مدقع ؛ ثم وائب آخر ، فقطع
أذنه ؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت في المال وحسن الحال ؛ ثم وائب آخر فقطع
شفته ؛ ثم أخذت دية شفته ؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم
والمتاع بجوارح ابنها ، ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

- ٢٠ أَحْلِفُ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفا • أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا

فقلت لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجوراً ، ثم يقطع

الساجور أوتاداً ، ثم تقطع الأوتاد أشطّة .

الأصمعي قال : خرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض

لبعض الأعراب
في الحج

الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال :

أعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق . فرفع
الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك
أنت وتُخرب بيوتنا .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبَتْ راحلتها ،
٥ فرفعت يديها إلى السماء وقالت : يارب ، أخرجتنى من بيتي إلى بيتك ، فلا
يتى ولا بيتك !

الأصمعي قال : عُرِضَت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة
وثلاثين ألفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ؛ وفيهم أعرابي أخذ يبول
في أصل سور مدينة واسط ؛ فكان فيمن أطلق ؛ فأنشأ يقول :

١٠ إذا ما خرجنا من مدينة واسط * تحرينا وبُلنا لا نخاف عِقَاباً

لأعرابي في
الأولاد

ذُكِرَ عند أعرابي الأولاد والانتفاع بهم ؛ فقال : زوّجوني امرأة
أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجْرى الرهان ؛ والنزع عن القوس حتى
يصيب الحدق ، ورواية الشعر حتى يفهم الفحول . فزوّجوه امرأة فولدت له
ابنة ، فقال فيها :

١٥ قد كنت أرجو أن تكون ذكراً * فشققها الرّحمن شقاً منكراً

شقاً أبى الله له أن يُجْبَرَ * مثل الذى لآتمها أو أكْبَرَ

ثم حملت حملاً آخر ، فدخل عليها وهى فى الطاق - وكانت تسمى ربابا - فقال :
أيا ربابى طرّقى بخير * وطرّقى بِخُصِيَةِ وَأَيْرِ
ولا تُرينا طَرْفَ البُظَيْرِ

٢٠ ثم ولدت له أخرى ، فهجر فراشها وكان يأبى جارة لها ، فقالت فيه - وكان
يكنى أبا حمزة - :

ما لآبى حمزة لا يأتينا * يظلّ فى البيت الذى يلينا

غضبان أن لا نلده البنينا * وإنما نأخذ ما أعطينا !

فألانه قولها ورجع إليها .

لأعرابي يدعو وقال سعيد بن أبي الفرج : سمعت أعرابيا يطوف بالبيت وهو يقول :

لَا هُمْ رَبُّ النَّاسِ حِينَ لَبَّيْوا • وَحِينَ رَاحُوا مِنْ مَتًى وَحَصَّبُوا

لَا سُقَيْتَ عَشْبَتَيْ وَغُلْبُ • وَالْمُسْتَرَارَ لَا سَقَاهُ الْكُوكَبُ

قلت : يا أعرابي ، ما لهذه المواضع تدعو عليها في هذا الموضع ؟ فنظر إلى كالنضبان فقال :

* من أجل حماهن ماتت زينب *

قولهم في التلصص

أبو حاتم قال : أنشدنا أبو زيد الأعرابي ، وكان لصا :

لبعض العمراء

١٠ ثلاثِ خِلَالٍ لَسْتُ عَنْهُمْ نَائِبًا • وَإِنْ لَا مَتَى فِيهِمْ كُلُّ خَلِيلٍ
فَنَهْنِ أَنْ لَا أزال مُعَانِقًا • حَمَاتِلَ ماضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ
بِهَ كُنْتُ أَسْتَعْدِي وَأُعْدِي صَحَابِي • إِذَا صَرَخَ الزُّخْفَانُ بِاسْمِ قَتِيلِ
وَمِنْهُمْ سُوقُ النِّهْبِ فِي لَيْلَةِ الدَّجَى • يَحَارُ بِهَا فِي اللَّيْلِ كُلِّ دَلِيلِ
وَمِنْهُمْ تَجْرِيدُ الْكَعَابِ ثِيَابَهَا • وَقَدْ مَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ كُلِّ تَمِيلِ

وهذا المعنى سبقه إليه الأول :

فلولا ثلاثُ هنَ منَ عَيْشَةِ الْفَتَى • وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ رَامِسُ
فَنَهْنِ سَبْقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِيَّةٍ • كَأَنَّ أَخَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ نَاعِسِ
وَمِنْهُمْ تَقْرِيطُ الْجَوَادِ عِنَانَهُ • إِذَا ابْتَدَرَ الشَّخْصَ الصَّقِيَّ الْفَوَارِسِ
وَمِنْهُمْ تَجْرِيدُ الْكُوعَابِ كَالْدُمَى • إِذَا ابْتَزَّ عَنْ أَكْهَالِ الْهِنِّ الْمَلَابِسِ

٢٠ وأول من قال هذا المعنى طرقة حيث يقول :

لطرقة

فلولا ثلاثُ هنَ منَ عَيْشَةِ الْفَتَى • وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوْدِي
فَنَهْنِ سَبْقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِيَّةٍ • كَدَيْتِ مَتَى مَا تُعَلِّ بِالماءِ مُزِيدِ

وَكَرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا • كَسِيدَ النَّصَا نَبْهَتُهُ الْمُتَوَرِدُ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالِدَجْنُ مُعْجَبٌ • يَبْهَكْنَةُ تَحْتَ الْجَبَاءِ الْمُعَمَّدُ

قولهم في الطعام

الأصمعي قال : اصطعب شيخٌ وحدث في سفر ، وكان لهما قرص في كل
يوم ، وكان الشيخ منخلع الأضراس بطيء الأكل ، وكان الحدث يطيش بالقرص
ثم يجلس يشتكي العشق ، ويتضور الشيخ جوعاً ، وكان يسمى الحدث جعفرًا ،
فقال الشيخ :

لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ جَعْفَرٍ أَنْ جَعْفَرًا • يَطِيشُ بِقُرْصِي ثُمَّ يَبْكِي عَلَى جُحْلِ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْ مَسَّكَ الْحُبُّ لَمْ نَبْتَ • بَطِينًا وَنَسَاكَ الْهَوَى شَرَّهَ الْأَكْلِ

الأصمعي قال : أنشدني أعرابي لنفسه : ١٠

أَلَا لَيْتَ لِي خُبْرًا تَسْرُبُ لِي رَائِبًا • وَخَيْلًا مِنَ الْبَرَقِ فُرْسَانَهَا الزُّبْدُ
فَأَطْلُبُ فِيمَا يَنْتَهَرُ شَهَادَةً • بِمَوْتِ كَرِيمٍ لَا يُعَدُّ لَهُ لَحْدُ

الشباني عن أبيه قال : قال أعرابي : كنت أشتى ثريدة دكاء من الفلفل ،
رقطاء من الحص ، ذات حفايين من اللحم ، لها جناحان من العراق ، أضرب فيها
كما يضرب وليء السوء في مال اليتيم ! ١٥

وقال رجل لأعرابي : ما يسرنى لو بت ضيفاً لك ! فقال له الأعرابي :
لو بت ضيفاً لي لأصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة .

أعرابي على
مائدة سليمان
حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمر إلى ما بين يديه ، فقال
له الحاجب : مما يليك فكل يا أعرابي . فقال : من أجذب انتجع . فشق ذلك
على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يعد إلينا . وشهد بعد هذا سفرته
أعرابي آخر ، فر إلى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يليك
فكل يا أعرابي . قال : من أخصب تخير . فأعجب ذلك سليمان ، فقرّبه وأكرمه
وقضى حوائجه .

أعرابي وقوم
من السكينة

مر أعرابي بقوم من الكتبة في منزله لهم وهم يأكلون ، فسلم ثم وضع يده
يأكل معهم . فقالوا . أعرفت فينا أحداً ؟ قال : بلى ، عرفت هذا ، وأشار إلى
الطعام ، فقال بعض الكتاب يصف أكله :

• لم أَرِ مِثْلَ ثَرَطِهِ وَمِطَّهِ ■

قال الثاني : • وَأَكَلَهُ دَجَاجُهُ يِطُّهُ • ٥

قال الثالث : • وَلَفَّهِ رُقَاقُهُ يَأْقُطُهُ •

قال الرابع : • كَأَنَّ جَالِينُوسَ تَحْتَ إِبْطِهِ •

فقالوا للرابع : أما الذي وصفنا من فعله ففهوم : فما يصنع جالينوس من

تحت إبطه ؟ قال : يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمعة ، يهضم بها طعامه ١

١٠ وقال رجل من أهل المدينة لأعرابي : ما تأكلون وما تعافون ؟ قال له
الأعرابي : نأكل كل ما دب وهب ، إلا أم حُبَيْن . قال المدني : لِيَهَيِّئْ أُمَّ
حُبَيْنِ العافية .

١٥ قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لي لحماً . فاشتروا وطبخوا له حتى
تبرأ ، فأكل منه حتى انتهى ، ولم يبق إلا عظمه : وشرعت إليه عيون ولده .
فقال : ما أنا مطعمه أحداً منكم إلا من أحسن أكله . فقال له الأكبر : ألوكة
يا أبت حتى لا أدع فيه للذرة مقيلاً . قال : لست بصاحبه . قال الآخر : ألوكة
حتى لا يدرى ألعامه هو أو لعام أول ؟ قال : لست بصاحبه . قال له الأصغر :
أدقه يا أبت وأجعل إدامه المخ . قال : أنت صاحبه ، هو لك .

٢٠ بلغني عن محمد بن يزيد بن معاوية ، أنه كان نازلاً بحلب على الهيثم بن عدي ،
فبعث إلى ضيف له من عذرة أعرابي ، فقال له : حدث أبا عبد الله بما رأيت
في حضر المسلمين من الأعاجيب . قال : نعم ، رأيت أموراً معجبة . منها أنني
دخلت قرية بكر بن عاصم الهلال ، وإذا أنا بدور متباينة ، وإذا خصاص بيض
بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، وعليهم ثياب حَكُوا
بها أنواع الزهر : فقلت لنفسى : هذا أحد العبدین : الفطر أو الأضحى . ثم رجع

لعذري في حضر
المسلمين

إلى ما عذب من عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في عقب صفر وقد مضى
العيدان قبل ذلك ! فيينا أنا واقف أتعجب إذ أتاني رجل فأخذ يدي فأدخلني
بيتاً قد نُجِدَ ، وفي وجهه فرشٌ مَهْدَةٌ ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره كنفبه ،
والناس حوله سباطين ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي يُحكى لنا جلوسه
وجلوس الناس حوله . فقلت وأنا مائل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير
ورحمة الله ! قال : لجذب رجل يدي وقال : ليس بالأمير ، أجلس . قلت فمن
هو ؟ قال : عروس . قلت : وائكل أماء الرب عروس بالبادية قد رأيت
أهون على أصحابه من هين أمه ! فلم ألبث أن أدخلت الرجال عليها هات مدورات
من خشب ، أما ما خف منها فيُعمل حملاً ، وأما ما ثقل فيُدحرج ؛ فوضعت
أمامنا وتخلّق القوم عليها حلّقا ، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت عليها ؛ فهممت والله
أن أسأل القوم خرقه منها أرقع بها قيصي ، وذلك أني رأيت لها نسجاً
متلاحماً لا يتبين له سدى ولا لحمة ؛ فلما بسط القوم أيديهم ، إذا هو يتمزق
سريعاً ، وإذا صنف من الخبز لا أعرفه ؛ ثم أتينا بطعام كثير من حلو وحامض ،
وحارٍ وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبشم ؛ ثم أتينا
بشراب أحمر في عِساس بيض ؛ فلما نظرت إليه قلت : لا حاجة لي به ؛ لأنني
أخاف أن يقتلني ! وكان إلى جانبي رجل ناصح لي - أحسن الله عني جزاءه -
كان ينصحنى بين أهل المجلس ؛ فقال لي : يا أعرابي ، إنك قد أكثرت من الطعام
فإن شربت الماء هَمَى بطنك . فلما ذكر البطن ، ذكرت شيئاً أوصاني به
الآشباخ ، قالوا : لا تزال حياً مادام بطنك شديداً ، فإذا اختلعت فأوص . فلم
أزل أتداوى بذلك الشراب ولا أملهُ ، حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي
ولا عهد لي به ، واقتدارٌ على أمرى ؛ وكان إلى جانبي الرجل الناصح لي ؛ فجملت
نفسى تحدثني بهتم أسنانه مرة ، وهشم أنفه أخرى ؛ وأهم أحياناً أن أقول له :
يا ابن الزانية ! فيينا نحن كذلك ، إذ هم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علق
جعبة فارسية متنفخة الطرفين قد شبكت بالخيوط ، وقد ألبست قطعة فرو ،

كانهم يخافون عليها القر : ثم بدا الثاني فاستخرج من كفه هنة كفيشلة الحمار ، فوضع طرفها في فيه فضرط فيها ، ثم حَسَبَ على جِجَرة فاستخرج منها صوتاً مُشاكلاً بعضه بعضاً ؛ ثم بدا الثالث وعليه قيص وسخ ، وقد غرق رأسه بالدهن معه مِرَّآتان ، فجعل يَمْرِي إحداهما على الأخرى ؛ ثم بدأ الرابع عليه قيص قصير وسراويل قصيرة ، فجعل يقفز صلبه ، ويهز كتفيه ، ثم التبط بالأرض ، فقالت : معنوهُ وربُّ الكعبة . ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي . ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من لهُوكم . فبعثوا بهم إليهن ، وبقيت الأصوات تدور في آذاننا ؛ وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلت الأصوات له بالدعاء ، فخرج فجاء بخشبة في يده ، عينا في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على أذنه ، ثم زَمَ الخيوط الظاهرة ، فلما أحكمها عرك أذنها فنطق فوها ، فإذا هي أحسنُ قينة رأيتها قط [وغنى عليها] فاستخفني حتى قت من مجلسي فجلست إليه فقالت : بأبي أنت وأُمي ، ماهذه الدابة ؟ قال : يا أعرابي ، هذا البربط . قلت : فما هذه الخيوط ؟ قال : أما الأسفل فزبر ، والذي يليه مثني ، والذي يليه مثالث . والذي يليه بَم . قلت : آمنت بالله .

١٥ وقال أعرابي . تمرنا تُحْنَسُ فُطُس ، يغيب فيهن الضرس . كأن فاهما ألسن الطير ، تقع التمرة منها في فيك ، فتجد حلاوتها في كعبك .

٢٠ وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالقالودج جعل يسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، إني لأجد ريقاً هنيئاً ، ومزدرداً ليناً ، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه ! قال : فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ ، قال : كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل .

لأعرابي غير صائم قال : ومررت بأعرابي يأكل في رمضان . فقالت له : ألا تصوم يا أعرابي ؟ فقال :

وصائم هبَّ يأحاني فقالت له : أعمد لصومك واتركه وإفطاري

لأعرابي على
سفرة سليمان
أيضا

وَأَظْلَمًا فَإِنِّي سَأُرَوِّى ثُمَّ سَوْفَ تَرَى ۝ مِنْ ذَا يَصِيرُ إِذَا مِتْنَا إِلَى النَّارِ
وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شعرة في لقمة الأعرابي : فقال :
أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي ! قال : وإنك لتراعي مراعاة من يُبصر الشعرة
في لقمتي ؟ والله لا واكلك أبداً ! فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زلة ولا أعود
إلى مثلها . ٥

أخبار أبي مَهْدِيَةَ الأعرابي

أبو عثمان المازني قال : قال أبو مَهْدِيَةَ : بلغني أن الأعراب والأعراب هجأهما
واحد . قلت : نعم . قال : فاقراً : « الأعراب أشدُّ كفرًا ونفاقًا ، ولا تقرأ :
الأعراب . ولا يترك العزْبُ وإن صام وصلى .

١٠ وتوفي بُنَيٌّ لِأَبِي مَهْدِيَةَ صَغِيرٌ ، فَقِيلَ لَهُ : أَبْشِرْ أَبَا مَهْدِيَةَ : فَإِنَّا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ
شَفِيعَ صَدَقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! قَالَ : لَا وَكَلَّمَا اللَّهَ إِلَى شَفَاعَتِهِ ، إِذَا وَاللَّهِ يَكُونُ أَعْيَانَا
لِسَانًا وَأَضَعَفْنَا حُجَّةَ لَيْتِهِ الْمُسْكِينِ كَفَانَا نَفْسَهُ !

١٥ وَقِيلَ لِأَبِي مَهْدِيَةَ : أَكُنْتُمْ تَتَوَضَّعُونَ بِالْبَايَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ ! لَقَدْ كُنَّا نَتَوَضَّعُ
فَتَكُنِي التَّوَضُّعُ الْوَاحِدَةُ الرَّجُلُ مِنْهَا الثَّلَاثَةُ الْآيَامَ وَالْأَرْبَعَةَ ، حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْنَا هَذِهِ
الْحَرَّ - يَعْنِي الْمَوَالِي - فَجَعَلَتْ تَلْدِقُ أَسْنَانَهُمَا كَمَا تَلْدِقُ الدَّوَاةُ .

وَقِيلَ لِأَبِي مَهْدِيَةَ : أَتَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ افْتَتَحَ يَقْرَأُ :
﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا تَنَجَّى ﴾ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ فَالْتَفَتَ
إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلُوجَ يَقُولُونَ : وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَاللَّهِ
لَا أَقُولُهَا أَبَدًا .

٢٠ وَلَمَّا سَمِعَ أَبُو مَهْدِيَةَ وَلِيَّ جَانِبَا مِنَ الْبَيْتَةِ ، وَكَانَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ أَهْلُ عَطَاءٍ
وَجِدَةٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا عِنْدَكُمْ فِي الْمَسِيحِ ؟ قَالُوا : قُلْنَا وَصَلْبَاهُ ! قَالَ :
فَهَلْ غَرَّمْتُمْ دِينَهُ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : إِذَا وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُوا حَتَّى تَغْرَمُوا دِينَهُ !
فَأَرْضَوْهُ حَتَّى كَفَّ عَنْهُمْ .

وقيل لأبي مَهْدِيَّة : ما أصبركم معشر الأعراب على البدو ؛ قال : كيف لا يصبر على البدو مَنْ طعمأه الشمس وشرابه الريح ؟
ونظر أبو مَهْدِيَّة إلى رجل يستنجي ويكثر من الماء ، فقال له : إلى كم تغسلها وبحك ! أتريد أن تشرب فيها سويقا !
ومات طفل لأبي مَهْدِيَّة ، فقيل له : اصبر يا أبا مَهْدِيَّة ؛ فإنه فرط اقترطته ، وخير قدمته ، وذخر أحرزته . فقال : بل ولدت دَفْنْتُه ، وتكلتُ فَعَجَلْتُهُ ؛ والله لئن لم أجزع للنقص ، لا أفرحُ للزيد .
قال أبو عبيدة : سمع أبو مَهْدِيَّة رجلا يقول بالفارسية : زود زود . فقال : ما يقول هذا ؟ فقيل له يقول : عجل عجل . فقال : أفلا يقول : حيلا .

١٠ خبر أبي الزهراء

المعلی بن المثنی الشیبانی قال : حدثنا سويد بن منجوف قال : أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع ، تحته أتان له تحب ، وعليها ذلاذل وأطمار من سَحَق صوف ، قد اغم بما يشبه ذلك ؛ من أشوه الناس منظرا وأقبحهم شكلا ؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول ألا سَبَدَ ، ألا كَبَدَ ألا مُؤَوَ
ألا مُقَرِّ ، ألا سَعْدَى ألا يَرَبُوعَى ، ألا دَارِمَى ! هيهات هيهات ! وما يُغْنِي لأهل
١٥ حوض الماء صاديا مُعْنَى ! قال سويد : فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذا وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحى ، قال : فسمعت سواديا يقول له : يا عماء ، يا إبليس ! متى أُذِنَ لك بالظهور ؟ فالتفت إليهم ، فقال منذ سروا آباءكم وفشوا أمهاتكم ! قال : وكان معنا أبو حماد الخياط ، وكان من مُطَلِّب الناس
٢٠ لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي ، فدخل علينا وكان مع ذلك مولى بني تميم ؛ فأنيته فأخبرته ؛ فخرج مبادرا كأنى قد أفدته فائدة عظيمة ؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده ؛ فتارة يشير بها إلى الصبيان ، وتارة يذبُّ الشذا عن الأتان . وهو يقول لأتانه :

قد كنت بالأمعز في خصب خصب * ماشئت من تخض وماء مُنسكب
 فربك اليوم ذليل قد نُصب * يرى وجوهاً حوله ما ترتقب
 ولا عليها نور إشراف الحسب * كأنها الزنج وعبدان العرب
 إلى عجيل كالرعيل والسرب * ولو أمنت اليوم من هذا اللجب
 رميت أوقافاً قويمات النصب * الریش أولاها وأخراها العقب

قال : فلم يزل أبو حماد يلففه ويتلف به ويجله ، إلى أن أدخله منزله ؛
 فهد له وحطه عن أتان ، ودعا بالملف ؛ فجعل الأعرابي يقول : أين الليف والنثيف
 والوساد والنجاد ؟ يعنى بالليف : الحصر ؛ والنثيف عشة عندهم يقال لها البهمي
 والوساد : جلد عنز يسلخ ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُسكأ عليه ؛ والنجاد :
 مسح شعر يستظل تحته . قال : فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهرها قد دبر حتى
 أضرت بنا راتحته ؛ فجعل الأعرابي يتهد ويقول :

إن تُنَحِّضِي أو تُدَبِّرِي أو تُزَجِّرِي * فذاك من دُوبٍ ليلٍ مسهرٍ
 أنا أبو الزهراء من آل الدبري * مُشَمِّخِ الأنفِ كَرِيمِ العُنْصَرِ
 إذا أتيت خُطَّةً لم أقسِرِ

وكان يسمى الأعرابي صلتان بن عويجة من بني سعد بن دارم ، ويكنى بأبي
 الزهراء ، وما رأيت أعرابياً أعجب منه : كان أكثر كلامه شعراً ؛ وأمثل أعرابي
 سمعته كلاماً ؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لانهمها ؛ وكان من أضجر
 الناس وأسوئهم خلقاً ، وإذا نحن سألناه عن الشيء قال : ردوا على القوس والأتان !
 يظن أنا تتلاعب به ، وكنا نجتمع معه في مجلس أبي حماد ، وما منا إلا من يأتيه
 بما يشتهي ، فلا يعجبه ذلك ؛ حتى أتينا يوماً بخربز ، وكانت أمامه ، فلما أبصرها
 تأملها طويلاً وجعل يقول :

بُدِّلَتِ والدهرُ قديماً بدَّلاً * من قيض يرض القفر فقماً حَظَّلاً
 أخبث ما تُنبِت أرض ما كُلا

فكنا نقول له : يا أبا الزهراء ، إنه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنى مريء ،

ونحن نبدوك فيه إن شئت . قال : نخذوا منه حتى أرى ! فبدأنا نأكل وهو ينظر
لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة ، فنزع أعلاها وقور أسفلها ،
فقلنا له : ما تريد أن تصنع يا أبا الزهراء ؟ فقال : إن كان السم يا ابن أخي ففيا
ترون ! فلما طعمه استخفه واستعذبه واستحلاه ، فلم يكن يؤثر عليه شيئا ، وما كنا
نأتيه بعد بغيره ، وجعل في خلال ذلك يقول :

هذا طعام طيب يلين في الجوف والخلق له سُكون
الشهد والزبد به معجون

فلما كان إلى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك في الحمام ؟ قال : وما الحمام
يا ابن أخي ؟ قلنا له : دار فيها آيات : حار ، وقار ، وبارد ؛ تكون في أيها شئت
يذهب عنك قشف السفر ويسقط عنك هذا الشعر . قال : فلم نزل به حتى أجابنا ،
فأتينا به الحمام ، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يدخل علينا أحداً ، فدخل وهو خائف
مترقب . لا ينزع يده من يد أحدنا ، حتى صار في داخل الحمام ، فأمرنا من طلاه
بالتورية ، وكان جلده أشعر كجلد عنز . فقلق ونازع للخروج ، وبدأ شعره يسقط ؛
فعلنا حين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج ؟ قال : يا ابن أخي ، وهل بقي إلا أن
أندلخ كما ينسلخ الأديم في احتدام الصيظ ! وجعل يقول :

وهل يطيب الموت يا إخواني . هل لكم في الفوس والآنان
خذوهما مني بلا اثم . وحلصوا المهجة يا صبيان
فاليوم لو أبصرني جيرانى . عريان بل أعرى من العريان
قد سقط الشعر من الجنان . حسبت في المظن كالشيطان !

قال : ثم خرج مبادراً ، وأتبعه أحداث لنا ، لولا هم لخرج بجانه تلك ما يستره
شيء : ولحقناه في وسط البيوت ، فأتداه بماء بادر ، ومرب وصب على رأسه ،
فارتاح واستراح . وأبشأ يقول :

الحمد للمستحم القهار . أنقذنى من حر بيت النار

إلى ظليل ساكن الأوار . من بعد ما أيقنت بالتمار

قال : فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه ، وأتينا به مجلس أبي حماد : وكان أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الجوب : وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التمار ماهراً : فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي وأبا زيد ، جعل ينظر ، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل : فقلنا له : ماتقول يا أبا الزهراء ؟ فقال : يا ابن أخي ، إن كلامكم هذا لا يسد عوزاً مما تعلون له . فقال أبو الحسن : إن بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها ، فقال له : ثكلت وأثكلت وهل تخطئ الغرب ؟ قال : بلى . قال : على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك ! قال سويد : وكنت أحدثهم سناً (قال) فقلت : جعلت فداك ، وأنا رجل من بني شيبان وريعة : ما تعلم أنا على مثل الذي أنت عليه من الإنكار عليهم : فقال فيهم :

يَسْأَلُنِي يَبَاعُ تَمْرٍ وَجَرْدَقٍ . وَمَا زَجُّ أَبْوَالٍ لَهُ فِي إِيَّانِهِ
عَنِ الرَّفْعِ بَعْدَ الْخَفْضِ ، لِأَزَالُ خَافِضاً . وَنَصَبْتُ وَجَزْمٌ صَبِغٌ مِنْ سُوءِ رَأْيِهِ
فَقُلْتُ لَهُ هَذَا كَلَامٌ جَهْلُهُ . وَذُو الْجَهْلِ يَرَوِي الْجَهْلَ عَنْ فَظْرَانِهِ
فَقَالَ هَذَا يُعْرِفُ النَّحْوُ كُلَّهُ . يَرَى أَتَى فِي الْعُجْمِ مِنْ نُظْرَانِهِ
فَأَمَّا تَمِيمٌ أَوْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ . وَمَنْ حَلَّ غَمْرَ الضَّالِّ أَوْ فِي إِزَانِهِ
فَفِيهِمْ وَعَنْهُمْ يُؤْثِرُ الْعِلْمُ كُلَّهُ . وَدَعَّ عَنْكَ مَنْ لَا يَهْتَدِي لِخَطَائِهِ
فَرَنْ ذَا الرُّؤَاسِيَّ الَّذِي تَذْكُرُونَهُ . وَمَنْ ذَا الْكِسَائِيَّ سَالِحٌ فِي كِسَائِهِ
وَمَنْ ثَالِثٌ لَمْ أَسْمَعْ الدَّهْرَ بِاسْمِهِ * يُسْمُونَهُ مِنْ لَوْمَةِ سَيِّوَانِهِ
فَكَيْفَ يُخِلُّ الْقَوْلُ مَنْ كَانَ أَهْلُهُ . وَيُهْدَى لَهُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلِيَانِهِ
فَلَسْتُ لِبَيْاعِ التَّمِيرَاتِ مُغْضِيّاً . عَلَى الضَّنْمِ إِنْ وَاقَفْتُ بَعْدَ عَشَائِهِ ^(١)

ولقد قلنا له : يا أبا الزهراء ، هل قرأت من كتاب الله شيئاً ؟ قال : إى وأبيك ، آيات مفصلات أرددهن في الصلوات ، آباء وأمهات ، وعمات وخالات

(١) في بعض الأصول : . إن راقبت فقد عدائته . .

ثم أنشأ يقول :

- قرأت قول الله في الكتاب • ما أنزل الرحمن في الأحزاب
لعظم ما فيها من الثواب • الكفرُ والنُفْظَةُ في الأعرابِ
وأنا فأعلم من ذوى الألباب • أوْمُنُ بالله بلا آتِساب
في عرشه المستور بالحجاب • والموت والبعث والحساب
وجنَّة فيها من الثياب • ما ليس بالبصرة في حساب
وجاهم يلفحُ بالتهاب • أوْجَعُ أهل الكفرِ والسَّباب
ودفع رَحْلَ الطارقِ المُتَّاب • في لَيْلَةٍ ساكنةِ الكلاب
ولما أحضرناه ذات يوم جنازة ، قلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت
الكوفة ؟ قال : يا ابن أخى ، حضرا حاضرا ؛ ومحلا أهلا ؛ أنكرتُ من أفعالكم
الأكيال والأوزان ، وشكل النسوان . ثم نظر إلى الجبانة فقال : ما هذه التلال
يا ابن أخى ؟ قلت له : أجدات الموتى ، فقال : أماتوا أم قتلوا ؟ فقلت : قد ماتوا
بآجالهم مِيتات مختلفات . قال : فإذا تنتظر نحن يا ابن أخى ؟ قلت : مثل الذى
صاروا إليه ، فاستعبر وبكى ؛ وجعل يقول :
- يا لهفَ نفسى أن أموت فى بلد • قد غاب عني الأهل فيه والولد
وكلُّ ذى رحمٍ شفيقٍ مُعْتَقَد • يكون ما كنتُ سقيما كالرَمِدِ
ياربِّ ياذا العرشِ وفقٌ للرَّشْدِ • ويسرُ الخيرَ لشيخٍ مُخْتَضَدِ
ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ؛ فكنا لا نبارحه عاتدين
متفقدين ؛ فبينما نحن عده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت ، جعل يقول :
- أبلغ بناتى اليوم أبلغ بالصوى • قد كنتُ يأمُلى لىابى بالغنى
وقد تمَّنين وما يُغنى العُنى • بأنَّ نفسى وردت حوض الردى
ياربِّ ياذا العرش فى أعلا السَّما • إليك قدَّمت صياحى فى الظَّما
ومن صلاتى فى صباحٍ ومسا • فعدَّ على شيخٍ كبيرٍ ذى أنحنا
يكفيه ما لاقاه فى الدنيا كفى

قلنا له : يا أبا الزهراء ، ما تأمرنا في القوس والأتان ، وفيما قسم الله لك عندنا من رزق ؟ فقال : يا ابن أخي ، أما ما قسم الله لي عندكم فردود إليكم ، وأما القوس والأتان فيبعوهما وتصدقوا بثمنهما في فقراء صليبة بني تميم ، وما بقي في مواليتهم . ثم جعل يقول : اللهم اسمع دعاء عبدك إليك ، وتضرعه بين يديك ، واعرف له حق إيمانه بك ، وتصديقه برسالك ، صليت عليهم وسلمت : اللهم إني جان مقترف وهائب معترف ، لا أدعي براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي ، وتجاوزك عني ؛ اللهم إنك كتبت علي الدنيا التعب والنصب ، وكان في قضائك ، وسابق عليك قبض روعي في غير أهلي وولدي ، اللهم فبدل لي التعب والنصب رَوْحاً وريحاناً وجنة نعيم ؛ إنك مفضل كريم . ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات ، رحمه الله ؛ فاسمعت دعاء أبلغ من دعائه ، ولا شهدت جنازة أكثر باكياً وداعياً من جنازته ؛ رحمه الله .

• • •

لبعض الأعراب

وقال أعرابي يصف كساء .

من كان ذا بَتٍّ فهذا بَتِّي • مُقِيطٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِي
نَسَجْتُهُ مِنْ نَعَجَاتِ بَيْتِ

١٥ وقال أعرابي :

قالت سُلَيْمَى : لَيْتَ لِي بَعْلًا يَمْنُ • يَفْصِلُ رَأْسِي وَيُسَلِّبُنِي الْحَزْنَ
وَحَاجَةٍ لَيْسَ لَهَا عِنْدِي ثَمَنٌ • مَشْهُورَةٌ قَضَاؤُهَا مِنْهُ وَهَنْ^(١)
قَلَنْ جَوَارِي الْحَيِّ : يَا سَلَى وَإِنْ • كَانَ فَقِيرًا مُعْرِمًا ؟ قَالَتْ وَإِنْ

وقال أعرابي :

جَارِيَتَانِ حَلَفْتُ أَمَّا هُمَا • أَنْ لَيْسَ مَغْبُوتَانِ مِنْ اشْتَرَاهُمَا
وَاللَّهِ لَا أَخْبِرُكُمْ إِسْمَاهُمَا • إِلَّا بِقَوْلِي هَكَذَا هُمَا هُمَا
هُمَا اللَّتَانِ صَادَقَنِي نَهْمَاهُمَا • حَيًّا وَحَيًّا اللَّهُ مِنْ حَيَّاهُمَا
أَمَاتَ رَبِّي عَاجِلًا أَبَاهُمَا • حَتَّى تُلَاقِي مُنْبِيَّ مَنَاهُمَا

(١) الوهن : د قريب من منتصف الليل . .

وقال أعرابي :

إِنَّ لَنَا لَكَنَةً مِّمَّنَّةً مِثْلَنَةً

سَمْعَنَةً نَظْرَنَةً . إِلَّا تَرَةً قَظْنَةً

السمعة النظرة : المرأة التي إذا سمعت أو نظرت فلم تر شيئاً قظنت قظنيا .

وأشدد أبو عبد الله بن كبانة الأعرابي :

كَرِيمَةً يُحِبُّهَا أَبُوهَا . مَلِيحَةً الْعَيْنَيْنِ عَذْبًا فُوهَا

لَا تُحْسِنُ السَّبَّ وَإِنْ سُبُّهَا

الأصمعي قال : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بدرة ، فقال : يا أصمعي ،

الرشيد
والأصمعي

إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني وهبتك هذه البدره . قلت : نعم يا أمير المؤمنين

بيننا أنا في صحارى الأعراب ، إذ أنا بأعرابي قاعد على أجمة ، قد احتملت الريح

كسائه فألقته على الأجمة ، وهو عريان ؛ فقلت له : يا أعرابي ، ما أجلسك ههنا

على هذه الحالة ؟ فقال : جارية واعدتها يقال لها سلى ، أنا منتظر لها . فقلت :

وما يمنعك من أخذ كسائك ؟ قال : العجز يوقضي عن أخذه . فقلت له : فهل قلت

في سلى شيئا ؟ قال : نعم . قلت له : أسمعني الله أبوك ! قال لا أسمرك حتى تأخذ

كسائي وتلبقه عليّ ! قال : فأخذه فألقته عليه ، فأنشأ يقول :

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلَى . فَيَبْطُحَهَا وَيُلْقِيَنِي عَلَيْهَا

وَيَأْتِيَ بَعْدَ ذَلِكَ سَحَابٌ مُزْنٌ . تُطَهِّرُنَا وَلَا نَسْعَى إِلَيْهَا

فاستضعك هارون حتى استلقى على ظهره ، وقال : خذ البدره لا بورك لك فيها .

ذكروا أن أعرابيا أتى عينا من ماء صاف في شهر رمضان ، فشرب حتى

روى ، ثم أوماً يده إلى السماء فقال .

إِنْ كُنْتَ قَدَرْتَ الصِّيَا . مَ فَأَعْضُنَا مِنْ شَهْرِ آبٍ

أَوْ لَا فَإِنَّا مُفْطِرُوهُ . نَوَصَابِرُونَ عَلَى الْعَذَابِ

خلا أعرابي بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له ؛ فقالت له . قُمْ خائبا ! فقال .

الخائب من فتح فم الجراب ولم يُكَلِّ له دقيق . فخجلت ولم ترّد جوابا .

كِتَابُ الْمُجِيبَةِ فِي الْأَجَوِبَةِ

فرش الكتاب

- قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة ، تمهيد للدؤلف
- ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصعب الكلام كله مركباً ، وأعزّه مطلباً ، وأغمضه مذهباً ، وأضيقه مسلكاً ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة ، واستعمال القريحة ، يروم في بديته نقض ما أبرم القائل في رويته ، فهو كمن أخذت عليه الفجاجة ، وسُدَّتْ عليه المخارج ، قد اعترض الأيسنة ، واستهدف للبرامى ، لا يدرى ما يقرع له فيتأهب له ، ولا ما يفجأه من خصمه
- ١٠ فيقرعه بمثله ، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بذمامه بعد أن روى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأى يغيب حتى يختمر ؛ فقد كرهوا الرأى الفطير ، كما كرهوا الجواب الدبرى ، فلا يزال في نسج الكلام واستثناسه ، حتى إذا اطمأن شأرده ، وسكن نافرده ، صك به خصمه جملة واحدة ثم إذا قيل له : أجب ولا تخطئ ، وأسرع ولا تبطئ ، تراه
- ١٥ يجاوب من غير أناة ولا استعداد ، يطبق المفاصل ، وينفذ إلى المقاتل ، كما يرمى الجندل بالجندل ، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عُراه ، وينقض به مرائره ، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبّدت عجاجة ؛ فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الألد الذي يقرع صاحبه ، ويصرع منازعه بقول كمثل النار في الخطب الجزل .

- لأبي الحسن قال أبو الحسن : أسرع الناس جواباً عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب .
وأحسن الجواب كله ما كان حاضراً ، مع إصابة معنى وإيجاز لفظ .
- في ابن عفان وكان يقال : اتقوا جواب عثمان بن عفان .
- والنبي صلى الله عليه وسلم في الزبيرقان وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب : أخبرني عن الزبيرقان ، قال : مطاع في أدانيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره ، قال الزبيرقان : والله يا رسول الله ، لقد علم مني أكثر من هذا ، ولكن حسدني . قال عمرو ابن الخطاب : أما والله يا رسول الله ، إنه لزم المرءة ، ضيق العطن ، أحق الوالد ، لئيم الخال ؛ والله يا رسول الله ، ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ؛ رضيت عن ابن عمي فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب ، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب ؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ١٠ إن من البيان لسحرا .

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

- لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقربه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام : والله إن عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطية ١٥ وأعظمها ، ووصل الفراية وحفظها ، وحسن ظنه بالله ، إذ ساء به ظنك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ ختم وأفسدتم وجرتتم ، فاكفف لأبائك ، فإنه عما تقول بمعزل .
- وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك علي . قال : صدقت ، إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت ٢٠ خير لي من أخى ، وأخى خير لنفسه منك .
- وقال له ليلة الهدير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ؛ ويوم بدر كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية ، قال :
 أخونُ مني والله من سفك دمه بين أخى وابن عمى ، أن يكون أحدهما أميراً !
 ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم
 قال له : أتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم ! قال : وأتم معشر بنى أمية
 تصابون فى بصائركم !

ودخل عتبة بن أبى سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ،
 فقال عقيل : من هذا الذى أجلس أمير المؤمنين بينى وبينه ؟ قال : أخوك
 وابن عمك عتبة . قال : أما إنه إن كان أقرب إليك منى ، إني لأقرب لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض
 ونحن سماء . قال عتبة : أبأيزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر
 مما لنا عندك مما تكره .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب ! قال له
 عقيل ، وهذا معاوية عمته حمالة الخطب ! ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار
 فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمى أبو لهب مفترشاً عمك حمالة الخطب ؛
 فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوماً : ما أئين الشَّبَقَ فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنه فى نسائكم
 أئين يا بنى أمية !

وقال له معاوية يوماً : والله إن فىكم لخصلة ما تعجبني يا بنى هاشم . قال :
 وما هى ؟ قال : لين فىكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعير
 يا معاوية ؟ أجل ، والله إن فىنا لليناً من غير ضعف ، وعزاً من غير جبروت ؛
 وأما أتم يا بنى أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كل هذا أردنا
 يا أبأيزيد . قال عقيل :

لِدى اللَّبِّ قبل اليوم ما تُقرَع العصا . وما عُلِّمَ الإنسان إلا لعلب

قال معاوية :

وإنَّ سَفَاهَةَ الشَّيْخِ لَا حِلَّ مَعْدَهُ هـ . وإنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحِلُّ

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : لم جفوتنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إني أَمْرُو مَنِي التَّكْرَمِ شَيْمَةٌ هـ . إذا صاحبي يوما على الهون أضمر

- ثم قال : وآيمُ الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهْدَتِكَ مهَادَهَا ، وأظْلَكَكِ بِحْدَافِيرِهَا
ومدت عليك أطناب سلطانها - ماذاكِ بالذي يزيدكِ مَنِي رَغْبَةٍ ، ولا تَحْشَمُكِ
لرَهْبَةٍ . قال معاوية نَعَتْهَا أبا يزيد نَعْتًا هَشَّ لها قَلْبِي ؛ وإني لأرجو أن يكون الله
تبارك وتعالى مارْدَانِي رِداء ملكها ، وحباني بفضيلة عيشها ، إلا لِكْرَامَةٍ
أَدْخَرَهَا لي ؛ وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكا ؛ وإنما هو المثال يُحْتَذَى
عليه ، والأمور أشباه ؛ وآيمُ الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريما ، وإلينا
حييا ، رما أصبحتُ أضمر لك إساءة .

بن عقيل وأسرته

ويقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل :

يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً ؛ أين أبي ؟ أين أخى ؟ أين عمي ؟ كأن أعناقهم
أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلت جهنم نخذي على شمالك .

١٥ جواب ابن عباس رضي الله عنهما

لمعاوية وأصحابه

- اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ؛
وكان جريئاً على معاوية حقاراً له ، فبلغه عنه بعض ما غمّه ؛ فقال معاوية :
رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فحفظت الميث في الحى
والحى في الميث ؛ استعملك عليُّ يا ابن عباس على البصرة ، واستعمل أخاك
عبد الله على اليمن ، واستعمل أخاك تماماً على المدينة ؛ فلما كان من الأمر ما كان ،
هنا أنكم ما في أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعث غرائركم ، وقلت : آخذ اليوم
وأعطى غداً مثله . وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت

بجلا فيكم وقيأتكم ما أكلتم . ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم : خذلتهم عثمان بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتموني بصيفين ، ولعمري لبنو تميم وعدى أعظم ذنوبا منا إليكم ؛ إذ صرفوا عنكم هذا الأمر ، وسنوا فيكم هذه السنة ؛ فحتى متى أغضى الجفون على القذى ، وأحبب الذبول على الأذى ، وأقول : لعل الله وعسى ... ما تقول يا ابن عباس ؟

قال : فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين ؛ لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل أباك ، وكان أبوك كذلك لأبي ؛ ولكن من هنا أباك يا خاء أبي أكثر من هنا أبي يا خاء أبيك ؛ نصر أبي أباك في الجاهلية ، وحقن دمه في الإسلام ؛ وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت أنت رجالا هواك لا نفسك ، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل ، وابن بشر ابن أرطاة على اليمن نخان ، وحيب بن مرة على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحُصِب ؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لحقها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها . وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه وأما حربنا إياك بصيفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتميم وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها .

وسكت ، فقال في ذلك ابن أبي لهب :

كان ابنُ حربٍ عظيمَ القدرِ في الناسِ . حتى رماهُ بما فيه ابنُ عباسِ
ما زال يُهَيِّطُهُ طوراَ وَيُصْعِدُهُ . حتى استقاد وما بالحقِّ من باسِ
لم يتركنْ خُطَّةً ما يُذَلِّلُهُ . إلا كَوَاه بها في فُرُوةِ الراسِ

وقال ابن أبي مليكة : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أفصح الناس ، وإذا تكلم فأعربُ الناس ، وإذا ألقى فأفقه الناس . ما رأيت أكثر صوابا ولا أحضر جوابا من ابن عباس .

لابن أبي مليكة
في ابن عباس

بن ابن عباس
وماوية

ابن الكلبي قال : أقبل معاوية يوما على ابن عباس فقال : لو وليتمونا ما أنيتم إلينا ما أتينا إليكم ، من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبري على ما صبرت عليه منكم ، إني لا أريدُ أمراً إلا أظلمتكم صدره ولا آتي معروفاً إلا صغرتكم خطره وأعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها متكارهين عليها ؛ تقولون : قد نقص الحق دون الأمل ؛ فأى أمل بعد ألف ألف أعطيتها الرجل منكم ، ثم أكون أسيراً بإعطائها منه بأخذها ؟ والله لئن اتخذت لكم في مالي وذلك لكم في عرضي ، أرى انخداعى كرماً وذلي حليماً . ولو وليتمونا رضينا منكم بالانصاف ، ولا نسألكم أموالكم ، لعلنا بحالكم وحالنا ؛ ويكون أبغضها إلينا أحبها إليكم أن تُعفيكم .

فقال ابن عباس : لو ولينا أحسنًا المواساة ، وما ابتلينا بالآثرة ؛ ثم لم نعشم الحى ، ولم نشتم الميت ؛ فلستم بأجود منا أكفأً ، ولا أكرم أنفساً ، ولا أصون لأعراض المروءة ؛ ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطي في الحق منكم في الباطل ، وأعطي على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوة والعدل في الرعية يأتیان على النى والأمل ، ما أرضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيت منا لم ترض أنفسنا به لكم ؛ والكفاف رضا من لا حق له ؛ فلا تبخلونا حتى تسألونا ، ولا تلفظونا حتى تذوقونا .

أبو عثمان الخزازي قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية ، فأقبل عليهم فقال : يا بني هاشم ، والله إن خيرى لكم لمنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ؛ فلا يقطع خيرى عنكم علة ولا يوصد بابي دونكم مسألة ؛ ولما نظرت في أمرى وأمركم رأيت أمراً مختلفاً ؛ إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي منى ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم فلتم أعطائنا دون حقنا ، وقصر بنا عن قدرنا ؛ فصرت كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسفاف سائلكم .

قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه ؛ ولئن قطعت عنا خيرك لله أوسع منك ولئن أغلقت

دوننا بابك لنسكفن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك مله إلا ما لرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان : حق في الغنمة ، وحق في النية ؛ فالغنمة ما غلبنا عليه ، والني ما اجتنبناه ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأنك منا زائر يحمله خف ولا حافر . كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاي ، فإنك تُهز ولا تُتبع .

وقال معاوية يوماً وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجائبها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفمالها ، وبنو تيم بصديقها وجوادها ، وبنو عدى بفاروقها ومتفكرها ، وبنو سهم بأرائها ودهائها ، وبنو جمع بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقربها ، فمن ذا يُجلى في مضمارها ويجرى إلى غايتها ؟ ما تقول يا ابن عباس ؟

قال : أقول : ليس حي يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها ولا يساوون بها ولا يدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ؛ إن بنا فتح الأمر وبنا يُختم ، ولك ملك معجل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك ، لأننا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فترجع الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من هيئة الناس له وموقعه من قلوبهم ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتني ولئني انقصة ، وكان بين عينيك دبرة ، وإذا كنت في ملأ من الناس كنت الهوة الهمة .

فقال ابن عباس : لأنك من اللئام الفجرة ! وقريش الكرام البررة لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتُمون حقاً عليوه ، وهم أعظم الناس أحلاماً ، وأرفع الناس أعلاماً ، دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لا في بني هاشم رحلك ، ولا في بني عبد شمس راحلتك ، فأنت الأثيم الزنيم ، الضال

ابن عباس وابن العاص

المضلّ ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحمله ، وتسمو بكرمه .

فقال عمرو : أما والله إني لمسرور بك ، فهل ينفعني عندك ؟

قال ابن عباس : حيث مال الحقّ منّا ، وحيث سلك قصدنا .

المدائني قال : قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية

- ابن أبي سفيان وبنى أمية ، وتناول بني هاشم ، وذكر مشاهدته بصفيّين ، واجتمعت
قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال

يا عمرو ، إنك بعت دينك من معاوية ، وأعطيته ما يدك ، ومَنَّاكَ ما يد غيره

فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك ، والذي أخذت منه دون الذي

أعطيته ، وكلّ راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر في يدك كذرها عليك

- بالعدل والتقصص ، وذكرت مشاهدك بصفيّين ، فوالله ما ثقلت علينا يومئذ وطأتك
ولقد كشفت فيها عورتك ، وإن كنت فيها لطويل اللسان ، قصير السنان آخر
الخيل إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدا ، يد لا تبسطها إلى خير ،
وأخرى لا تقبضها عن شر ، ولسان غادر ذو وجهين ، ووجهان وجه موحش
ووجه مؤنس ، ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحرى أن يطول عليها ندمه ،
لك يان وفيك خطل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك قدر وفيك حسد ، وأصغر
عيب فيك أعظم عيب في غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما في قريش أنقل على مسألة ، ولا أمر جواباً

منك ، ولو استطعت أن لا أجيبك لفعلت ، غير أني لم أبيع ديني من معاوية ،

ولكن بعتُ الله نفسي ولم أنس نصيبي من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية

- وأعطيته ، فإنه لا تُعلمُ العوانُ الخُمرة ، وأما ما أتى إلى معاوية في مصر فإن ذلك
لم يغيّرني له ، وأما خفة وطأتي عليكم بصفيّين فلها استنقالتم حياتي ، واستبطأتم
وفاتي ، وأما الجبن ، فقد علمت قريش أني أول من يبارز ، وآخر من ينازل
وأما طول لساني فإني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه :
لساني طويلٌ فاحترس من شدّاته . عليك وميئتي من لساني أطولُ

وأما وجهاي ولساناي ، فإنني ألقى كل ذي قدر بقدره ، وأرمى كل ناجح بحجره ،
فن عرف قدره كفاي نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسي ، ولعمري ما لأحد من
قريش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فما ينفعني ذلك عندك . وأنشأ عمرو يقول :

بنى هاشم مالى أراكم كأنكم • في اليوم جهال وليس بكم جهل
ألم تغلبوا أنى جسر على الوغى • سريع إلى الداعى إذا كثر القتل
وأول من يدعو نزال طيبة • جيلت عليها والطباع هو الجبل
وأنى فصلت الأمر بعد أشباهه • بدومة إذ أغيا على الحكم الفصل
وأنى لا أغيا بأمر أريد • وأنى إذا نجت بكاركم خل

٥

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حبيب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
ابن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه : إن هذا الأمر الذى نحن
فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ،
أبقت لنا هذه الحرب حياة ولا صبرا ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ! ولكننا
نقول : ليتنا لم تكن كانت ! فانظر فيما بقى بعين ماضى : فإنك رأس هذا الأمر
بعد علي ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو .

١٠

مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير

١٥

الشعبي قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أم المؤمنين ، وحوارى
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأفتيت بتزويج المتعة .

فقال : أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ، وبنا سُميت أم المؤمنين
وكنا لها خير بنين : فتجاوز الله عنها ؛ وقاتلت أنت أبوك عليا ، فإن كان عليا
مؤمنا فقد ضللتكم بالمؤمنين ، وإن كان عليا كافرا فقد بُؤتكم بسخط من الله
بفراركم من الزحف ؛ وأما المتعة فإن عليا رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم رخص فيها ، فأفتيت بها : ثم سمعته ينهى [عنها] فنهيت عنها ؛
وأول يحمر سطر في المتعة يحمر آل الزبير .

٢٠

مناظرة في مجلس
معاوية

- دخل الحسن بن عليّ على معاوية وعنده ابن الزبير وأبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ؛ فلما جلس الحسن قال معاوية : يا أبا محمد ، أيهما كان أكبر ، عليّ أم الزبير ؟ قال : فقال : ما أقرب ما بينهما ، عليّ كان أسنّ من الزبير ؛ رحم الله عليا فقال ابن الزبير : رحم الله الزبير ، فتبسم الحسن ؛ فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب : دع عنك عليا والزبير ؛ إن عليا دعا إلى أمر فأتبع وكان فيه رأسا ، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة ؛ فلما تراءت الفئتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزما قبل أن يظهر الحق فيأخذه ، أو يدحض الباطل فيتركه ، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر ، فمرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه ، ومضى عليّ قدما كعادته مع ابن عمه ونبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فرحم الله عليا ولا رحم الزبير ؛ فقال ابن الزبير : أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلم ... قال : إنّ الذي تعرّض به يرغب عنك . وأخبرت عائشة عماتهما ، فرأى أبو سعيد بضائها فنادته : يا أحول يا خبيث ! أنت القاتل لابن أختي كذا وكذا ؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا ؛ فقال : إنّ الشيطان ليراك من حيث لا تراه ؛ فضحكت عائشة وقالت : لله أبوك ! ما أخبرت لسانك .

الحسين ومعاوية

- الشعبي قال : دخل الحسين بن عليّ يوما على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره ، وقال : ترى هذا القاعد - يعني ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف .

- فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لكن إن شئت أغريك فضل الزبير على أيك أبي سفيان فعلت ، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن عليّ فقال :

- يا ابن الزبير ، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طلق اللسان رابط الجنان ؛ فإن نطق نطق بعلم ؛ وإن صمت صمت بعلم ؛ غير أنه كفت الكلام ، وسبق إلى السنان ، فأقرت بفضله الكرام ؛ وأنا الذي أقول :

فَمَ الْكَلَامِ لِسَابِقٍ فِي غَايَةِ ۝ وَالنَّاسِ بَيْنَ مُقْصَرٍ وَمُبَدِّلٍ

إِنَّ الَّذِي يَجْرَى لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ • يُنْحَى بَغِيرِ مُسَوِّدٍ وَمُسَدِّدٍ

بَلْ كَيْفَ يُدْرِكَ نَوْرُ بَدْرِ سَاطِعٍ • خَيْرِ الْأَنَامِ وَفَرَجِ آلِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : صَدَقَ قَوْلُكَ يَا ذَكَوَانُ : أَكْثَرَ اللَّهِ فِي مَوَالِي الْكِرَامِ مِثْلَكَ .

فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : إِنْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سَكَتَ وَتَكَلَّمَ مَوْلَاهُ ، وَلَوْ تَكَلَّمَ لِأَجْنَبَاهُ ،

• أَوْ لَكَفَفْنَا عَنْ جَوَابِهِ إِجْلَالًا لَهُ ؛ وَلَا جَوَابَ لِهَذَا الْعَبْدِ .

قَالَ ذَكَوَانُ : هَذَا الْعَبْدُ خَيْرٌ مِنْكَ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » ؛ فَأَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتَ ابْنُ الْعَوَامِ

ابْنُ خُوَيْلِدٍ : فَتَحْنِ أَكْرَمَ وَلَاءٍ وَأَحْسَنَ فَعْلًا .

قَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : إِنِّي لَسْتُ أَجِيبُ هَذَا ؛ فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ .

۱۰ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : قَاتَلَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ الزَّبِيرِ . مَا أَعْيَاكَ وَأَبْغَاكَ . أَتَفْخَرُ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ؟ إِنَّكَ أَنْتَ الْمُتَعَدِّي لَطَوْرِكَ ، الَّذِي لَا تَعْرِفُ قَدْرَكَ ؛ فَقَسَّ شِبْرَكَ

بِفَتْرِكَ ؛ ثُمَّ تَعَرَّفَ كَيْفَ تَقَعُ بَيْنَ عَرَانَيْنِ بَنَى عَبْدُ مَنْفٍ ؛ وَأَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ دَفَعْتَ

فِي بَحُورِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ لَقَطَعْتُكَ بِأَمْوَاجِهَا ، ثُمَّ لَتَرَمِينَ بِكَ فِي لُجَجِهَا ؛

فَمَا بَقَاءُكَ فِي الْبُحُورِ إِذَا غَمَرَتْكَ ، وَفِي الْأَمْوَاجِ إِذَا بَهَزَتْكَ ؟ هُنَالِكَ تَعْرِفُ

۱۵ نَفْسَكَ ؛ وَتَتَدَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جِرْأَتِكَ ، وَتُتَمِّسِّي مَا أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنْ أَمَانٍ وَقَدْ

جَبَلَ بَيْنَ الْعَمِيرِ وَالنُّزْوَانِ .

فَأُطْرُقَ ابْنَ الزَّبِيرِ مُلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَالْتَفَتَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ أَسْأَلُكُمْ

بِاللَّهِ : أَتَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي حَوَارِيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ أَبَاهُ أَبَاسُفِيَانُ

حَارِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَأَنَّ أُمِّي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ،

۲۰ وَأُمُّهُ هِنْدُ أَكَلَةُ الْأَكْبَادِ ؟ وَجَدِّي الصَّدِيقُ ، وَجَدُّهُ الْمَشْدُوحُ يُدْرِكُ رَأْسَ الْكَفْرِ ؟

وَعَمَّتِي خَدِيجَةُ ذَاتُ الْخَطَرِ وَالْحَسْبِ ، وَعَمَّتُهُ أُمُّ جَبَلٍ حَمَالَةُ الْخَطْبِ ؟ وَجَدَّتِي

صَفِيَّةُ ، وَجَدَّتُهُ حَمَامَةُ ؟ وَزَوْجَتِي خَيْرُ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَوْجُ

عَمَّتِهِ شَرُّ وَلَدِ آدَمَ أَبُو لَهَبٍ سَبِيلِي نَارًا ذَاتُ لَهَبٍ ؟ وَخَالَتِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ،

وخالته أشقى الأشقين ؟ وأنا عبد الله ، وهو معاوية ؟

- وقال له معاوية : ويحك يا بن الزير كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رئاسة ، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قُذِنَاكَ وسُذِنَاكَ قديماً وحديثاً ، لا تستطيع لذلك إنكاراً ، ولا عنه فراراً ، وإن هؤلاء الحضور ليُعلمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفخار على رئاسة حرب بن أمية وأن أباك ٥ وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته غير مُنكرين لفضله ولا طامعين في عزله ، إن أمر أطاعوا ، وإن قال أنصتوا ، فلم تزل فينا القيادة وعزُّ الولاية ؛ حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه من خير خلقه ، من أسرتي لا أسرتك ، وبنى أبي لابني أليك ، لجمحته قريش أشد الجحود ؛ وأنكرته أشد الإنكار وجاهدته أشد الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ؛ فما ساد قريشاً وقادهم ١٠ إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفشتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا ؛ فهدىكم تحت راية مهدينا ، وضالكم تحت راية ضالنا ؛ فنحن الأرباب ، وأنتم الأذئاب ؛ حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ؛ وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام ؛ فكان في الجاهلية عظيماً شأنه ، وفي الإسلام معروفاً مكانه ؛ ولقد أُعْطِيَ يوم الفتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك ؛ وإن متادى ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؛ وكانت داره حرماً ، لدارك ولدار أهلك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر ؛ وفي الإسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصديق فتصديق عبد مناف سُمي صديقاً لابتصديق عبد العزى ، وأما مذكرت من جدى المشدوخ بيدى ، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه ٢٠ فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفأهم من بنى أيهم ، ففضى الله منايهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا . وما أنت وذاك ؟ وأما عمك أم المؤمنين فبينا شُرُفت وُسُمت أم المؤمنين ، وخالك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهي أذنبك من الظل ،

ولولا هي لكنت ضاحيا ؛ وأما ما ذكرت من عمك وخال أليك سيد الشهداء ،
فكذلك كانوا رحمهم الله ، وغرهم وإرثهم لي دونك ، ولا غفر لك فيهم ولا إرث
بينك وبينهم ؛ وأما قولك : أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش أننا
أجود في الإزم ، وأحزم^(١) في القدم ، وأمنع للحرم ؛ لا والله ما أراك متبها
حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالبهم بالذحول وقدم إليهم
الخيول ، وخذعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ
مددتم على نساءكم الشجوف وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف ، فلما
التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم يُنَجِّه ذلك أن طعنه أبو الحسين بكلكلة طعن
الحصيد بأيدي العبيد ، وأما أنت فأفلت بعد أن خشتك برائته ونالتك مغاليه ،
وآيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بشقاقها ، أو لتُصَيِّحَنَّ منها صباح أليك بوادي
السباع ، وما كان أبوك المرهوبَ جانبه ، ولكنه كما قال الشاعر :

أَكِيلَةَ سِرْحَانٍ قَرِيسَةَ ضَيْغَمٍ ۝ فَقَضَّضَهُ بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَطَّأ

* * *

ابن الزبير
ومعاوية

نازع مروان بن الحكم يوما ابن الزبير عند معاوية ، فكان هوى معاوية مع
مروان ؛ فقال ابن الزبير : يا معاوية ، إن لك حقا وطاعة ، وإن لك صلة
وحرمة ؛ فأطيع الله نطعك ؛ فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله ؛ ولا تُطْرُق
إطراق الأفعوان في أصول السُّخْبَرِ .

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير وذكر له مروان - فقال : إن يطلب
هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ؛
وما أراكم بمُنْتَهَيْنَ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا ترده مودة ،
يسومكم خسفاً ويوردكم تلقا .

قال ابن الزبير : إذا والله نُطْلِقَ عقال الحرب بكتائب تموز كرجل
الجراد ، حافاتها الأسل ، لها دوى كدوى الريح ، تتبع غطريفاً من قريش

(١) في بعض الاصول : : وأمضى . .

لم تكن أمه براعية ثلة .

قال معاوية : أما ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، وأكلت ذروة السنام ، وشربت عنقوان المكرع ، وليس للأكل بعدى إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرثق .

٥ مجاورة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

ابن العاص
والحسن

وفد الحسن بن عليّ على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ، إن الحسن لفةٌ ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم . ففعل ، فصعد المنبر وتكلم وأحسن ؛ ثم قال : أيها الناس ، لو طلبتم ابناً لنبئكم ما بين لابتيها لم تجدوه غيري وغير أخى . وإن أدري لعله فنةٌ لكم ومناخ إلى حين . فساء ذلك عثراً وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : ١٠ أبا محمد ، أتصف الرطب ؟ فقال : أجل ، تلفحه الشمال وتخرجه الجنوب ، وتُنضجه الشمس ، ويصبغه القمر . قال : أبا محمد ، هل تنعت الحرّاة ؟ قال : نعم ، تُبعد المشي في الأرض الصّحّاح حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالقمة والرّمة - يريد الروث والعظم - ولا تبُل في الماء الراكد .

■

مروان والحسن
في مجلس معاوية

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب . فقال معاوية : إن دخل أفند علينا مانحن فيه ! فقال له مروان بن الحكم : ائذن له ؛ فإن أسأله ما ليس عنده فيه جواب . قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم قد ألهموا الكلام وأذن له ؛ فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، ويقال إنّ ذلك من الخرق ! ٢٠

فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكننا معشر بنى هاشم أفواها عذبة شفاهاها ففساؤنا يُقبلن علينا بأنفاسهن وقبَاهن ؛ وأنتم معشر بنى أمية فيكم بخر شديد ، ففساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداعكم ؛ فإنما يشيب منكم

موضع العذار من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء .
قال : وما هي ؟ قال : الغلبة . قال : أجل ، نُزعت الغلبة من نساءنا ووضعت
في رجالنا ، ونزعت الغلبة من رجالكم ووضعت في نساءكم ، فما قام لأمورية
إلا هاشمي ! فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأيتتم حتى سمعتم ما أظلم
عليكم يبتكم وأفسد عليكم مجلسكم .

نفرج الحسن وهو يقول :

وما رستُ هذا الدهر خمسين حجةً * ونحساً أزجى قاتلاً بعد قاتل
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جسيمها * ولا في الذي أهوى كدحتُ بطائل
وقد أشرعتُ في المنايا أكفها * وأيقنتُ أني رهن موتٍ بعاجل

- ١٠ قال الحسن بن علي الحبيب بن مسلمة الفهري : ربّ مسير لك في غير
طاعة الله ! قال : أما مسيري إلى أهلك فلا ! قال : بلى ، ولكنك أطعت
معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ،
ولو كنتَ إذ فعلتَ شراً قلتَ خيراً كنتَ كما قال الله عز وجل : ﴿ تَخْلَطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا ﴾ ، ولكنك كما قال الله : ﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

- ١٥ قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان ، فقال له يحيى بن الحكم :
ما فعلتُ خبيثة ؟ فقال : سبحان الله ! يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة
وتسميها خبيثة ؟ لقد اختلفتما في الدنيا وستختلفان في الآخرة ! قال يحيى : لأن
أموت بالشام أحب إليّ من أن أموت بها ! قال : اخترت جوار النصراني على
جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال يحيى : ما تقول في عليّ وعثمان ؟
٢٠ قال : أقول ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

ابن جعفر وابن
الحكم في مجلس
عبد الملك

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

قال معاوية يوماً وعنده الضحاك بن قيس ، وسعيد بن العاص ، وعمرو
ابن العاص : ما أعجب الأشياء ؟

معاوية والضحاك
وابن العاص

قال الضحاك بن قيس : إكداء العاقل وإجداء الجاهل . وقال سعيد بن
العاص : أعجب الأشياء ما لم دُرْ مثله . وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء
○ غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه . وقال معاوية : أعجب من هذا أن تعطى
من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

حضر قوم من قريش مجلس معاوية ، فيهم عمرو بن العاص ، وعبد الله
ابن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام ؛ فقال عمرو : أتحد الله
يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من يغضى على الفدى ، ويتصام عن العوراء ،
ويجزّ ذيله على الخدائع . قال عبد الله : لو لم يكن كذلك لمسنا إليه الضر أو ديننا
إليه الخمر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مصر . قال معاوية :
يا معشر قريش ، حتى متى لا تُتصفون من أنفسكم ؟ . قال عبد الرحمن بن الحارث :
إن عمرأ أفسدك علينا وأفسدنا عليك . لو أغضيتَ عن هذه . قال : إن عمرأ لي
ناصح . قال عبد الرحمن : فأطعمنا مثل ما أطعمته ، وخذنا بمثل نصيحته ؛ إنا
○ رأيناك يا معاوية تضرب عوام قريش بأياديك في خواصها ، كأنك ترى أن بكرامها
جاروك دون لئامها ، وإنا والله لنفرغ من إناء فعم في إناء ضخم ، وكأنك بالحرب
قد حل عقابها عليك من لا ينظر لك . قال معاوية : يا ابن أخي ، ما أحوج أهلك
إليك ! فلا تفجعهم بنفسك ! ثم أشد :

معاوية وقوم
من قريش

أعزّ رجالاً من قريش تناوبوا ○ على سفه ، مني الحيا والتكرم

٢٠

وقال معاوية لابن الزبير : تُتنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني ! قال :
لم لا أكون أحق به منك يا معاوية ، وقد اتبع أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

معاوية وابن
الزبير

على الإيمان واتبع الناسُ أباك على الكفر ؟ قال له معاوية : غلطت يا ابن الزبير
بعث الله ابنَ عمي نبيا فدعا أباك فأجابهُ : فما أنت إلا تابعٌ لي ، هذا كنتُ
أو مهديًا .

معاوية ومروان
وابن العاص في
الحسين

العنبي قال : دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له : أشر على في الحسين . قال :
تخرجه معك إلى الشام ، فقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه . قال : أردتُ
والله أن تستريح منه وتبتليني به ، فإن صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره ، وإن
أسأت إليه كنت قد قطعت رجلي ! فأقامه وبعث إلى سعيد بن العاص ، فقال له :
يا أبا عثمان ، أشر على في الحسين . فقال : والله إنك ما تتخاف الحسين إلا على من
بعدك ، وإنك لتُخاف له قرنا إن صارعه ليصرعته ، وإن سابقه ليسبقته ؛ فذر
الحسين منبت النخله ، يشرب من الماء ، ويصعد في الهواء ، ولا يبلغ إلى السماء !
قال : فما غيبك عني يوم صفين ؟ قال : تحملت الحرم ، وكُفيت الحزم ، وكنت
قريبا لو دعوتنا لأجبناك " ، ولو نُلت لرقعتاك ! قال معاوية : يا أهل الشام ،
هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

مجاوبة بين بني أمية

ابن سعيد وابن
عتبة في بحيرة
معاوية

قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان وليهم بعد الوليد
ابن عتبة بن أبي سفيان ، قال عمر بن سعيد لمعاوية : إن الوليد بن عتبة هو الذي
أمر أهل المدينة بإخراجي ؛ فأرسل إليه وتوثقه . فأرسل إليه معاوية ، فلما
دخل عليه قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجي ؟ قال لا ورجحك أبا أمية ،
ولا أمرت أهل الكوفة بإخراج أيك ؛ بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك ،
إلا أن تكون عصيت الله فيهم ؟ إنك لتحل عري ملك شديدةً عقدتها ، وتمترى
أخلاف فيقةً سريعةً درتها ؛ وما جعل الله صالحا مصلحا كفاسدٍ مفسدٍ !

معاوية وخالد بن
عبد الله في
أموال العراق

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ،

- وعند رجله أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة ؛ لا ما فعل هذا - وأشار إلى خالد - استعملته على العراق فاستعمل كل مُلَطِّ فاسق فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ، واستعملت هذا على خراسان - وأشار إلى أمية - فأهدى إلى رذونين حَطْمَيْن ، فإن استعملتكم ضيعتم وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا ؛ فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهله رجلاً : سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ؛ فأما السامع المطيع المناصح فإنما جزئناه إزداد ودّاً إلى وذه ، وأما المبغض المكاشح ، فإنما داريناه ضخته وسللنا حقه ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيك ؛ وإن هذا تجي الأموال وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ؛ فيوشك أن تلبت البغضاء فلا أموال ولا رجال ؛ فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : هو والله ما قال خالد .

- قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام ، فأقى عمته آمنة بنت سعيد ابن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه فرآه فقال له : ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة . فظن محمد أنه يعرض به ، فقال : وما يمنهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح ، فكبحوا أمك ، وسلبوك ملكك ، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليه . يعني الكيمياء ، وكان يعملها .

- لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاه عبد الله بن أبي سرح ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ما حشوا جبتك يا عمرو ؟ قال : أما ؛ قال : قد علمت أنك فيها . ثم قال : أشعرت يا عمرو أن اللقاح دزت بعدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أعجفتم أولادها .

- وقع بين ابن عمر بن عبد العزيز وابن سليمان : بن عبد الملك كلام . فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ، قال له ابن سليمان : إن شئت فأقل وإن شئت

خالد بن يزيد
ومحمد بن عمرو

عثمان وابن العاص
بعد عزله عن مصر

ابن عمر بن
عبد العزيز وابن
سليمان

فأكثر؛ ما كان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبي ! لأن سليمان هو ولي عمر
ابن عبد العزيز .

ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان كانوا عند هشام ،
فذكروا الوليد بن يزيد ، فخمقوه وعابوه ، وكان هشام يبغضه ؛ ودخل الوليد ،
فقال له العباس بن الوليد : كيف حبك للروميات ؟ قال : إن أباك كان
مشغولاً بهن . قال : إني لا أحسن . [قال] : وكيف لا يُحببن وهن يلدن مثلك ؟
قال : آسكت ، فلست بالفعل يأتي عبثه بمثلي . قال له هشام : يا وليد ، ما شرايك ؟
قال : شرايك يا أمير المؤمنين . وقام فخرج ، فقال هشام : هذا الذي تزعمون
أنه أحق .

١٠ وقرب إلى الوليد بن يزيد فرسه ، فجمع جراميزه ووثب على سرجه ، ثم
التفت إلى وليد لهشام بن عبد الملك ، فقال : يحسن أبوك أن يصنع مثل هذا ؟
قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا ! فقال الناس : لم يُنصفه في الجواب .

خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فقالت :
والله لا تزوجني أبو الذباب ! فتزوجها يحيى بن الحكم ؛ فقال عبد الله ليحيى :
أما والله لقد تزوجت أسوداً أفوه ! قال يحيى : أما إنها أحببت مني ما كرهت
منك ! وكان عبد الملك ردى الفم ، يدعى فيقع عليه الذباب ، فسمى
أبا الذباب .

الجواب القاطع

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام ، فقال : إني لأبغض هذه
الوجوه . قال له سعيد بن عثمان : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك ! قال : صدقت ،

ولكن الأنصار والمهاجرون قتلوا أباك !

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم ! قال له :
أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة .

العباس بن الوليد
والوليد بن يزيد

الوليد بن يزيد
وولده هشام

عبد الملك ويحيى
ابن الحكم وبنت
عبد الرحمن بن
هشام

ثابت بن عبد الله
وسعيد بن عثمان

الحجاج وخارجي

عمرو بن
معديكرب
وباهلي

وقال ابن الباهلي لعمرو بن معديكرب : إن مُهرَكَ لمُعرف . قال : هجينٌ
عرف هجيناً مثله .

الحجاج وخارجية

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأُعِدَّنكم عَدًّا ولأَحْصِدَنَّكم حَصْدًا !
قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق !

وَأَتَى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابها : ما تقولون فيها ؟ قالوا :
عاجلها القتل أيها الأمير ، قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من
وزرائك يا حجاج ! قال لها : وَمَنْ صاحبي ؟ قالت : فرعون ؛ استشارهم في موسى
فقالوا : أَرْجِهْ وَأَخَاهُ !

زياد وخارجي

وَأَتَى زيادٌ رجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول فيّ وفي أمير المؤمنين ؟
قال أما الذي تسميه أمير المؤمنين فهو أميرُ المشركين ، وأما أنت فما أقول في
رجل أوله لزنينة وآخره لدعوة ! فأمر به فقتل وصلب .

الأشعث وشريح

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت
ذلك ضربك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك .

ابن الفضل
وبعض قرابته

نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يا ابن الزنديق ! قال له :
إن كان أبي كما تقول وأنا مثله ، فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث ؛ إذ كان
لا يرث دينٌ ديناً .

الحجاج وخارجية

وَأَتَى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها
الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إني لأستحي أن أنظر إلى من
لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فقتلت .

عثمان وعلي

لقي عثمان بن عفان عليّ بن أبي طالب ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ، فسكت
عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟ قال : له علي : ليس لك عندي إلا
ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره

وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت

الأحنف ؛ فقال له : مالك لا تقول أبا بحر ؟ قال : أخافك إن صدقتُ وأخاف الله إن كذبتُ !

- ٥ قال معاوية يوماً : أيها الناس ، إن الله فضل قريشاً بثلاث : فقال لبيبة عليه الصلاة والسلام : ﴿ وأندرك عشيرتك الأقربين ﴾ ، فنحن عشيرته ؛ وقال : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ ، فنحن قومه ؛ وقال : ﴿ لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ ، ونحن قريش ! فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : ﴿ وكذب به قومك ﴾ ، وأتم قومه ؛ وقال : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ وأتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ﴿ يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ ، وأتم قومه ؛ ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتنا لزدناك ! فألحمه .

- ١٥ وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم ﴾ ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

مجاوبة الأمراء والرد عليهم

- ٢٠ قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية . قال : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية ، وهي الأثنى من الكلاب . قال : لا أم لك ! قال : أمي ولدتي للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا . قال : إنك لتهددني ! قال : إنك لم تفتنحنا قسراً ولم تملكنا عنوة ، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً وأعطيناك سمعاً وطاعة ، فإن وفيت لنا وفيتنا لك ، وإن فزعت إلى غير ذلك ، فإننا تركنا ورامنا رجالاً شداداً وألسنة حداداً .

قال له معاوية : لاكثر الله في الناس أمثالك . قال جارية : قلُ معروفًا وراعنا ؛ فإن شر الدعاء المختطب .

معاوية
والأحف

عقد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوبًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لم ترد الأمور على أعقابها ؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوارحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ؛ ولئن مددت فترًا من غدر لنمُدَّن باعًا من ختر ؛ ولئن شئت لنستصفين كدر قلوبنا بصفو حلك . قال : فإني أفعل !

معاوية وعدى

قال معاوية لعدي بن حاتم : ما فعلت الطرفات يا أبا طريف ؟ يعني أولاده ؛ قال : قتلوا ! قال : ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قُتل بنوك معه وبقي له بنوه ! قال : لئن كان ذلك لقد قُتل هو وبقيت أنا بعده ! قال له معاوية : ألم تزعم أنه لا يُخنق في قتل عثمان عثر ؟ قال : قد والله خنق فيه التيس الأكبر . قال معاوية : أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها ! قال عدى : لا أبالك ! شِم السيف ، فإن سلَّ السيف يسُلَّ السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال : اجعلها في كتابك فإنها حكمة .

الأحف وشاع
لعن عليا

الشيعاني عن أبي الجنباب الكندي عن أبيه ، أن معاوية بن أبي سفيان بينما هو جالس وعنده وجوه الناس ، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبًا ، فكان آخر كلامه أن لعن عليا ؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إلى هذا القائل ما قل أنا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم ، فأتق الله ودع عنك عليا ، فقد لقي ربه ، وأُفريد في قبره ، وخلا بعمله ؛ وكان والله - ما علينا - المبرز بسبقه ، الطاهر خلقه ^(١) ، الميمون نقيته ، العظيم مصيئته . فقال له معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العين دلي القذى ، وقلت ما ترى ! وآيم الله لتصعدن المنبر فلعننّه طوعا أو كرها ، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين ، إن تعفى فهو خير لك ، وإن تجبُرني على ذلك فوالله لا تجرى فيه شفتاي أبدًا !

قال : قم فاصعد المنبر . قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل . قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتنى ؟ قال : أصدد المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا ، وإن عليا ومعاوية اختلفا فافتتلا ، وادعى كل واحد منهما أنه بُغِي عليه وعلى فئته ؛ فإذا دعوتُ فأتوا رحمكم الله . ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ؛ وآلِ العنِ الفئة الباغية ؛ اللهم العنهم لعنا كبيرا ! أمتوا رحمكم الله . يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسي ؛ فقال معاوية : إذا نُعِفَ بك يا أبا بحر .

١٠ وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إن علياً قد فطمك ووصلتك ؛ ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر ! قال : أفعل ، فأصعد ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل ، فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بني وبينه . قال : والله لازدتُ حرفاً ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى نية المتكلم . ١٥

الهيثم بن عدي قال : قال معاوية لأبي الطفيل : كيف وجدك على علي ؟ قال : وجدُ ثمانين مثكلاً ! قال : فكيف حبك له ؟ قال : حب أم موسى ، وإلى الله أشكو التقصير !

٢٠ وقال مرة أخرى : أبا الطفيل ! قال : نعم . قال : أنت من قنلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكني ممن حضره ولم ينصره . قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فلم أنصره . قال : لقد كان حقّه واجبا وكان عليهم أن ينصروه . قال : فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ما طلبي بدمه نصره له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان

معاوية وعقيل
في أمر علي

كما قال الشاعر :

لَا عَرَفْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْدُبُنِي ۝ وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدَتْنِي زَادَا

معاوية وابن
الخطل

العتبي قال : صعد معاوية المنبر فوجد من نفسه رقة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن عمر ولاني أمراً من أمره ، فوالله ما غششتُهُ ولا خنتُهُ ثم ولاني الأمر من بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً ؛ فأحسنت والله وأساءت ، وأصبت وأخطأت ؛ فتن كان يجهلني فإني أعرفه بنفسى . فقام إليه سلة بن الخطل العرجي ؛ فقال : أنصفت يا معاوية وما كنت منصفاً . قال فغضب معاوية وقال : ما أنت وذاك يا أحديب ؟ والله لكأني أنظر إلى بيتك بمهيجة ، وبُطْطَب تَيْس ، وبطْطَب بهمة ، بفنائهِ أعز عشر ، يحتلبن في مثل فوارة حافر العير ، تهفو الريح منه بجانب ، كأنه جناح نسر . قال : رأيت والله ذاك في شر زماننا إلينا ، ووالله إن حشوه يومئذ لحسبٌ غير دنس ؛ فهل رأيتني يا معاوية أكلت مالا حراماً أو قُلت امرأً مسلماً ؟ قال : وأين كنت أراك وأنت لا تدبُّ إلا في خمر ؟ وأى مسلم يعجز عنك فتنته ؟ أم أى مال تقوى عليه فناكله ؟ اجلس لا جلست . قال : بل أذهب حتى لا ترائي . قال إلى أبرد الأرض لا إلى أقربها . فحضى ، ثم قال معاوية : رُدَّوه عليّ ، فقال الناس : يعاقبه ! فقال له : أستغفر الله منك يا أحديب ، والله لقد بررت في قرابتك ، وأسليت لحسن إسلامك ، وإن أباك لسيّد قومه ؛ ولا أبرح أقول بما تحب فاقعد .

١٠

١٥

٢٠

الأوزاعي قال : دخل خريم الباعم على معاوية ، فنظر إلى ساقه فقال : أى ساقين . لو أنهما على جارية . قال في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادي أظلم .

معاوية وخريم
الباعم

دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أما وجدت لك أمك أسماً إلا عطاء ؟ قال : لقد استكثرت من ذلك ما استكثرتُه يا أمير المؤمنين ، ألا سمّيتي باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مريم .

عبد الملك وعطاء

قال معاوية لصحار بن العباس العبدي : يا أزرق . قال : البازي أزرق . قال :

معاوية وصحار

يا أحرر . قال : الذهب أحرر . قال : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس ؟ قال : شئ ؟
يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد . قال : فما البلاغة عندهم ؟
قال : أن تقول فلا نخطئ ، ونجيب فلا نُبطئ .

ابن عامر وابن
حازم

وقال عبد الله بن عامر بن كريز لعبد الله بن حازم يابن بجلى . قال : ذاك اسمها .
قال : يابن السوداء . قال : ذاك لونها . قال : يابن الأمة . قال : كل أتى أمة فاقصد
بذرعك لا يرجع سهمك عليك ؛ إن الإمام قد ولدك .

عبد الملك وابن
ظبيان

دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك :
ما هذا الذى يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لاتشبه أباك
قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ؛ ولكن أدلك على
من لم يشبه أباه . قال : من هو ؟ قال : من لم تنضجه الأرحام ، ولم يولد لتمام ،
ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمى سويد بن منجوف .
وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنه ولد لسته أشهر .

هشام وزيد
ابن على

دخل زيد بن على بن هشام بن عبد الملك ، فلم يجد موضعا يقعد فيه : فعلم أن
ذلك فعل به على عمد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد
يا امرئ مثلى بتقوى الله ؟ قال زيد : إنه لا يكبر أحدٌ فوق تقوى الله ، ولا يصغر
دون تقوى الله . قال له هشام : بلعنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ؛
إنك ابن أمة . قال : زيد : أما قولك إنى أحدثت نفسى بالخلافة ، فلا يعلم الغيب
إلا الله ؛ وأما قولك إنى ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة
من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة . أخرج من صلبه
الفرقة والخنازير وعبد الطاغوت . قال له : قم . قال : إذن لا ترائى إلا حيث
تكبره . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل . قال له حاجبه :
لا يسمع هذا الكلام منك أحد .

وقال زيد بن على :

شرَّده الخوف وازرى به . كذاك من يكبره حرَّ الجِلادُ

تُخَفِّى الرَّجُلَيْنِ يَشْكُو الْوَجَا . تَقْرَعُهُ اطْرَافُ مَرْوٍ جِدَادُ

قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ . وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

ثم خرج بخراسان ، فقتل واصلب في كناسة . وفيه يقول سُديف بن ميمون في دولة بني العباس :

- واذكروا مَقْلَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا . وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمِهْرَاسِ
يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأحد .

دخل رجل من قيس على عبد الملك بن مروان : فقال : زُيْرِي . والله لا يحبك قلبي أبدًا . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع من الحب النساء ، ولكن عدل وإنصاف .

عبد الملك
ورجل من قيس

- ١٠ وقال عمر بن الخطاب لأبي مریم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب : والله لا يحبك قلبي أبدًا حتى تحب الأرض الدم . قال : يا أمير المؤمنين ، فهل تمنعني لذلك حقًا ؟ قال : لا . قال : لحسي .

عمر بن الخطاب
وأبو مریم

- ١٥ دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال : على امرئ أوطأك رَسَنَهُ وَسَلَطَكَ عَلَى الْأَمَةِ لَعَنَهُ اللَّهُ . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والامرء مدبر عنى ولو رأيتني والامرء مقبل على لعظم في عينك ما استصغرت منى . قال : أظن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أهلك ، وأخيك فضعه من النار حيث شئت .

سليمان ويزيد
ابن أبي مسلم

وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث : بلغنى أن كندة تدعيك . قال : لا خير فيمن لا يتقى رهبة ولا يدعى رغبة .

مروان وزفر

- ٢٠ قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلْجَة : إني أظنك أحق . قال : [أحق] ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه .

مروان وابن
دلجة

وقال مروان لحويطب بن عبد العزى ، وكان كبيراً مُسَنًّا : أيها الشيخ ، تأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث . فقال : الله المستعان ، والله لقد همدت بالإسلام

مروان
وحويطب

غير مرة ، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ، ويقول : يضع من قدرك أن
ترك دين آبائك لدين محدث ، وتصير تابعاً فسكت مروان .

عبد الملك وثابت
ابن عبد الله

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير : أبوك ما كان أعلم
بك حيث كان يشتمك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كان يشتمني أني كنت أنهاه
أن يقاتل بأهل المدينة وأهل مكة ؛ فإن الله لا ينصر بهما ؛ أما أهل مكة فأخرجوا
النبي صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فأذوه حتى سيرهم - يعرض
بالحكم بن أبي العاص طريد النبي صلى الله عليه وسلم - ؛ وأما أهل المدينة فخذلوا
عثمان حتى قتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه . قال له : عليك لعنة الله .

معاوية والبراءة
من علي

جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من علي ؛ فقال له رجل من بني تميم :
يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى زياد فقال :
هذا رجل فاستوص به .

معاوية
والأنصار

قال معاوية يوماً : يا معشر الأنصار ، بيم تطلبون ما عندي ؟ فوالله لقد كنتم
قليلاً معي كثيراً معي علي ، ولقد قللتكم حتى يوم صيفين حتى رأيت المنايا تنلظي
من أنسنتكم ، ولقد هجوتموني [في أسلافي] بأشد من وخز الأسل ، حتى إذا أقام
الله منّا ما حاولتم مثله ، قلتم آزع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .
هيهات . يا أبي الحقيق العذرة .

فأجابه قيس بن سعد ، قال أما قولك جنتك نطلب ما عندك ، فبالإسلام
الكاافي به الله ماسواه ، لا بما نمت إليك به من الأحزاب ؛ وأما استقامة الأمر ،
فعلى كره منا كان ؛ وأما قلنا حدك يوم صيفين ، فأمر لا نعذر منه ؛ وأما عداوتنا
لك ، فلو شئت كففتها عنك ؛ وأما هجاؤنا إياك ، فقول يثبت حقه ويزول باطله ؛
وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمن بها يحفظها من بعده ؛
وأما قولك يا أبي الحقيق العذرة ، فليس دون الله يد تحجزك منا ؛ فدونك أمرك
بامعاوية ؛ فإنما مثلك كما قال الشاعر .

يا لك من قُبْرَةٍ بمَعْمَرٍ . خلّالك الجوّ فيضى واصْفِرِي

- ٥ وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفي حلفائنا من ربيعة . قال سليمان : الذي تحالفنا عليه أعزُّ منكم .
- ٥ عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وعدي بن حاتم وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقتت عينك ؟ قال : يوم قتل أبوك ، وهربت عن خالك ، وأنا للحق ناصر ، وأنت له خاذل . وكان فقتت عينه يوم الجمل .
- ١٠ الرشيد وابن مزيد وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة ؟ قال : نعم ، ولكن منابرهم الجدوع .
- يزيد بن معاوية والمصور كان المسور بن مخزومة جليلا نبيلًا ، وكان يقول في يزيد بن معاوية إنه يشرب الخمر : فبلغه ذلك ؛ فكذب إلى عامله بالمدينة أن يحلده الحد ، ففعل ، فقال المسور في ذلك :
- أَشْرَبُهَا صِرْفًا يَفُضُّ خَتَامَهَا • أَبُو خَالِدٍ وَيُجَلِّدُ الْحَذَّ مِسُورُ
- ١٥ المأمون وابن أكرم قال المأمون ليحيى بن أكرم القاضي : أخبرني من الذي يقول :
- قَاضٍ يَرَى الْحَدَّ فِي الزَّنا وَلَا • يَزِي عَلَى مَنْ يَلُوطُ مِنْ بَاسٍ
- قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :
- لَا أَحْسَبُ الْجَوْرَ يَنْقُضِي وَعَلَى الْا • أُمَّةٌ وَالِ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ
- قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم . قال : يُنْفِي إِلَى السُّنْدِ . وَإِنَّمَا مَرْحَنَّا مَعَكَ .
- ٢٠ سليمان وابن الرقاع قال سليمان بن عبد الملك لعدي بن الرقاع : أنشدني قولك في الخمر :
- كُمَيْتٌ إِذَا شُجَّتْ ، وَفِي الْكَأْسِ وَرْدَةٌ • لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ
- فُتْرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ • لَوْ جِهَ أَخْبَهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ
- فأنشده : فقال له سليمان : شربتها ورب الكعبة ! قال عدي : والله

يا أمير المؤمنين ، لئن رايتك وضي لها قد رايتي معرفتك بها ، فضاحا
وأخذا في الحديث .

الاصمعي قال : لما ولي بلال بن أبي بردة البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان ، فقال :

بلال وخالد بن
صفوان

• سخابة سيفٍ عن قليل تقشعُ •

• فبلغ ذلك بلالا فدعا به ، فقال : أنت القاتل ؟

• سخابة سيفٍ عن قليل تقشعُ ؟ •

• أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شوبوب برد ! فضربه مائة سوط .

وكان خالد يأتي بلالا في ولايته ، وينشأ في سلطانه ، ويفتاه إذا غاب عنه .

ويقول ما في قلب بلال من الإيمان إلا ما في بيت أبي الزرد الحنفي من الجوهر .

١٠ وأبو الزرد رجل مفلس .

عتبة وخالد
القمري

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله

القمري بعد حجاب شديد ، وكان عتبة رجلا سخيا ، فقال له خالد يعرض به :

إن هاهنا رجلا يدانئون في أموالهم ، فإذا قُتِلَ يدانئون في أعراضهم ! فلم

القمري أنه يعرض به : فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجلا تكون أموالهم

١٥ أكثر من مروعاتهم ، فأولئك تبقى أموالهم ؛ ورجالا تكون مروعاتهم أكثر

من أموالهم ، فإذا نفدت اذنانوا على سعة ما عند الله ! ففعل خالد وقال :

أما إنك منهم ما علمت .

شريك والربيع

كان شريك القاضي يشاخص الربيع صاحب شرطة المهدي لحمل الربيع

المهدي عليه ، فدخل شريك يوما على المهدي ، فقال له المهدي : بلغني أنك

٢٠ وُلِدْتَ في قوصرة . فقال : ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان ، والقواصر هناك

عزيزة ، قال : إني لأراك فاطميا خبيثا ! قال : والله إني لأحب فاطمة وأبافاطمة .

صلى الله عليه وسلم : قال : وأنا والله أحبهما ؛ ولكني رأيتك في منامي مصروفا

وجهلك غنى ، وما ذاك إلا لبغضك لنا ؛ وما أراي إلا قاتلك لأنك زنديق ! قال :

يا أمير المؤمنين : إن الدماء لا تسدك بالأحلام ؛ وليست رؤياك رؤيا يوسف

النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك بأن زنديق ، فإن الزنادقة علامة يعرفون بها .
قال : وما هي ؟ قال : بشرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ،
وأنت خير من الذي حملني عليك .

عمر بن الخطاب
 وابن العاص

قال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص لما قدم عليه من مصر : لقد سرت
سيرة عاشق . قال : والله ما تأبطئني الإمام ولا حملني البغايا في غُبرات المآلى !
قال عمر : والله ما هذا جواب كلامي الذي سألتك عنه ، وإن الدجاجة لتفحص
في الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طرقتها . وقام عمر فدخل ،
فقال عمرو : لقد خش علينا أمير المؤمنين !

بين عبد الله بن
-لم والحسين
ابن المنذر

وتزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير
مثله ، وإلى آلات لم ير مثلها ، وأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليهم ،
ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بداري قششت وفي صحنها قدور
أشتات تترتق بالسلام ؛ فإذا الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعة الرقاشي قد
أقبل والناس جلوس على مراتبهم ، والحصين شيخ كبير ؛ فلما رآه عبد الله بن مسلم
قال لقتيبة : ائذن لي في كلامه . فقال : لا ترده فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله
إلا أن يأذن له . وكان عبد الله يضعف ، وكان قد تسور حائطا إلى امرأة
قبل ذلك ؛ فأقبل على الحصين فقال : أين الباب دخلت يا أبا ساسان ؟ قال :
أجل ، ضعف عظمك عن تسور الحيطان ! قال : أرايت هذه القدور ؟ قال :
هي أعظم من أن لا ترى . قال : ما أحسب بك بن وائل رأى مثلها . قال :
أجل ، ولا عيلان ؛ ولو كان رأها سمي شعبان ، ولم يسم عيلان ! قال له عبد الله :
أتعرف الذي يقول :

٢٠

عزلنا وأمرنا ، وبكر بن وائل * تجز خصاصها تبغى من تحالف

قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

ونحية من يخيب على غني * وباهلة بن تبصر والرباب

يريد : يا خيبة من يخيب .

قال : أنعرف الذى يقول :

كَأَنَّ قِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِصْمَرٍ • إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

قال : نعم ، وأعرف الذى يقول :

قَوْمٌ قَتِيلَةٌ أُنْهَمَ وَأَبْوَاهُ • لَوْلَا قَتِيلَةٌ أَصْبَحُوا فِي تَجْهِيلٍ

٥ قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ منه

الأكثر : (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) . قال :

فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغنى أَنَّ امرأةَ الحَضَيْنِ حُمِلَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ حَبْلِي مِنْ

غَيْرِهِ ! قال : فأنحكرك الشيخ عن هيئته الأولى ؛ ثم قال على رِسله : وما يكون ؟

تلد غلاماً على فراشى فيقال فلان بن الحَضَيْنِ ، كما يقال عبد الله بن مسلم ! فأقبل

١٠ قَتِيلَةً عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : لَا يَبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ !

والحَضَيْنِ هذا هو الحَضَيْنِ بن منذر الرقاشي ، ورقاش أنهم ، وهو من

بنى شيبان بن بكر بن وائل ، وهو صاحب لواء على بن أبي طالب رضى الله تعالى

عنه بصفين على ربيعة كلها . وله يقول على بن أبي طالب :

لَمَنْ رَأَيْتَ سُودَاءَ يَخْفِقُ ظُلُّهَا • إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حَضَيْنٌ تَقَدَّمَا

يَقْدَمُهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يُزَيَّرَهَا • جِيَاضُ الْمَنَابِإِ تَنْظُرُ السُّمَّ وَالذَّمَا

جزى الله عنى والجزاء بفضلِهِ • رَيْبَةٌ خَيْرًا مَا أَعَفَ وَأَكْرَمَا

ابن الجارود
وابن العاص

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمر بن العاص : أى رجل أنت لو لم تكن

أنتك ! من هى ؟ قال : أحد الله إليك ؛ لقد فكرت فيها البارحة ، فجعلت أنقلها

فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ فَمَا خَطَرْتُ لِي عَبْدَ الْقَيْسِ بِيَالٍ .

ابن صفوان
ودارى

٢٠ قال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار وسمعه يفخر بموضعه من

قَرْبَشٍ - فقال له خالد : لقد هشمك هاشم ، وأمتك أُمَيَّة ، وخزمتك مخزوم ،

وجعمتك جُمَح ، وسهمتك سِهَم ؛ فأنت ابنُ عبد دارها ، تفتح الأبواب إذا أغلقت ،

وتغلقها إذا فتحت .

جواب في هزل

كان للمغيرة بن عبد الله الثقي وهو والي الكوفة ، جدتي يوضع على مائدة ،
 لحضره أعرابي ، فديده إلى الجددي وجعل يسرع فيه : فقال له المغيرة : إنك لتأكله
 بحرذ كأن أمه فطحتك ! قال : وإنك لمشتق عليه كأن أمه أرضعتك .

المغيرة وأعرابي
 يؤكله

- كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن
 عنبسة بن سفيان بن العاص ، أحمر الجبة والمطرف والعمامة : فقال إبراهيم : هذا
 ابن عنبسة قد أقبل في زينة قارون ! قال : فضحك هشام : قال له عبد الرحمن :
 ما أضحكك يا أمير المؤمنين ؟ فأخبره بقول إبراهيم : قال له عبد الرحمن : لولا
 ما أخاف من غضبه عليك وعلى وعلى المسلمين لأجته ! قال : وما تخاف من غضبه ؟
 قال : بلغني أن الدجال يخرج من غضبه يفضها . وكان إبراهيم أعور ! قال إبراهيم
 لولا أن له عندي يدا عظيمة لأجته ! قال : وما يده عندك ؟ قال : ضربه غلام له
 بمذبة فأصابه ، فلما رأى الدم فزع ، فجعل لا يدخل عليه بملوك إلا قال له : أنت
 حُر ! فدخلت عليه عائدا له ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال لي : أنت حر ! قلت له :
 أنا إبراهيم ! قال لي : أنت حُر ، فضحك هشام حتى استلقى .

ابن عنبسة
 وإبراهيم في
 حضرة هشام

- قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن أبي سفيان بن ثابت : لو أصبت ركوة مملوءة
 خرا بالبقيع ما كنت صانعا ؟ قال : كنت أعزفها بين التجار ، فإن لم تكن لهم فهي
 لك ! لكن أخبرني عن الفريضة أهى أكبر أم ثابت ، وقد تزوجها قبله أربعة ،
 كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى ، فقيل لها : يا فريضة ، لم تطلقين وأنت
 جميلة حلوة ؟ قالت : يريدون الضيق ضيق الله عليهم ... !

ابن حسان وعطاء

- ولقي رجل من قريش كان به وضع جارية من بدر وكان مغرماً بالشراب : فقال
 لها : أشعرت أنه بُعث نبي لهذه الأمة يُحمل الخمر للناس ؟ قالت : إذاً لا تصدق به حتى
 يرى الآله والأبرص !

جارية وقريش

دخل الزبرقان بن بدر على زياد ، فلم تسلها جانياً ، فأدناه زياد وأجلسه

الزبرقان وزياد

معه : ثم قال له : يا أبا عباس الناس يضحكون من جنائك ! قال : ولم ضحكوا ؟
فوالله إن منهم رجل إلا ودَّ أنِّي أبوه دون أبيه ، لغيته كان أو لرشده !
دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون ، فقال :
يا أبا فراس ، أتدري ممَّ يضحكون ؟ قال : لا أدري . قال : من جنائك . قال :
أصلح الله الأمير . حججت فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأة آخذة
بمزره وهو يقول :

أَنْتَ وَهَبْتَ زَانِدًا وَمِزِيدًا هـ وَكَهْلَةً أُولِجَ فِيهَا الْأَجْرَدَا

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : بمن الرجل ؟ قال : من الأشعرين . فأننا
أجني من ذلك الرجل ؟ قال : لا حياك الله ! فقد علمت أنا لا نُفَلت منك .

١٠ اجتمع كوسج مع رجل مُسَبِّل . فقال المسبل : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ طَيِّبٌ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ كَوْسَجٌ وَبَسِيلٌ
يَأْذَنُ بِهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَسِيدًا) ! قال الكوسج : (لَا يَسْتَوِي
الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ) !

مرسلة بن عبد الملك ، وكان من أهل الناس ، بموسس على مزيله : فقال
الموسس : لو رآك أبوك آدم لقرت عينه بك . قال له مرسلة : لو رآك أبوك آدم
لأذهب سحنة عينه بك قرّة عينه بي . وكان مرسلة من أحضر الناس جوابا .

خرج إبراهيم النخعي ، وقام سليمان الأعمش يمئى معه : فقال إبراهيم : إن الناس
إذا رأونا قالوا : أعور وأعمش ! قال : وما غلبك أن يأمروا وتؤجر ؟ قال :
وما عليك أن يسلموا وتسلم ؟

وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، قلت : لمن أنت يا أسود ؟ قال :
لسيد الحى يا أصلع ! قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لى : الحق أغضبك . قلت :
أولست بأسود ؟ قال : أولست بأصلع .

أدخل مالك بن أسماء السجن ، من الكوفة : فجلس إليه رجل من بني مرة
فاتكأ عليه المرى يحدثه : ثم قال : أدري كم قتلتا منكم في الجاهلية ؟ قال : أما في

ابن أسماء في
سجن الكوفة

الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام ! قال : ومن قتلنا منكم في الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتنى بنتن إبطيك !

نُخْبِرُ فِي يَوْمِ رَجِ
مرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم في يوم ربيع ، فقال رجل منهم : إنها لرُشحاء ! قالت : والله يا بني نمير ما أطعمتم الله ولا أطعمتم الشاعر : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ . وقال الشاعر :

فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ

لشريح : أيهما أطيبُ : الجوزنيق أم اللوزنيق ؟ قال : لست أحكم على غائب .

هشام بن القاسم قال : جعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : مَنْ

الكهل ؟ قال : وما تعرفني ؟ قلت : لا ! قال : أبو فراس . قلت : ومن أبو فراس

قال : الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف الفرزدق ؟ قلت :

لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعله النساء عندنا يتشبهون به كهنة السويق . قال :

الحمد لله الذي جعلني في بطون نساكنم يتشبهون بي !

هشام والأبرش الكلابي
قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلابي : زوجني امرأة من كلب . فزوجته ؛ فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سعة ! قال : يا أمير المؤمنين ، نساء

١٥ كلب خلقت لرجال كلب .

وقال له يوماً وهو يتغذى معه : يا أبرش ، إن أكلك أكلٌ معدى قال :

هيات ، تأبى ذلك قضاة .

عمارة وشيطان الطاق
عمارة عن محمد بن أبي بكر البصري قال : لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة لشيطان الطاق : مات إمامك . وذلك عند المهدي ؛ فقال شيطان

٢٠ الطاق : لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ! فضحك المهدي من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

نساء كندة
العتبي قال : حدثني أبي لما افتتح النجير ، وهي مدينة باليمن : سمع رجلاً من

كندة رجلاً وهو يقول : وجدنا في نساء كندة سعة ! فقال له : إن نساء كندة

مكاحل فقدت مَراودها .

- لقي خالد بن صفوان الفرزدق ، وكان كثيراً ما يداعبه ، وكان الفرزدق
ابن صفوان
والفرزدق
دعياً ؛ فقال له . يا أبا فراس ، ما أنت بالذي ﴿لما رأيتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْتَ أَيْدِيَّ﴾
قال له : ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لايها : ﴿يا أبتِ أَسْتَأْجِرُهُ إِنْ
خَيْرَ مِنْ أَسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينَ﴾ .
- ٥ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال للمشتري : أما والله لقد أخذتها
كثيرةً المثونة قليلة المعونة . قال له المشتري : وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع
سريعة الاقتراق !
- واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك
الذراع بعشرة دنانير ! قال له البائع : وأنت لو صبرت لاشتريت منك
الذراع بدرهم ! ١٠
- وكان بارقة رجل يحدث بأخبار بني إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حنتمه :
بقرة بني إسرائيل
كيف كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟ قال حنتمه ! فقال له رجل من ولد أبي موسى
الاشعري : أين وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص .
- وقال رجل للشعبي : ما كان اسمُ امرأةِ إبليس ؟ قال : إن ذلك نكاحُ
للشعبي
ما شهدناه ! ١٥
- ودخل رجل على الشعبي ، فوجده قاعداً مع امرأة : فقال : أيكما الشعبي ؟ قال
الشعبي : هذه ! وأشار إلى المرأة .
- كان معن بن زائدة ظليماً في دينه ، فبعث إلى ابن عباس المتوفى بألف دينار
من بن زائدة
وكتب إليه : قد بعثنا إليك بألف دينار ، اشتريتُ بها منك دينك ؛ فاقبض
المال واكتب إلى بالتسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعثتك به ديني
٢٠
خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه !
- بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة المروزي ، فلما أتى قال : أتدري
ابن أبي بردة
والمروزي
لم بعثت إليك ؟ قال لا أدري . قال : بعثت إليك لأضحك بك ! قال : لقد
ضحك أحد الحكمين من صاحبه - يعرض له بحده أبي موسى - فغضب بلال

وأمر به إلى الحبس ، فكلمه الناس وقالوا : إن المجنون لا يعاقب ولا يحاسب . فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه ، فأتى به في يوم سبت وفي كنه طرائف أنحف بها في الحبس ؛ فقال له بلال : ما هذا الذي في كحك ؟ قال : من طرائف الحبس . قال : ناولني منها . قال : هو يوم سبت ، ليس يُعطى فيه ولا يؤخذ ؛ يعرض بعمة كانت له من اليهود .

•

دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشدها :

حسان وعائشة

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا يُزَنُّ بِرَبِيَّةٍ • وَتُصْبِحُ غُرْقًى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

قالت له : لكنك لست كذلك ؛ وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك .

نظر رجل من الأزد إلى هلال بن الأحوز حين قدم من قنديل وقد أطافت به بنو تميم ، فقال : انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسى . فقال له محمد بن عبد الملك المازني : هذا ضدٌ : عيسى كان يحيى الموتى ، وذا يميت الأحياء .

ابن الأحوز وأزدى

لما حُلقت لحية ربيعة بن أبي عبد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف عليه كل يوم في حلقة ، وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن ؛ من خلق لحيتك ؟ فلما أبرمته قال لها : يا هذه ، إن ذلك خلقها في جزء واحدة ، وأنت تحلقينها في كل يوم .

ربيعة وبعض النساء

خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بحمص في يوم مطر ، عليه طيلسان وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه : أفسدت ثوبك أبا عبد الله ؟ قال : وما يضرك ؟ قال : وددت أنك وهو في النار ؛ قال : وما ينفعك ؟

سعيد بن هشام وبعض الرجال

قال : لما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظيان متوكناً على مولى له وقد ضربه الفالج ، فقال قدم العراق رجل على ديني . فقال له حصين بن المنذر الرقاشي : فهو إذا منافق ؛ قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ؛ قال له حصين : إذا يقتلك .

الحجاج وابن ظيات

خالد بن يزيد
والحجاج

ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان ، فر الحجاج بخالد
ابن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد ، وعلى الحجاج سيف محلي وهو يخطر
متبخترا في المسجد ، فقال له رجل من قريش : من هذا التخطارة ؟ فقال خالد :
يخ بخ هذا عمرو بن العاص ! فسمعه الحجاج ، فقال إليه فقال : قلت : هذا
عمرو بن العاص ، والله ما سرني أن العاص ولدني ولا ولدته ، ولكن إن شئت
أخبرتكم من أنا ! أنا ابن الأشياخ من ثقيف ، والعقائل من قريش ، والذي
ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أيك بالكفر وشرب الخمر ، حتى
أقروا أنه خليفة ! ثم ولي وهو يقول : هذا عمرو بن العاص .

وهب بن منبه
ولهبي

قال رجل من بني أبي لُهب لوهب بن منبه : ممن الرجل ؟ قال : رجل من
اليمين . قال : فما فعلت أمكم بلقيس ؟ قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين ،
وأمكم حالة الخطب في جيدها جبل من مسد !

وقال رجل لابن شبرمة : من عندنا خرج العلم إليكم . قال : نعم ، ثم لم
يرجع إليكم .

يزيد بن منصور
وابن مزيد

نظر يزيد بن منصور خال المهدي إلى يزيد بن مزيد وعليه رداء يمان وهو
يسجبه ، فقال : ليس عليك عزله ، فاصحب وجرا ! قال له : على آباءك عزله
وعلى سجي ! فشكاه إلى المهدي ، فقال : لم تجد أحدا تتعرض له إلا يزيد
ابن مزيد !

أبو يقظان وابن
حاتم

دخل أبو يقظان القيسي على يزيد بن حاتم وهو والي مصر وعنده هاشم بن
حديج ، فقال له يزيد : حرّكه ! وعلى أبي يقظان حلة وشي وكساء خز ، فقال له
هشام : الحمد لله أبا يقظان ، لبستم الوشي بعد العباء ! قال : أجل ، تحوكون
ونلبس ، فلا عدتم هذا منا ، ولا عدنا هذا منكم .

الفرزدق
وعبد الجبار

كتب الفرزدق إلى عبد الجبار بن سلمي المجاشعي يستهديه جارية وهو بهيمان
فكتب إليه :

كُتِبَ إِلَى تَسْتَهْدِي الْجَوَارِي • لَقَدْ أَنْعَمْتَ مِنْ بَلَدٍ بِعِيدِ !

وقال رجل من العرب : رأيتُ البارحة الجنة في منامي ، فرأيت جميع ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل لي : للعرب ! قال له رجل من الموالي : أصعدتَ الغُرف ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

قال عبد الله بن صفوان — وكان أمياً — لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبا جعفر ، لقد صرتَ حجةً لفتياننا علينا : إذا نهيناهم عن الملاحى قالوا : هذا ابن جعفر سيد بني هاشم يحضرها ويتخذها ! قال له : وأنت أبا صفوان صرتَ حجةً لصبياننا علينا : إذا كُتِّبَ قالوا : هذا أبو صفوان سيد بني جمع لا يقرأ آية ولا يخطُّها .

ابن صفوان
وابن جعفر

قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لي إليك حاجة ! قال : بحاجة أفضيها يا أمير المؤمنين ؛ فسل حاجتك . قال : أريد أن تهب لي دورك وضياحك بالطائف . قال : قد فعلت ! قال : وصَلَّتْكَ رَحِمُ ! فَسَلْ حاجتك . قال : حاجتي إليك أن تردّها عليّ يا أمير المؤمنين ! قال : قد فعلت !

معاوية وابن عامر

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لي إليك حاجة ! قال : وأنا لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال : فتقضيها ؟ قال : نعم . فلما توثق منه قل : فإن حاجتي إليك أن لا تسألني حاجة .

ثمامة وبعض
الرجال

١٥

جواب في فخر

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : تفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد بن يزيد بن معاوية ، عند عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لشيخ من موالي قريش : أقض بينهما . فقال الشيخ : كان سعيد بن العاص لا يعتَمُّ أحد في البلد الحرام بلون عمامته ؛ وكان حرب بن أمية لا يُبَكِّي على أحد من بني أمية ما كان في البلد شاهداً ؛ فلما مات سعيدٌ وحربٌ شاهد لم يُبَكِّك عليه .

عمرو بن سعيد
وخالد بن يزيد
في حضرة
عبد الملك

٢٠

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك — وهما عند هشام بن عبد الملك — قال له خالد : قل . فقال له الأبرش : لنا رُبْع البيت — يريد الركن

الأبرش وخالد
ابن صفوان

اليماني - ومنا حاتم طي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة ؛ فقال خالد بن صفوان :
منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل ؛ قال الأبرش :
لا فاخرت مضر يا بعدك .

٥ ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب ، فقضوا عنده
بقديمهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال :
أخوال أمير المؤمنين . قال لا بد أن تقول . قال : وما أقول يا أمير المؤمنين ، وما أقول
لقوم هم بين حائك بُرد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ؛ ملكتهم امرأة ، ودل عليهم
هدهد ، وغرقتهم فارة ؟
فلم يبق بعدها ليماني قائمة .

١٠ قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكنته . قال له رجل من
قريش وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدن أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر . فقال له :
لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب .

دخل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الملك بن مروان ، وعليه حبرة صدآء
عليها أثر الحمام ، فقال له أمة بن عبد الله بن خالد بن أسيد : يا أبا حفص ، أي
رجل أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش ؛ قال : ما أحب أني من غير
١٥ من أنا منه ؛ إن منا سيد الناس في الجاهلية ، عبد الله بن جدعان ؛ وسيد الناس
في الإسلام ، أبا بكر الصديق ؛ وما كانت هذه يدي عندك . إني استنقذت أمهات
أولادك من عدوك ابن فديك بالبحرين وهن حبالي ، فولدن في حجابك .

٢٠ قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة
على السواء لعلت . قال معاوية : إذا كنت أكون معاوية بن أبي سفيان ، منزلي
الأبطح ينشق عني سبيله ؛ وكنت عبد الرحمن بن خالد ، منزلك أجياد أعلاه
مدرة ، وأسفله عذرة .

الزبير وعثمان تنازع الزبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر ؛ فقال الزبير : أنا
ابن حفية . قال عثمان : هي أذنتك من الظل ، ولولا ذلك لكنت ضاحياً .

محمد بن يوسف
وابن الفضل

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل : يا هذا ، إنك تنطاول بهاشم كأنك جمعها ، وهي تعد في أكثر من خمسة آلاف . قال له : محمد بن الفضل : إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فضل واحدا .

زياد ومعاوية

نفر مولى زياد بزياد عند معاوية : فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلساني .

الأحوص
ومخزومى

وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصارى : أتعرف الذى يقول : ذهبت قريش بالمكارم كلها . والذل تحت عمام الأنصارى ؟ قال : لا ، ولكنى أعرف الذى يقول :

الناسُ كَتَوهُ أبا حَكَمٍ . واللهُ كَتَنَاهُ أبا جَهْلٍ

قريش وقيس

أَبَقَتْ رِيَّاسَتُهُ لِأُسْرَتِهِ . لَوُؤِمَ الْقُرُوعُ وَرِقَّةُ الْأَصْلِ
سأل رجل من قريش رجلا من بني قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال : من ربيعة . قال له القرشي : لا أثر لكم بيطحاء مكة . قال القيسى : آثارنا في أكاف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة : فأما مكة فسواء العاكف فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى . فأخذه .

قال الأشعث بن قيس لشریح القاضي : لَشَدَّ ما ارتفعت . قال : فهل ضرك ؟ قال : لا . قال : فأراك تمر فنعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك .

سليمان ويزيد
ابن المهلب

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفي أحلافنا من ربيعة . قال له سليمان بن عبد الملك : الذى تحالفتما عليه أعز منكما .

أعنية وأعرابي

قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خُلُقَانٌ وعمامة قد كورها على رأسه ، فرمى بطرفه يمنة ويسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومى فدنا منهم وفي الحلقة فرجة فطبقتها : فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابي ؟ قال : من مدحج . قال : من زيدها الأكرمين ،

أو من مرادها الأطينين ؟ قال لست من زيدها ولا من مرادها . قال : فن أيها ؟
 قال : فإني من حماة أعراضها ، وزهرة رياضها ، بنى زيد . قال : فأخف عتبة حتى
 وضع قلنسوته عن رأسه ، وكان أصلع ؛ فقال له الأعرابي : فأنت يا أصلع ، ممن
 أنت ؟ قال : أنا رجل من قريش . قال : فن بيت نُبوتها ، أو من بيت مملكتها ؟
 قال : إني من ريجانتها بنى مخزوم . قال : والله لو تدرى لم سُميت بنو مخزوم
 ريجانة قريش ، ما غرّت بها أبداً ؛ إنما سميت ريجانة قريش لخُور رجالها ولين
 نساها ؛ قال عتبة : والله لانا زعت أعرابياً بعدك أبداً .

وضع فيروز بن حصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبي عكابة عند زياد ،
 فقال : من هذا العبد ؟ قال : أنت والله العبد ؛ ضربتك فما انتصرت ، ومنذاً
 عليك فما شكرت .

اجتمعت بكر بن وائل إلى مالك بن مسمع لأمر أراذه مالك ؛ فأرسل إلى
 بكر بن وائل ، وأرسل إلى عبيد الله زياد بن ظبيان ؛ فأتى عبيد الله فقال :
 يا أبا مسمع ، ما منعك أن ترسل إليّ ؟ قال : يا أبا مطر ، ما في كنانتي سهم أنا أو ثق
 به متى بك . قال : وإني لفي كمانتك ؛ أما والله لئن كنت فيها قائماً لأطولنّها ،
 ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقنّها .

نازع مالك بن مسمع شقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما شرفك قبرٌ
 يُتَسْتَر . قال شقيق : لكن وضعت قبر بالمشقر . وذلك أن مسمعا أبا مالك
 جاء إلى قوم بالمشقر ، فنبههم كلهم ، فقتله ، فقتلوه به ؛ فكان يقال له : قتيل
 الكلاب ، وأراد مالك قبر مجزعة بن ثور أخى شقيق ، وكان استشهد بتستر مع
 أبي موسى الأشعري .

قال قتيبة بن مسلم لطيرة بن مروح : أي رجل أنت لو كانت أخوالك من
 غير سلول . فبادل بهم . قال : أصلح الله الأمير ، بادل بهم من شئت وجنّبتني
 باهلة . وكان قتيبة من باهلة .

جواب ابن أبي دؤاد

قال أحمد بن أبي دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الوراق : أضوى ،
أى اسكت ، بالنبطية ؛ فقال له : لماذا ؟ والله ما أنا بنبطي ، ولا بدعي . قال له :
ليس فوقك أحد يفُضُّلك ، ولادونك أحد تنزل إليه ؛ فأنت مطرَح في الحالين جميعاً .

ابن أبي دؤاد
وابن الزيات

دخل أحمد بن أبي دؤاد على أشناس ، فقال له : بلغني أنك فاسدت هذا الرجل
يعنى محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ؛ فأحب أن لا يأتينا . قال له ابن أبي دؤاد
أنت رجل صنعتك هذه الدولة ، فإن أتيناك فلها ، وإن تركناك فلنفسك .

هو وأشناس

قال أحمد بن أبي دؤاد : دخلت على الوراق ؛ فقال : ما زال قوم اليوم في
ثلبك ونقصك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم
والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ؛ فآله ولى جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين
من ورائه ؛ وما ضاع امرؤ أنت حاطقه ، ولا ذلٌّ من كنت ناصره ؛ فإذا قلت
لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال أبا عبد الله .

هو والوراق

وسعى إلى بعيب عزة نسوة . جعل المليكُ حُدودَهُنَّ نعالها

وقال أبو العيناء الهاشمي : قلت لابن أبي دؤاد : إن قوما تضافروا على . قال :
(يدُ الله فوق أيديهم) قلت : إنهم جماعة . قال (كم من فتنة قليلة غلبت فتنة كثيرة
يأذن الله ، والله مع الصابرين) قلت : إن لهم مكرأ . قال (ولا يبحقُ المكْرُ
السّيءُ إلّا بأهلِهِ) قال أبو العيناء : حدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال :
ما يرى ابن أبي دؤاد إلّا أن القرآن إنما أنزل عليه .

هو وأبو العيناء

جواب في تفحش

خطب خالد بن عبد الله القسري فقال : يا أهل البادية ، ما أخشن بلدكم ،
وأغلظ معاشكم ، وأجنى أخلاقكم ؛ لا تشهدون جُعة ، ولا تجالسون عالماً . فقام
إليه رجل منهم دميم ، فقال : أما ما ذكرت من خشونة بلدنا وغِلظ طعامنا فهو
كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضرة فيكم ثلاث خصال هي شر من كل ما ذكرت .

خالد القسري
وبدوى

قال له خالد : وما هي ؟ قال : تنقبون الدُّور ، وتنبدشون القبور ، وتنكحون الذُّكور ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به !

أبو الحسن قال : أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرضها ؛
فإذا امرأة جميلة لها هيئة ؛ فنظر إلى رجل دميم يحمي ، ويذهب ويأمر وينهى في
الدار ؛ فقال لها : من هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ! قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون)
أما وجدت من الرجال غير هذا وبك من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا
عبد الله ، لو أستدبرك بمنزل ما يستقبلني به لعظم في عينك .

أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت الملاء لرائض دواب زوجها في طريق
مكة : ما وجدت عملاً شراً من عملك ؛ إنما كنسبك باستك ! فقال لها : جعلت
فذاك ! ما بين ما أكنسب به وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ! قالت : ويلي
عليك ! خذوا الخيث . فطلبه حشمها ؛ فقاتهم ركضاً .

أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي ؛ وددت
والله أن بني تميم جميعاً في جوفى ؛ على أن يضرب وسطى بالسيف ! قال له شيخ
في ناحية المجلس ، حرمازى من بني تميم : ما هذا ، بكفك من ذاك كمره حمارية
تملاً بها استك إلى لماتك !

وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس فقال : أصابتنا سنة
ولى بضع عشرة بننا ! فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء
صفحة من حديد ؛ وأما البنات فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك
بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لمن كاسب غيرك ! قال : فنظر الأعرابي ملياً
ثم قال : ما أدري ما أقول لك ، ولكني أراك قبيح المنظر ، لئيم الخبر ؛ فأعضك
الله بيطور أمهات هؤلاء الجلوس حولك .

وسأل أعرابي شيخاً من الطائف وشكا إليه سنة أصابته ، فقال : وددت والله
أن الأرض حصاء لا تنبت شيئاً ! قال : ذلك أيسر لجعر أمك في استها .

قال : عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزعة بن ضمرة الضمري : إني لو أدركتك

موسى بن مصعب
وامرأة

بنت الملاء
ورائض خيل

يونس النحوي
وأزدي

بين أعرابيين

يوم الأهواز لقطعت منك طابقا شحيا ، قال : أفلا أدلك على طابق شحيم هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ! قال : البظر الذي بين إيسكَيَّ أمك !

قال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقت عيناك ؟ قال يوم طعنك في استك وأنت مُوَلِّ .

- ٥ وقال الفرزدق : ماعيتُ بجواب أحدٍ قطُ ماعيتُ بجواب امرأة وصي ونبطي : فأما المرأة فإنني ذهبت ييفلتى أسقيها في النهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما همزت البغلة حبقت : فاستضحك النسوة ، فقلت لهن : ما أضحككن ؟ فوالله ما حملني أثى قط إلا فعلتُ مثاها ! فقالت امرأة منهن : فكيف كان ضراط أمك مقبرة ، فقد حلتك في بطنها تسعة أشهر ! فما وجدتُ لها جواباً . وأما الصبي ، فإنني كنت أنشد بجامع البصرة ، وفي حلقتي الكميث بن زيد وهو صبي ، فأعجبني حسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بُنَيَّ ؟ قال لي : حسن ! قلت : فسرَّك أني أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أريد به بديلا ، ولكن وددت أن تكون أمي ! قلت : استرها على يا ابن أخي ، فما لقيت مثاها . وأما النبطي ، فإنني لقيت نبطيا نبثرب ، فقال لي : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال أنت الذي يخاف الناس لسانك ؟ قلت : نعم . قال : فأنت الذي إذا هجوتني يموت فرسي هذا ؟ قلت : لا . قال : فيموت ولدي ؟ قلت : لا . قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا . قال : فأدخلني الله في حجر أم الفرزدق ، من رجل إلى عنق ! قلت : ويحك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية !

- ٢٠ ولقي جرير الفرزدق بالكوفة ، فقال أبا فراس : تحتل عني مسألة ؟ قال : أحتملها بمسألة . قال : نعم . قال : فسل عما بدا لك . قال : أي شيء أحب إليك يتقدمك الخير أو تتقدمه ؟ قال : لا يتقدمني ولا أتقدمه ، ولكن أكون معه في قران . قال : هات مسألك . قال له الفرزدق : أي شيء أحب إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أير رجل أو يد رجل على حجرها قال : قاتلك الله ! ما أقبح كلامك وأرذل لسانك .

بن جرير
والفرزدق

أبو الحسن قال : مر الفرزدق يوما بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو
الفرزدق ومسجد
الأحامرة
المزرد الخنق ، فقال له الفرزدق : يا أخا بني خنيفة ، ما شيء لم يكن ، ولا يكون
ولو كان لا يستقيم ؟ قال : لا أدري ! قال : يا أبا المزرد ، إنه سفيه ؛ فإن لم
تنضب أخبرتكَ . قال : فإنني لا أغضب . فقال : حِرِّ أمك : لم تكن له أسنان ،
ولا تكون ، ولو كان لم يستقم !

أبو الحسن قال : لقي الفرزدق عمرو بن عفراء ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ؛
الفرزدق وابن
عفراء
فقال له ابن عفراء وهو بالمريد : ما شيء أحبُّ إليَّ من أن آتي كلَّ شيءٍ تكرهه !
قال له الفرزدق : بالله إنك تأتي كلَّ شيءٍ أكرهه ؟ قال : نعم ! قال : فإنني أكره
أن تأتي أمك فأتها .

١٠ ضاف رجلٌ قبيح الوجه دنيَّ الحسب ، أبا عبد الله الجمار : فجعل يفخر
بين الجمار
وضيف
ببيته ؛ فقال له الجمار : اسكت ، فقباحة وجهك ، ودناءة لفظك ^(١) ، يمتعنا من
سبك ! فأبى إلا التماذي في اللجاج ؛ فقال له الجمار :

لو كنتَ ذا عَرِضٍ هَجَوْنَاكَ هـ أو حَسَنَ الوجهِ لِنَكْنَاكَ
جَمَعْتَ مع قُبْحِكَ لَوْ مَا فَلَا هـ قُبْحُج أو اللَّوْمُ تَرَكْنَاكَ !

(١) في بعض الاصول : ودنو حسبك .

كِتَابُ الْوَاسِطَةِ فِي الْخُطْبِ

فرش الكتاب

- قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الخطب التي يتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ، ونطقت بها الأئمة على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم ، وقامت بها على رؤوس خلفائهم ؛ وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم . ووصلتها بصلواتهم ، وخطوبها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتخيّرت لها المعاني .
- ١٠ اعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه ؛ فأول ما نبداً به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين والجلّة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلینا ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ؛ لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، كخطبة قطرى بن الفجاءة في ذم الدنيا ؛ فإنها معدومة النظر ، منقطعة القرين ؛ وخطبة أبي حمزة اتى سمعها مالك بن أنس فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ، وردد فيها المرتاب ، ثم نسمع بصدور من خطب البادية وقول الأعراب خاصة ؛ لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

- قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلة القرشي المخزومي : من أخطب الناس ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : شيخ جذام . يعنى روح بن زباع ، قال :
- ٢٠

عبد الملك
 وابن سلة

ثم من ؟ قال : أخيفش ثفيف . يعنى الحجاج ، قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين !
وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثروا : والله لأرْمينكم بالخطيب
المصنوع . قم يا زياد !

وقال محمد كاتب المهدي - وكان شاعراً راوية ، وطالبا للنحو علامة - قال :
سمعت أبا دؤاد يقول - وجرى شيء من ذكر الخطب وتحرير الكلام - فقال :
تلخيص المعاني رفي ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير أهل البادية
نقص ، والنظر في عيوب الناس عي ، ومسح اللحية هلك ، والخروج عما بُني
عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعت يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الذريعة ، وحليها
الإعراب . وبهاؤها تخيير اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه .
وأنشدني بيتاً له في خطباء إباد .

يرمون بالخطب الطوال وتارة . وحي الملاحظ خيفة الرُقاء
وأنشدني في عي الخطيب واستعانت به مسح العثون وقتل الأصابع :

مليء بيهر والنفات وسفلة . ومنحة عُثُونٍ وقتل الأصابع

مر بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب ، وهو يعلم
فتيانهم الخطابة : فوقف بشر يستمع ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد ،
أو يكون رجلاً من النظارة : فقال بشر : أضربوا عما قال صفحاً ، وأطووا عنه
كشعاً . ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقة وتجبيرة ، فيها :

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك
الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسابها ، وأحسن في الاستماع ، وأحلى
في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين من لفظ شريف ،
ومعنى بديع : واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكثرة
والمطاوله والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاناة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن
يكون مقبولا قصداً ، وخفيفا على اللسان سهلاً ، وكما خرج من ينبوعه ونجم

- من معدنه ؛ وإياك والتوَعُرُ ، فَإِنَّ التَوَعُرَ يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ ، والتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ ، وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ . وَمَنْ أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمَسْ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا ، فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ ، وَمَنْ حَقَّقَهُمَا أَنْ تَصُونَهُمَا عَمَّا يَفْسِدُهُمَا وَيُهْجِنُهُمَا ، وَعَمَّا تَعُودُ مِنْ أَجَلِهِ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ إِظْهَارَهُمَا ، وَتَرْهَنَ نَفْسَكَ بِمَلَابَسَتِهِمَا وَقَضَاءِ حَقَّهُمَا ؛ هـ
- فَكُنْ فِي ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ : فَأَقُولُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا ، أَوْ غَمًّا سَهْلًا ؛ وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا ، وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا ، إِقَامَعُنْدَ الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصَدْتَ ، وَإِقَامَعُنْدَ الْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ أَرَدْتَ ؛ وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَشْرُفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْخَاصَّةِ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ يَتَضَعُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ ؛ وَإِنَّمَا مَدَارُ الشَّرَفِ عَلَى الصَّوَابِ ، وَإِحْرَازُ الْمَنْفَعَةِ مَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْمَقَالِ ؛ وَكَذَلِكَ اللَّفْظُ الْعَامِيُّ وَالْخَاصُّ ؛ فَإِنْ أَمَكْنِكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ ، وَبَلَاغَةِ لَفْظِكَ ، وَلُطْفِ مَدَاخِلِكَ ، وَقُدْرَتِكَ فِي نَفْسِكَ - أَنْ تُفْهَمَ الْعَامَّةُ مَعَانِي الْخَاصَّةِ ، وَتَكْسُوَهَا الْأَلْفَاظُ الْاِتِّسَاطَةُ الَّتِي لَا تَلْطَفُ عَنِ الدِّهْمَاءِ ، وَلَا تَجْفُو عَنِ الْاِكْفَاءِ ، فَأَنْتَ الْبَلِغُ السَّامِ .

١٥

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَبَلَةَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَنَا أَحْوَجُ إِلَى تَعْلِيٍّ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَلَمَةِ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حجة الوداع

- إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ لَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَ [أَشْهَدُ] أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

٢٠

أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحشاكم على طاعة الله ، وأستفتح
بالتى هو خير .

أما بعد : أيها الناس ، اسمعوا منى أئبن لكم ، فإنى لا أدرى لعل لا ألقاكم
بعد عامى هذا فى موقفى هذا ! أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ،
إلى أن تلقوا ربكم ، كرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل
بلغت ، اللهم أشهد !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى أئتمنه عليها ؛ وإن ربا الجاهلية
موضوع ، وإن أول ربا أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ؛ وإن دماء
الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن
عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد
قَوْد ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو
من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى
أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يُحْثِلُونَهُ عَاماً
ويحترمونهُ عاماً لِيُؤْاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى
كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متواليات ،
وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى
وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم أشهد !

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حفا ، وإن لكم عليهن حفا : لكم عليهن
أن لا يُوطِنَ فرُسكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ،
ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أدن لكم أن تعضلوهن وتهجووهن
فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ؛ فإن اتتهن وأطعنكم فعليكم رزقهن

وكسوتهن بالمعروف ؛ وإنما النساء عنكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا ،
أخذتموهن بأمانته الله ، وأستحللنكم فروجهن بكلمة الله ؛ فاتقوا الله في النساء
واستوصوا بهن خيرا [ألا هل بلغت ، اللهم اشهد !] .

أيها الناس ؛ إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لأمرئٍ مال أخيه إلا عن طيب
نفسه . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ! فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم
أعناق بعض ؛ فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا [بعده] كتاب الله
وأهل بيتي ، ألا هل بلغت اللهم آشهد .

أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ؛ كلكم لآدم وآدم من تراب ،
أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألا هل
بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس ، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ؛ ولا يجوز لوارث
وصية في أكثر من الثلث ؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر ؛ من دُعِيَ إلى غير
أبيه ، أو تَوَلَّى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله
منه صرفاً ولا عدلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطب أبي بكر

١٥

وخطب أبو بكر يوم السقيفة : أراد عمرُ الكلام ، فقال له أبو بكر : على
رسلك . ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ،
وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم
رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أسلنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ،
فقال تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين
اتَّبَعُوهُمْ بإحسانٍ ﴾ ؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في النِّية ، وأنصارنا على العدو ؛ آوَيْتُمْ ووَاسَيْتُمْ ، فجَزَاكُمْ الله خيراً ،

٢٠

فمنع الأمراء، وأتم الوزراء، لاتدين العرب إلا لهذا الحى من قريش؛ فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا حمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

أينما الناس، إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُمونى على حقٍ فأعينونى .، وإرنى رأيتُمونى على باطل فسددونى ؛ أطيعونى ما أطيعُ الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم . ألا إنَّ أقوامكم عندى الضعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى أخذ الحق منه ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وخطب أخرى . فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه عليه الصلاة

والسلام ، قال :

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك !

فرفع الناس رُءوسهم ، فقال :

مالكُم أيها الناس ؟ إنكم لطمعون عجولون ، إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما يده ، ورغبه فيما يد غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويسخط على الكثير ، ويسأم الرخاء وتنقطع عنده لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى اثقة ، فهو كالدرهم القسبي

والسراب الخادع ، جليل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ، ونصب عمره ، وضحا ظله ، حاسبه الله ، فأشد حسابه ، وأقل عفوّه . ألا وإن الفقراء هم المحرومون ؛ ألا إن من آمن بالله حكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بعدى مُلكا عضوضا ،

وملكا عنودا ، وأمة شعاعا ، ودما مباحا ؛ فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة ، يعفو لها الأثر ، ويموت لها الخبر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلاد خرشنة إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أداها .

ونخطب أيضا فقال :

- الحمد لله ، أحده وأستعينه ، وأستغفره وأؤمن به ، وأتوكل عليه وأستهدى الله
بإلهدي ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ؛ من يهد الله فهو
المهتدى ، ومن يُضلل فلا تجد له وليا مرشداً ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، يعز من يشاء
ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
أرسله بإلهدي ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون - إلى الناس
كافة ، رحمة لهم وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية ،
دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألف
بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ؛ فأطيعوا الله ورسوله ،
فإنه قال عز وجل : ﴿ من بطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك
عليهم حفیظاً ﴾ .

- أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال
ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ،
من يكذب يفجر ، ومن يفجر يهلك ، وإياكم والله خيرا ؛ وما فخر من خلق من
تراب وإلى التراب يعود ، هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا وعدوا أنفسكم في
الموت ، وما أشكل عليكم فردوا عليه إلى الله ، واتقوا لأنفسكم خيرا تجدوه
مُحَضَّرًا ، فإنه قال عز وجل : ﴿ يومَ نَجِدُ كل نفسٍ ما عَمِلَتْ من خيرٍ مُحَضَّرًا وما عَمِلَتْ
من سوءٍ تَوَدُّ لو أن بيننا وبينه أمدًا بعيدا ، ويُحذِّرُكم الله نفسه ، والله رءوفٌ
بالعباد ﴾ فأتقوا الله عباد الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه
لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم ، صغيرها وكبيرها ، إلا ما غفر الله ، إنه
غفورٌ رحيم ، فأنفسم أنفسكم والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ إن
الله وملائكته يُصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، أفضل ما صليت على أحد من خلقك ؛ وزكنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشرنا في زمرة ، وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك ، وانصرنا على عدوك

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- ٥ أوصيكم بتقوى الله ، وأن تُنثروا عليه بما هو أهله ، وأن تُخلطُوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال : (لأنهم كانوا يُسارعُونَ في الخيراتِ ويدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا وكانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) ثم أعلوا عباد الله أن الله قد آرتهم بحقه أنفسهم ، وأخذ على ذلك موافقكم ، وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تنفي عجائبه ، ولا بُطْأ نورهُ ، فثَقُّوا بقوله ، وانتصِحُوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون . ثم اعلوا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِبَ عنكم علمهُ ، فإن استطعتم أن [لا] تنقضي الآجالُ [إلا] وأنتم في عمل الله [فافعلوا] ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله - فسابقوا في مهَلٍ بأعمالكم ، قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم [ونسوا أنفسهم] ، فأنهاكم أن تكونوا أهلاً لهم ؛ فالوحي الوحي والنجاه النجاه ؛ فإن وراءكم طالبا حثيثا مره ، سريعا سيره .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

وخطب عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

- ٢٠ أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذا بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ؛ فإن الله جعلني له خازنا وقاسما ؛ إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعتبين ، ثم المهاجرين

الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أَمَرَ عَ إِلَى الهجرة أسرع إِلَيْهِ العطاء ، ومن أَبْطَأَ عَنِ الهجرة أَبْطَأَ عَنْهُ العطاء ، فلا يُلَوِّنُ رَجُلٌ إِلَّا مُنَاحَ راحلته . إني قد بقيتُ فيكم بعد صاحبي ، فابْتُلَيْتُ بِكُمْ وَأَبْتُلِيْتُمْ بِي ، وَإِنِّي لَنْ يَحْضُرَنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكْله إِلَى غير أهل الجزاء والأمانة ، فَاتُّنَّحُوا لِأَحْسَنِّ إِلَيْهِمْ ، وَلِئِنْ أَسَاءُوا لَأُنْكَلَنَّ بِهِمْ .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ، وَرَحِمَنَا بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا بِهِ مِنَ الضلالة ، وَجَعَلَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى عَدُونَا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ ؛ فَاحْدُوا ٢٠
الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ الْوَعْدَ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي وَكَفَرَ النِّعْمَةَ ، فَقَلْبًا كَفَرَ قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ إِلَّا سُلِبُوا عِزُّهُمْ وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ .
أيها الناس : إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا وَأَظْهَرَ فَلَاحَهَا وَنَصَرَهَا وَشَرَقَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللهِ عَلَى نِعْمِهِ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى آلَائِهِ : جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ ١٥
مِنَ الشَّاكِرِينَ .

وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس : تَعْلَمُوا الْقُرْآنَ [تَعْرِفُوا بِهِ] ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ حَقِّ مَخْلُوقٍ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ [إِلَّا وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللهِ بِمَنْزِلَةٍ وَإِلَى الْيَقِينِ ، وَإِنْ اسْتَغْنَيْتُ عَقَفْتُ ، وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ ، تَقَرَّمُ الْبَهْمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ] ، الْقَضَمَ دُونَ الْخِضَمِ .
وخطبة له أيضا :

أيها الناس : إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَى زَمَانٍ وَأَنَا أَرَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ [إِنَّمَا] تَرِيدُونَ بِهِ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ وَمَا عِنْدَهُ : [إِلَّا وَإِنَّهُ قَدْ] نُحِيلُ إِلَى أَنْ قَوْمًا قَرَأُوهُ

إذ ينزل الوحي وإذ رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم ؛ فقد انقطع الوحي
 وذهب النبي . فإنما نعرفكم بما أقول لكم ؛ ألا من رأينا منه خيراً ظننا به خيراً
 وأحبناهُ عليه ، ومن رأينا منه شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه ؛ سراركم بينكم
 وبين ربكم ؛ ألا وإننا أبعث عمالاً لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَنُسَلِّتَكُمْ ، ولا أبعثهم
 لِيُضْرِبُوا ظُهُورَكُمْ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ ؛ ألا من رآه شيء من ذلك فليرفعه إلى ،
 فوالذي نفسي بيده لا قِصَصَكُمْ منه .

فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايت أن بعثتَ عاملاً من
 عمالك فآدب رجلاً من رعيتك فضربه ، أتقصه منه ؟

قال : نعم ، والذي نفس عمر بيده لا قصته منه ؛ فقد رأيت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقص من نفسه .

وخطب أيضاً فقال : أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم ، وأمروا
 بالمعروف وأنهوا عن المنكر ، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم
 على موضعه يخرقه ، فنظر إليه أصحابه فنعروه ، فقال : هو موضعي ولي أن أحكم
 فيه ، فإن أخذوا على يده سَلِمَ وسَلِمُوا ، وإن تركوه هَلَكَ وهَلَكُوا معه ؛ وهذا
 مثل ضربته لكم . رحمتنا الله وإياكم .

وخطب عام الرمادة بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

أيها الناس ، استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك
 اللهم إني أتقرب إليك بعم نبيك وببقية آباءه وكبار رجائه ، فإنك تقول وقولك
 الحق (وأما الجدار فكان لِفَلاَمِينَ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
 أَبُوهُمَا صَالِحًا) ؛ فحفظتهما لصَلاحِ أبيهما ؛ فاحفظ اللهم نبيك في عمه ؛ اللهم
 آغفر لنا إنك كنت غفاراً ، اللهم أنت الراعي لا تُهمل الضالَّة ، ولا تدع الكسيرة
 بمضيعة ، اللهم قد ضرع الصنير ورق الكبير وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم

السرّ وأخني : اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطروا فيهلكوا ، فإنه لا يئأس من رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرون .

فما برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون : هنيئاً لك ياساقى الحرمين .

• وخطب إذ ولي الخلافة :

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها الناس ، إني داعٍ فأمنوا : اللهم إني غليظُ فليّتي لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلمٍ مني لهم ، ولا اعتداءٍ عليهم : اللهم إني شحيح فسّخني في نوائب المعروف ، قصداً من غير مَرَف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سمعة ، واجعلني أمتني بذلك وجهك والدار الآخرة : اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للذّومنين ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين : اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالية الحسنة التي لا تكون إلا بعونك وتوفيقك : اللهم ثبّني باليقين والبرّ والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ؟ والمحاسبة لنفسي ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات : اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسان من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت : إنك على كل شيء قدير .

• وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته :

اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم أعاك .

• وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته :

اللهم لا تدعني في غمرة ، ولا تأخذني على غرّة ، ولا تجعلني من الغافلين .

خطبة عثمان بن عفان

رضي الله عنه

ولما ولي عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم أرتج عليه ؛ فقال :

أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ، وإن أعش فستأنبكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا .

خطب علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال :

أيها الناس : كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فلا يدعين مدع إلا على نفسه ، شغل من الجنة والنار أمامه . ساع نجما ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار : [ثلاثة : واثان] : ملك طار بجناحيه ، ونبي أخذ الله بيده ، لا سادس . هلك من ادعى ، وردى من اقنم . اليمين والشمال مضلة ، والوسطى والجادة : منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة ؛ إن الله داوى هذه الأمة بدوامين : السوط والسيف ، فلا هراة عند الإمام فيهما ، استتروا بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ؛ فاموت من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمودين . أما إني لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب ، همته بطله ، وبيله لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له ؛ انظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرقم فأزروا ، حق وباطل ، ولكل أهل ؛ ولئن أمر الباطل لقدمنا فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ؛ ولقلنا أدبر شئ . فأقبل ؛ ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإن لاخشي أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه :

- ألا إن الأبرار عترتي ، وأطياب أرومتي ، أحلم الناس صفارا ، وأعلم الناس كبارا ؛ ألا وإنا أهل البيت من علم الله علينا وبحكم الله حكمتنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تتهتدوا ييضاژنا ، [وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا] معناراية الحق ، من تبعها الحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا تدرك نرة كل مؤمن .
وبنا تخلع ربة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح وبنا يختم .
وخطبة له أيضا :

— حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل ، وترك الأمل ؛ فإنه من قرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله ، أين التعب بالليل والنهار ،
المقتحم للبحر الجار ومفاوز القفار ، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال ، يصل الغدق بالروح ، والمساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه .
مينته ، فعظمت بنفسه رزقته ؛ فصار ما جمع بُورا ؛ وما اكتسب غرورا ، ووافي القيامة محسورا :

- أيها اللاهي الغاز بنفسه ، كأي بك وقد أنك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ،
ولا يهاب لك حجابا ، ولا يقبل منك بدبلا ، ولا يأخذ منك كقبلا ، ولا يرجم لك صغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يؤديك إلى قعر مظلة ، أرجاؤها موحشة ،
كفعله بالأمم الحالية والقرون الماضية ؛ أين من سمى واجتهد ؛ وجمع وعدد ،
وبنى وشيّد ؛ وزخرف ونجّد ، وبالقليل لم ينع ، وبالكثير لم يمنع ؛ أين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؛ أضجرا رفاتا ؛ تحت الثرى أمواتا ، وأتم بكأسهم شاربون ،
ولسيادهم سالكون .

عباد الله ! فاتقوا الله وراقبوه ، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال ، وتشقق السماء بالانفهام ، وتطير الكتب عن الإيمان والشئانل ؛ فأى رجل يومئذ تراك ؛ أقامل هائم اقرءوا كتابه ؛ أم : باليقنى لم أوت كتابه ؛ أنسال من وعدنا بإقامة الشرائع جنته

أن يقينا سخطه ؛ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخطبة له أيضا :

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه ، واستوجه على جميع خلقه ، الذي
ناصية كل شيء يده ، ومصير كل شيء إليه ، القوي في سلطانه ، اللطيف في
جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، خالق الخلائق بقدرته ،
ومستخرم بمشيئته ، وفي العهد ، صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب ؛
أحمده وأستعينه على ما أنعم به مما لا يعرف كنهه غيره ؛ وأتوكل عليه توكل
المسلم لقدرته ، المتبرئ من الحول والقوة إليه ؛ وأشهد شهادة لا يشوبها شك
أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة
ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن وكبره
تكبراً ، وهو على كل شيء قدير ، قطع ادعاء المدعى بقوله عز وجل :
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ؛ وأشهد أن محمداً صلى الله عليه
وسلم صفوته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بالمعروف آمراً ،
وعن المنكر ناهياً ، وإلى الحق داعياً ؛ على حين قرة من الرسل ، وضلالة
من الناس ، واختلاف من الأمور ، وتنازع من الآلسن ، حتى تم به الوحي .
وأنذر به أهل الأرض .

أرصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيل إلى
كل نجاة ؛ فكأنكم بالجثث قد زایلتم أرواحها ، وتضمنتم أجدانها ، فلن
يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله ، وإنما دنياكم
كفى الظل أوزاد الراكب ؛ وأحذركم دعاء العزيز الجبار عبده ، يوم
تغني آثاره ، وتوحش منه دياره ، ويئتم صفاره ، ثم يصير إلى حفير من
الأرض ، متعفراً على خذه ، غير موسد ، لا نهدي ؛ أسأل الذي وعدنا
على طاعته جنته ، أن يقينا سخطه ، ويجنبنا نقمته ، ويهب لنا رحمة . إن أبلغ

الحديث كتاب الله .

وخطبة له رضى الله عنه :

أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت بإطلاع ، وإن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل : فمن أخلص في أيام أمه قبل حضور أجله ، نفعه عمله ، ولم يضره أمه : ومن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله وضره أمه : ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبا ، ولم أر كالتار نام هاربا : [ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجز به الضلال إلى الردى] : ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وخطبة له : قالوا ولما أغار سفيان بن عوف الأزدي على الأنبار في خلافة على رضى الله عنه ، وعليها [ابن] حسان البكرى ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج على رضى الله عنه حتى جلس على باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النصف : ألا وإنى دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتحاذلتم ، وثقل عليكم قولى فاتخذتموه ورامكم ظهريا : حتى شئت عليكم الغارات : وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل ابن حسان البكرى : وأزال خيلكم عن مسالحها : وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغت أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فيزعج حبلها وقلبها ورعاثها ، ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم : فلو أن

رجلا مسلحا مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندي ملوما ، بل كان به عندي
 جديرا : فواجباً من جند هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حقكم : قبيحاً لكم وترحاً
 حين صرتم غرضاً يُرمى : يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تُغزون ،
 ويُعصى الله وترضون : فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحر ، قلم : حمارة
 القبط : أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر ! وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء ،
 قلم : [صبارة القز] أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القز ! كل هذا فراراً من الحر
 والقز : فأتى الله من السيف أقر ! يا أشباه الرجال ولا رجال ! ويا أحلام
 أطفال وعقول ربات الحجال ! وددت أن الله أخرجني من بين أظهركم ، وقبضني
 إلى رحمته من بينكم ، وأنى لم أركم ولم أعرفكم ! معرفة والله جزت وهنا ! [لقد
 ملأتم قلبي قبحاً] وورثتم والله صدى غيظا . وجرعتموني الموت ألقاسا ،
 وأفسدتم على رأي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبي طالب
 شجاع ولكن لا علم له بالحرب ! لله أبوه ! وهل منهم أحد أشد لها مراسا وأطول
 تحربة مني ؟ لقد مارسها وأنا ابن عشرين ، فها أنا ذا الآن قد نيفت على الستين ،
 ولكن لا رأى لمن لا يطاع !

١٥ وخطبة له رضى الله عنه ، قام فيهم فقال :

أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ! كلامكم يوهى الصم
 الصلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم : تقولون في المجالس كبت وكيت : فإذا
 جاء القتال قلمت : [جبدى] حياد ما عرت دعوة من دعاكم : ولا استراح قلب
 من قاساكم : أعاليل بأباطيل : وسألتوني التأخير : دفاع ذى الدين المخطول :
 ألا [لا] يدفع الضيم الدليل ، ولا يُدرك الحق إلا بالجد . أى دار بعد داركم
 تمنعون ؟ أم مع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه : ومن
 فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ! أصبحت والله لا أصدق قولكم : ولا أطمع
 في نصرتكم : فزق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لى منكم !
 وددت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم ، صرف

الدينار بالدرهم ١

وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل ، فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن
رضي الله عنهم ، فقام فيهم خطيباً فقال :

- الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر
المرسلين ، أما بعد ؛ فإن الله بعث محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين كافة ،
والتناس في اختلاف ، والعرب بشر المازل ، مستنضيتون للثناءات بعضهم على
بعض ، فرأب الله به الثأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به
السبل ، وحقق به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة
للصدور ؛ ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه ، مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ،
كريمياً عند ربه نُزله ؛ فيألهام صيبة عمت المسلمين ، وخصت الأقرين ؛ وولى
أبو بكر ، فسار بسيرة رضاها المسلمون ؛ ثم ولى عمر ، فسار بسيرة أبي بكر
رضي الله عنهما ؛ ثم ولى عثمان ، فقال منكم ونلتهم منه ، حتى إذا كان من
أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقتلتني ؛ بايعنا ؛ فقلت لكم :
لا أقبل ؛ وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتم كفي فجذبتموها ، وقلت :
لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ؛ وتذاكتم على تذاكك الإبل الهيم
على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ؛
فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم مالينا أن استأذنانا للعمرة فسارا
إلى البصرة فقتلنا بها المسلمين وفلأ الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست
بدون واحد من مضي ، ولو أشاء أن أقول لقلت ؛ اللهم إنهما قطعاً قرابتي ،
ونكثا يعتي ، وألبا على عدوي ؛ اللهم فلا تُحكّم لهما ما أبرما ، وأرهما المساة
فيما عملا وأملا ؛

وبما حفظ عنه بالكوفة على المنبر : قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة
للتسليم على أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، فإني لجالس تحت منبره ، وعليه
عمامة سوداء ، وهو يقول : انظروا هذه الحكومة ، فن دعا إليها فآفلوه وإن كان

تحت عماق هذه ! فقال له عدى بن حاتم : قلت لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه .
وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقتلوه ! والله ما ندرى ما نضنع بك ؟ وقام إليه
رجل أحذب من أهل العراق فقال : أمرت بها أمس وتبى عنها اليوم ، فأنت
كما قال الأول : آكلك وأنا أعلم ما أنت . فقال على : إلى يقال هذا .

٥ أَصْبَحْتُ أَذْكَرُ أَرْحَامًا وَأَصِيرَةً ۝ بُدِلْتُ مِنْهَا هَوَى الرِّيحِ بِالْقَصَبِ

أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ،
حملتكم على المكروه الذى جعل الله عاقبته خيرا إذا كان فيه ، لكانت الوثقى
التي لا تقلع ، ولكن بمن ؟ وإلى من ؟ [أريد أن] أداوى بكم [وأتم دأى] :
إنى والله بكم كفاش الشوك بالشوك ، ياليت لى بعض قومي وليت لى من بعد
خير قومي ، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أحمان أبكان ، اللهم سلط
عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرك ؛ ويل للذئعة بأشطان الركي ! [أين الذين]
دعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرءوا القرآن فأحسروه ، ونطقوا بالشمر فأحكموه
وهبجوا إلى الجهاد فولهوا [ولَهَ] اللماح [إلى] أولادها ، وسلبوا السيوف
أغمارها ضرباً ضرباً ، [وأخذوا بأطراف الأرض] زحفا زحفا ، لا يتباشرون
بالأحياء ، ولا يُعزّون على القتلى ولا يغيرون على العلى .

أُولَئِكَ إِخْوَانِي آلِذَاهِبُونَ ۝ لَحِقُ الْبُكَاءُ لَهُمْ أَنْ يَطْبِئَا

رُزِقْتُ حَبِيْبًا عَلَى فَاقَةٍ ۝ وَفَارَقْتُ بَعْدَ حَبِيْبٍ حَبِيْبًا ۝

ثم نزل تدمع عيناه : فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرت إليه ! فقال :
نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقومهم والله غدوة ويرجعون إلى عشية مثل ظهر
الحية ، حتى متى ؟ وإلى متى ؟ حسبي الله ونعم الوكيل !

وهذه خطبته الغراء ، رضى الله عنه :

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا من شيء كان ولا من
شيء خلق إلا وهو خاضع له ؛ قدرة بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه ،

- فليست له صفة تنال ، ولا حد يضرب له فيه الأمثال ، كل دون صفته تحبير اللغات ، وضلت هناك تصاريف الصفات وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير ، وانقطعت دون علمه جوامع التفسير ، وحالت دون غيبه حجب تاهت في أدنى دنوها طامحات العقول ؛ فتبارك الله الذي لا يلانه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ؛ وتعالى الذي ليس له نعت موجود ، ولا وقت محدود ، وسبحان الذي ليس له أول مُبتدأ ، ولا غاية منتهى ، ولا آخر يفنى ؛ وهو سبحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعته ؛ أحاط بالاشياء كلها علمه وأتقنها صنعه ، وذلها أمره ، وأحصاها حفظه ؛ فلا يعزب عنه غيوب الهوى ، ولا مكنون ظلم الدجى ، ولا مافي السموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى ؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها الأحاد الصمد الذي ١٠ لم تغيّره صروف الأزمان ، ولا يتكاده صنع شيء منها كان ؛ قال لما شاء أن يكون : كن ! فكان ؛ آتدع ما خلق بلا مثال سبق ، ولا تعب ولا نصب ؛ وكل عالم من بعد جهل يعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالاشياء كلها علماً ، ولم يزد بتجربتها تجرباً ؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينها ؛ لم يكن لها لتسديد سلطان ، ولا خرف زوال ولا نقصان ، ولا استماعة على ضد مناوئ ، ولا ند ١٥ مكائر ، ولكن خلائق مرهوبون ، وعباد آخرون ، فسبحان الذي لا يشوده خلق ما ابتداء ، ولا تدبير ما برأ ، خلق ما علم ، وعلم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث أصاب ، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد ، لكن قضاء مُتَقَن ، وعلم محكم ، وأمر مُبرَم ، توحد بالربوبية ، وخص نفسه بالوحدانية ، فلبس العز والكبرياء ، واستخلص المجد والثناء ، واستكمل الحمد والثناء ؛ فأنفرد بالتوحيد ، وتوحد ٢٠ بالتمجيد ؛ فجل سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدس عن ملاسة النساء ؛ فليس له فيما خلق يد ، ولا فيما ملك ضد ، هو الله الواحد الصمد ، الوارث للأبد الذي لا يبيد ولا ينفد ، ملك السموات العلى ، والأرضين السفلى ، ثم دنا

- فعلا ، وعلا فدنا ، له المثل الأعلى ، والأسماء الحسنى ، والحمد لله رب العالمين ؛
ثم إن الله تبارك وتعالى - سبحانه وبحمده - خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم
صفوته ، واختار من كل خيار صفوته أمناء على وجهه ، وخزنة له على أمره ،
إليهم ينتهى رسله ، وعليهم ينزل وحيه ، جعلهم أصفياء ، مصطفين أنبياء ، مهديين
نجباء ؛ آستودعهم وأقرهم في خير مستقر ، تناسختهم أكارم الاصلاح ، إلى
مطهرات الامهات ، كلما مضى منهم سلف انبعث لامره منهم خلف ، حتى انتهت
نبوة الله وأفضت كرامته إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرجه من أفضل المعادن
مختاراً ، وأكرم المغارس منتبهاً ، وأمنعها ذروة ، وأعزها أرومة ، وأوصلها مكرمة
من الشجرة التي صاغ منها أمناء ، وانتخب منها أنبياء ، شجرة طيبة العود ، معتدلة
العمود ، باسقة الفروع ، مخضرة الأصول والغصون ، يانعة الثمار ، كريمة
المجتنى ، في كرم نبتت ، وفيه بسقت وأثمرت ، وعزت فامتعت ، حتى أكرمه
الله بالروح الأمين ، والنور المبين ، نغم به النبيين ، وأتم به عدة المرسلين ،
[وجعله] خليفته على عبادته ، وأمينه في بلاده ؛ زينته بالتقوى وآثار الذكرى ؛
وهو إمام من اتقى ، ونصر من آهتدى ، سراج لمع ضوؤه ، وزند برق لمعه ،
وشهاب سطع نوره ؛ فاستضاءت به العباد ، واستنارت به البلاد ؛ وطوى به
الاحساب فأزجى به السحاب ، وسخر له البراق حتى صالحته الملائكة ، وأذعنت له
الالسة ، وهدم به أصنام الآلهة ، سيرته القصد ، وسنته الرشد ؛ وكلامه فصل ،
وحكمه عدل ؛ فصعد صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد
دعوته ؛ وأظهر في خلقه لا إله إلا الله ، حتى أذعن له [الخلق] بالربوبية ،
وأقر له بالعبودية والوحدانية ؛ اللهم فخصّ محمداً بالذكر الحمود . والمحوض
المورود . اللهم آت محمداً الوسيلة والرفعة والفضيلة ، واجعل في المصطفين محلته ،
وفي الاعلين درجته ، وشرف بنيانه وعظم برهانه ، واسقنا بكأسه ، وأوردنا
حوضه ، واحشرنا في زمرة ، غير خزايا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين -

- ولا ضالين ولا مفتونين ولا مُبدلين ولا حائدين ولا مضلين ؛ اللهم أعط محمداً من كل كرامة أفضّلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل قسم أتمه ؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منك مكاناً ، ولا أحظى عندك منزلة ولا أقرب إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقاً - ولا شفاعة ، من محمد ؛ واجمع بيننا وبينه في ظل العيش ، وبرد الرّوح ، وقرّة الأعين ، ونضرة السرور ، وبهجة النعيم ؛ فإننا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة . وجاهد في سبيلك . وأودى في جنبك ولم يخف لومة لائم في دينك . وعبدك حتى أتاه اليقين ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وتمام النبيين ، وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين ؛ اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام ؛ بلغ محمداً منا السلام ؛ اللهم صل على ملائكتك ١٠ المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الحفظة الكرام الكائنين ، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين من المؤمنين .

وخطبته الزهراء :

- الحمد لله الذي هو أول كل شيء . ووليّه ، وكل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارعٌ إليه ، وكل شيء مستكين له ؛ خشعت له الأصوات ، وكُلت دونه الصفات ، وضلت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام ، وانحسرت دونه الأبصار لا يقضى في الأمور غيره ، ولا يتم شيء منها دونه ، سبحانه ما أجل شأنه ، وأعظم سلطانه ١ تسبح له السموات العلى ، ومن في الأرض السفلى ، له التسبيح والعظمة ، والملك والقدرة ، والحوّل والقوة ، يقضى بعلمه ويعفو بحلمه ؛ قوة كل ضعيف ، ومفرع كل ملهوف وعز كل ذليل ، وولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، وكاشف كل كرب ٢٠ المَطْلَع على كل خفيّة ، المحصى كل سريرة ، يعلم ما تُكنّ الصدور ، وما تُرّخى عليه الستور ؛ الرحيم بخلقهِ ، الرّؤف بعباده ؛ من تكلم منهم سميع كلامه ، ومن سكت منهم علم ما في نفسه ، ومن عاش منهم فعليه رزقه ، ومن مات منهم فإليه مصيره ؛ أحاط بكل شيء علمه وأحصى كل شيء حفظه ، اللهم لك الحمد عدد ما تحي

وَنُمِيتَ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِ خَلْقِكَ وَلَفْظِهِمْ وَلِحَظِ أَبْصَارِهِمْ ، وَعَدَدَ مَا تَجَرَّى بِهِ الرِّيحُ
 وَتَحْمَلُهُ السَّحَابُ ، وَيَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَيَسِيرُ بِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ -
 حَمْدًا لَا يَنْقُضِي عَدْدَهُ ، وَلَا يَفْنَى أَمَدُهُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ مُصِيرُ
 كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَكُونُ بَعْدَ هَلَاكِ كُلِّ شَيْءٍ وَتَبْقَى وَبِفَنَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنْتَ وَارِثُ كُلِّ
 شَيْءٍ ، أَحَاطَ عِلْمُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ يُعْجِزُكَ شَيْءٌ ، وَلَا يَتَوَارَى عَنْكَ شَيْءٌ ،
 وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتَكَ ، وَلَا يَشْكُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ شُكْرِكَ ، وَلَا تَهْتَدِي الْعُقُولُ
 لَصِفَتِكَ ، وَلَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ حَدَّكَ : حَارَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ ، فَلَمْ تَرَكَ
 عَيْنٌ فَتَجِبَرَ عَنْكَ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ . لَا نَعْلَمُ اللَّهُمَّ كَيْفَ عَظَمَتُكَ ، غَيْرَ أَنَا
 نَعْلَمُ أَمَّا حَتَّى قِيَوْمٍ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ
 بَصَرٌ ، وَلَا يَقْدِرُ قُدْرَتَكَ مَلَكٌ وَلَا بَشَرٌ ؛ أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارُ ، وَكُنِمَتِ الْآجَالُ ،
 وَأُحْصِيَتِ الْأَعْمَالُ ، وَأُخِذَتِ الْبُيُوتُ وَالْأَقْدَامُ ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِحَاجَةٍ وَلَا لَوْحِشَةٍ
 مَلَأْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَةً ، فَلَا يُرَدُّ مَا أَرَدْتَ ، وَلَا يُعْطَى مَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْقُصُ
 سُلْطَانُكَ مِنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مَمْلَكَتِكَ مِنْ أَطَاعِكَ ؛ كُلُّ مَبَرٍّ عِنْدَكَ عَلَيْهِ ،
 وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَاهِدٌ ؛ فَلَمْ يَسْتَرْ عَنْكَ شَيْءٌ ، وَلَمْ يَشْغَلْكَ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، وَقُدْرَتُكَ
 عَلَى مَا تَقْضِي . كَقُدْرَتِكَ عَلَى مَا قَضَيْتَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْقَوَى كَقُدْرَتِكَ عَلَى الضَّعِيفِ
 وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْأَحْيَاءِ كَقُدْرَتِكَ عَلَى الْأَمْوَاتِ ؛ فإِلَيْكَ الْمُنْتَهَى وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ ،
 لَا مَنَاجِي إِلَّا إِلَيْكَ ؛ يَدُكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَيَاذُنُكَ تَسْقُطُ كُلُّ وَرَقَةٍ ؛ لَا يَعْزُبُ
 عَنْكَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ؛ أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ؛ سُبْحَانَكَ ! مَا أَعْظَمَ مَا يُرَى مِنْ خَلْقِكَ !
 وَمَا أَعْظَمَ مَا يُرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ! وَمَا أَقْلَهُمَا فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْهُ ! وَمَا أَسْبَغَ نِعْمَتَكَ
 فِي الدُّنْيَا وَأَحْقَرَهَا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ ! وَمَا أَشَدَّ عِقَابَكَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَيْسَرَهَا فِي
 عِقَابِ الْآخِرَةِ ! وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَنَعْتَبِرُ مِنْ قُدْرَتِكَ . وَنُصَفُ مِنْ
 سُلْطَانِكَ فِيمَا يَغِيبُ عَمَّا مِنْهُ ، مَا قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ وَكَانَتْ عَقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَاتِ
 الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَتَنُ قَرَعَ سِنَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ
 ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ أَرْضَكَ - يَرْجِعُ

- طَرَفُهُ حَاسِرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ وَالْهَاءُ ، وَفِكْرُهُ مُتَحِيرًا ؛ فَكَيْفَ يُطَلِّبُ عِلْمَ مَا قِيلَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِكَ إِذْ أَنْتَ وَحْدَكَ فِي الْغُيُوبِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا غَيْرُكَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا سِوَاكَ ؟ لَا أَحَدٌ شَهِدَكَ حِينَ فَطَرْتَ الْخَلْقَ ، وَلَا أَحَدٌ حَضَرَكَ حِينَ ذَرَأْتَ النُّفُوسَ ، فَكَيْفَ لَا يَعْظُمُ شَأْنُكَ عِنْدَ مَنْ عَرَفَكَ ، وَهُوَ يَرَى مِنْ خَلْقِكَ مَا تَرْتَاعُ بِهِ عَقُولُهُمْ ، وَيَمْلَأُ قُلُوبُهُمْ ، مِنْ رَعْدٍ تَفْزَعُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَبَرْقٍ يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ ، وَمَلَائِكَةٍ خَلَقْتَهُمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ ، وَلَيْسَتْ فِيهِمْ قَرَّةٌ ، وَلَا عَدَمٌ غَفْلَةٍ ، وَلَا بِهِمْ مَعْصِيَةٌ ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْوَمُهُمْ بِطَاعَتِكَ ، لَيْسَ يَنْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيُونِ ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ تَضُمَّهُمْ الْأَرْحَامُ ؛ أَنْشَأْنَاهُمْ إِنْشَاءً ، وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ ، وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجِوَارِكَ ، وَاتَّمَنَّتْهُمْ عَلَى وَحْيِكَ ، وَجَنَّبَتْهُمْ الْآفَاتَ ، وَوَقَيْتَهُمُ السَّيِّئَاتِ ، وَطَهَرْتَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ؛ فَلَوْلَا تَقْوِيَتُكَ لَمْ يَقُومُوا ، وَلَوْلَا تَنْبِيْهُتُكَ لَمْ يَتَّقُوا ، وَلَوْلَا رَهْبَتُكَ لَمْ يَطِيعُوا ، وَلَوْلَا كَ لَمْ يَكُونُوا ؛ أَمَّا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَطَوَّلِ طَاعَتِهِمْ إِيَّاكَ - لَوْ يَعْانونَ مَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ لَاحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَعَلُّوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ؛ فَسَبِّحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا وَمَحْمُودًا ، بِحَسَنِ بِلَانِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ؛ أَنْتَ خَلَقْتَ مَا دَبَّرْتَهُ مَطْعَمًا وَمَشْرَبًا ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا إِلَيْنَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَعْجَبُنَا ، وَلَا فِيمَا رَغَبْنَا فِيهِ رَغِبْنَا ، وَلَا إِلَى مَا شَوْقْنَا إِلَيْهِ اشْتَقْنَا ؛ أَقْبَلْنَا كَانَا عَلَى جِيْفَةٍ نَأْكُلُ مِنْهَا وَلَا نَشْبَعُ وَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حَرَصًا لَمَّا يَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ ، فَافْتَضَحْنَا بِأَكْلِهَا وَاصْطَلَحْنَا عَلَى حَبِّهَا ، فَأَعْمَتْ أَبْصَارَ صَالِحِينَا وَقَفَّاهُنَا ، فَهُمْ يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُونَ بِآذَانٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، فَخِيْمَا زَالَتْ زَالُوا مَعَهَا ، وَحَيْنَمَا مَالَتْ أَقْبَلُوا إِلَيْهَا ، وَقَدْ عَايَنُوا الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغِزَةِ كَيْفَ فَجَأَتْهُمْ الْأُمُورُ ، وَنَزَلَ بِهِمُ الْمَحْذُورُ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ مَا كَانُوا يُوْعَدُونَ ؛ فَارْقُوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ ، وَعَرَفُوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْغُرُورِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَتَانِ : حَسْرَةُ الْقُوْتِ وَحَسْرَةُ الْمَوْتِ ؛ فَاغْبَرَتْ لَهَا وَجُوهُهُمْ وَتَغَيَّرَتْ بِهَا أَلْوَانُهُمْ ، وَعَرَقَتْ بِهَا جِبَاهُهُمْ ، وَتَحَصَّتْ أَبْصَارُهُمْ ، وَبَرَدَتْ أَطْرَافُهُمْ ،

وحيل بينهم وبين المنطق ، وإن أحدم لبين أهله ، ينظر بصره ، ويسمع بأذنه ؛
ثم زاد الموت في جده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلك
عند ذلك حجته ، وعان هول أمر كان منطى عليه فأخذ لذلك بصره ؛ ثم زاد
الموت في جده حتى بلغت نفسه الحلقوم ، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقى
لا يجيب داعياً ، ولا يسمع باكياً ؛ فزعوا ثيابه وخاتمه ، ثم وضوه وضوء
الصلاة ، ثم غسلوه وكفنوه إدراجاً في أكفانه وحنطوه ، ثم حملوه إلى قبره ،
فدلوه في حفرة ، وتركوه مخلى بمقطعات من الأمور ، وتحت مسألة منكر ونكير ،
مع ظلمة وضيق ووحشة قبر ، فذاك مثواه حتى يبلى جسده ويصير تراباً ؛ حتى إذا
بلغ الأمر إلى مقداره ، وألحق آخر الخلق بأوله ، وجاء أمر من خالقه ، أراد به
تجديد خلقه - أمر بصوت من سمواته فسارت السموات مورا ، وفزع من فيها ،
وبقي ملائكتها على أرجائها ، ثم وصل الأمر إلى الأرض ، والخلق رفات لا يشعرون
فأرج أرضهم وأرجفها وزلزلها ، وقلع جبالها ونسفها وسيرها ، ودك بعضها بعضاً
من هيئته وجلاله ، وأخرج من فيها فجدد ثم بعد بلائهم ، وجمعهم بعد تفرقهم ، يريد أن
يخصمهم ويميزهم ، فريقة في ثوابه ، وفريقة في عقابه ، تغلد الأمر لأبده ، دائماً خيره
وشره ، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن
يجازي هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء ، فأثاب أهل الطاعة بجوارده ، وحلول داره ،
وعيش رغد ، وخلود أبد ، وبجاورة للرب ، وموافقة محمد صلى الله عليه وسلم ،
حيث لا ظعن ولا تغير ؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطار ؛
ولا تشخصهم الأسفار ؛ وأما أهل المعصية فغلدهم في النار ، وأوثق منهم الأقدام
وغل منهم الأيدي إلى الأعناق ؛ في لهب قد اشتد حره ، ونار مطيقة على أهلها
لا يدخل عليهم بها روح ، همهم شديد ، وعذابهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضي ،
ولا أجل للقوم ينتهى .

اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك ، فأنت وليهما لا يليهما أحد
غيرك ، وأسألك باسمك المخزون المكنون ، الذي قام به عرشك وكرسيك وسمواتك

وأرضك ، وبه ابتدعتَ خلقك — الصلاة على محمد ، والنجاة من النار برحمتك ، آمين ؛ إنك وليُّ كريم .

- وخطب أيضا فقال : أيها الناس احفظوا عني خمساً فلو شددتُم إليها المطايا حتى تُنصوها لم تُظفروا بمثلها : ألا لا يرجون أحدكم إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ٥
ألا وإن الخامسة الصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ؛ من لا صبر له لا إيمان له ، ومن لا رأس له لا جسد له ؛ ولا خير في قراءة إلا بتدبر ولا في عبادة إلا بتفكير ، ولا في حلم إلا بعلم ؛ ألا أنبشكم بالعالم كلِّ العالم ؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله ، ولم يؤمنهم مكره ، ولم يؤمنهم من روجه . لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين النار حتى يقضى الله فيهم بأمره ؛ ولا تأمنوا ١٠
على خير هذه الأمة عذاب الله ؛ فإنه يقول : ﴿ فلا يأمنُ مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون ﴾ ؛ ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله ، فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

- ومن كلامه رضوان الله عليه : قال ابن عباس : لما فرغ علي بن أبي طالب رضى الله عنه من وقعة الجمل ، دعا بأجرتين فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ١٥
ثم قال :

- يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة ! رغا فأجبتُم وعقرَ فهربتُم ؛ دخلت شر بلاد [أقربها من الماء ، و] أبعدا من السماء . بها يفيض كل ماء ، ولها شرُّ أسماء : ٢٠
هي البصرة ، والبصرة ، والمؤتفة ، وتُدسر . أين ابن عباس ؟ فدُعيت . فقال لي :
مرُّ هذه المرأة فلتَرُجع إلى بيتها الذي أمرت أن تَقَرَّ فيه .

وتمثل علي بن أبي طالب رضى الله عنه بعد الحكيم :

زَلَلْتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَأَعْتَذِرُ ۝ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأَشْتَمُرُ

وَأَجْعُ الْأَمْرَ الشَّيْبَتِ الْمُنْقَشِرِ

خطب معاوية

قال القحذى : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرنا ، وأعلى كعبك . قال : فوالله ماردة عليهم شيئاً حتى صعد المنبر : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أما بعد فإنى والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ، ولكنى جالدتكم بسببى هذا مجالدة ، ولقد رخصت لكم نفسى على عمل ابن أبى قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ؛ وأردتها مثل قليات (١) عثمان ، فأبت على ؛ فسلكت بها طريقاً إلى ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ، ومُشاربة جميلة : فإن لم تجدوني خيركم فإنى خير لكم ولاية ؛ والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القاتل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبراً أذن وتحت قدمي ؛ وإن لم تجدوني أقوم بحكمكم كله فاقبلوا منى بعضه ، فإن أتاكم منى خير فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد غنى ، وإذا قل أغنى ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة . ثم نزل .

خطبة أيضاً لمعاوية

١٥ حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدمنا عليكم ، وإنا قدما على صديق مستبشر ، أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون (٢) فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون (٣) . ولست واسعاً كل الناس : فإن كانت محبة فلا بد من مدمة ، فلوناً هوناً إذا ذكر غير ؛ وإياكم والى إن أخفيت أوبقت ، وإن ذكرت أوثقت . ثم نزل .

(١) فى بعض الأصول : « على مسنيات » .

خطبة أيضا لمعاوية

صعد منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى ، عليه ثم قال :

- يا أهل المدينة ، إني لست أحب أن تكونوا خلقا خلق العراق : يعيون الشيء. وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعته نفسه ، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شر لكم ، وإن معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالرتق خير من الفتق ، وفي كل بلاغ ، ولا مقام على الرزية .

خطبة معاوية أيضا

قال العتيبي : خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى

- عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 ١٠ إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ . قوموا إلى صلاتكم .

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

- ١٥ قال ابن دأب : لما قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لا هياً عنه أنكره ، فجعل يتصدى له بخلوة ليسبر من رأيه ما كره أن يشرك به عمله ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطلاب وإشغال الخاصة واقتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه ، ففطن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فسلم ووقف واجماً يتصفح
 ٢٠ وجوه القوم ، ثم قال :

صريح العقوق مكاتمة الأذنين ، لا خير في اختصاص وإن وفر ، أحمد الله

إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللأواء ، وأستهديه من عمنى مجهد ، وأستعينه على
عدو مرصد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شقاء هاوٍ ،
ومن غواية غاوٍ ، وصلوات الله على الزكي ، نبي الرحمة ، ونذير الآفة ، وقائد
الهدى ؛ أقابعد يا أمير المؤمنين ، فقد عسف بنا ظنُّ قرع ، وفرع صدع ،
حتى طمع السحيق ، ويئس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلهم متحفز
للمداوة ، وقد قلص الإزرة ، وشمر عن عطافه ، ليقول : مضى زياد بما
استلحق به ، وولّى على الدنية من مُستلحقه . فليت أمير المؤمنين صلِّ في دَعته ،
وأسلم زياداً في صَته ، فكان تَرب عاقته ، وواحد رعيته ، فلا تشخص إليه
عين ناظر ولا أصبع مشير ، ولا تذلق عليه السنُّ كلمته حيا ونبشته ميتا ؛ فإن
تكن يا أمير المؤمنين حايت زياداً بولاء رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك
زياد بجذِّ هصور وعزم جسور ، حتى لانت شكائمُ الشَّرس ، وذلت صعبة
الاشوس ، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المنع ، وتقهر
بهما البزيع ، حتى مضى والله يَغفر له ؛ فإن يكن زياد أخذ بحقِّ فآزلنا منازل
الاقربين ، فإن لنا بعده ما كان له ، بدالة الرحم ، وقرابة الحميم ؛ فمالنا يا أمير المؤمنين
نمشي الضَّراء ونذب الحفاء ، ولنا من خيرك أكله ، وعليك من حوبنا أثقله ،
وقد شهد القوم ، وما ساءنى قريبهم ليُقزوا حقاً ، ويردوا باطلا ؛ فإن للحق مناراً
واضحاً ، وسبيلاً قصداً ؛ فقل يا أمير المؤمنين بأى أمرئك شئت ، فما نأرز إلى غير
جُهرنا ، ولا نستكثر بغير حقنا ، وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفَّحهم بلحظه رجلا
رجلا وهو متبسّم ، ثم اتجه تلقاه وعقد جبوته وحسر عن يده وجعل يومئُ بها
نحوه ، ثم قال معاوية :

الحمد لله على ما نحن فيه ؛ فكل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ فكل
شيء خاضع له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، دلٌّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق
أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيين ، ومصدق المرسلين ، وحجة رب العالمين ،

صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ، أما بعد ، قرب خير مستور ، وشر
مذكور ، وما هو إلا السهم الأخبى لمن طار به ، والحظ المرغب لمن فاز به ،
ففيهما التفاضل ، وفيهما الثغابن ، وقد صفقت يداي في أهلك صفقة ذى الحلة
من ضوارع الفضلان ، عامل اصطناعى له بالكفر لما أوليته ، فما رميت به
إلا انتصل ، ولا انتصيته إلا غلق جفنه ، وزلت شفرته ، ولا قلت إلا عائد ،
ولا قلت إلا قعد ، حتى اخترمه الموت ، وقد أوقع بختره ، ودل على حقه ،
وقد كنت رأيت في أهلك رأيا حضره الخطل ، والتبس به الزلل ، فأخذ عني
بحظ الغفلة ، وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ؛ فما برحت هناة
أهلك تحطب في جبل القطيعة حتى انتكث المبرم . وانحل عقد الوداد . فيا لها
توبة تؤتف من حوبة أورثت ندما أسمع بها الهاتف وشاعت للشامت ؛ فليها
الواصم ما به احتقر ؛ وأراك تحمد من أهلك جدا وجسورا ؛ هما أوفيا به على
شرف التقم . وغمط النعمة ؛ فدعهما فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده ،
وبهما مشيت الضراء وديت الخفاء ؛ فاذهب إليك ، فأت تجل الدغل ، وعثرة
التغل ؛ والآخر شر .

١٥ فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إن للشاهد غير حكم الغائب ، وقد حضرك
زياد ، وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التظنى ، ولا تغيرها التهم ، وأهلوه
أهلوك التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فهافرت به الركب ، وسمعت به
أهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا يتحجر يا أمير المؤمنين
ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

٢٠ فأنحرف معاوية إلى من معه فقال : هذا ، وقد نفس عليه بيعته ، وطعن
في إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ؛ يا للرجال من آل أبي سفيان ! لقد حكموا وبذم
يزيد وحده .

ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا ابن أخى ، إني لأعرف بك من أهلك ،
وكأنى بك في غرة لا يخطوها السامح ؛ فالزم ابن عمك ، فإن لما قال حقا .

غفرجوا ، ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ويطأ عقبه أيا ما ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة واليا عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال الهيثم بن عدي : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عقبة المرمي ، والضحاك بن قيس الفهري ، وقال لهما : أبلغا عني يزيد وقولا له : انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أذاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعاهدّه ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم ، وإن عزل عامل واحد أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت عليه منهم ؛ ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم بالشعار دون الدثار ، فإن رابك من عدوّ ربّ فارميه بهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم ؛ ولست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير . والحسين بن علي ؛ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع ، وأما الحسين فأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وحذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه حبّ صَبّ ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا .

ومات معاوية : فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال :
 ١٥ إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها ومخلّون بينه وبين ربه : فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر .

وصلّى عليه الضحاك . ثم قدم يزيد ؛ فلم يقدم أحد على تعزيتة حتى دخل عليه عبد الله بن ممام فأنشأ يقول :

٢٠ أصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا وقته . وأشكرُ حَبَاءَ الذي بالملكِ حاباكَا
 لا رزءَ أعظمُ في الأفوامِ قد علّوا . يما رُزئتَ ولا عُنّي كعُقباكَا
 أصبَحْتَ راعيَ أهلِ الدينِ كُلِّهمْ . فأنت ترعاهمُ واللهُ يرعاكَا

وفي معاوية الباقي لنا خلف ه أما نعت فلا يُسمع بمنعاً

قال فانفتح الخطاب بالكلام .

وخطبة أيضا لمعاوية

- ولما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك ! قال : ويحك ! لم ؟ فوالله ما لهم بعدى إلا الذي يسوءهم وأذن للناس فدخلوا ، حمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال :
- أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعدُّ فيه الحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما علينا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا ، فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه ، وكلال حده ، ونضيض وفره : ومنهم المصلت لسيفه ، المحلب برجله ، المعلن بشره : قد أشرط نفسه ، وأوبق دينه : لحطام ينهزه ، أو مقنبر يقوده ، أو منبر يفرعه ؛ ولبنس المتجر أن تراهما لنفسك ثمنا ، ومما لك عند الله عوضاً - ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا : قد طامن من شغفه ، وقارب من خطوه ، وشمر عن ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم من أقعده عن طالب الملك ضئولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أمله : فتحلى باسم الفناعة ، وتزيا بلباس الزهادة ؛ وليس من ذلك في مراح ولا مغدى ؛ وبقى رجال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المضجع ؛ فهم بين شريد باد ، وبين خائف منقمع وساكت مكعوم ، وداع مخاص ، وموجع ثكلان ؛ قد أخلتهم النقيّة ، وشلتهم الذلة ؛ فهم في بحر أجاج ؛ أفواهم ضامرة ، وقلوبهم قريحة ؛ قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ؛ وقُتلوا حتى قَلُّوا ؛ فليكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القرظ ، وقُرَاضة الجلودين ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، وأرفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان أشقَّ بها منكم .

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذى ما شاء صنع ، من شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء خفض
ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان جبلاً من جبال الله ، مده ما شاء أن يمهده ،
ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ؛ وكان دون من قبله ، وخيراً مما يأتى بعده ،
ولا أزكىه عند ربه وقد صار إليه ؛ فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه ؛
وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أنى على طلب علم ؛ وعلى
رسلكم إذا كره الله شيئاً غيره ؛ وإذا أحب شيئاً يكرهه .

وخطبة ليزيد أيضاً

الحمد لله أحده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي
له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
اصطفاه لوجه ، واختاره لرسالة ، بكتاب فضله وفضله ، وأعزه وأكرمه ،
ونصره وحفظه ؛ ضرب فيه الأمثال ، وحلل فيه الحلال وحرّم فيه الحرام وشرع
فيه الدين إعداراً وإنذاراً ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويكون
بلاغاً لقوم عابدين . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذى ابتداء الأمور بعلمه
وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرم دارها . ثم إنى أحذركم الدنيا .
فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفانى ، وتحببت
بالعاجل . لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن بجمعها ، أكالة عوالة غرارة . لا تبقى
على حال . ولا يبقى لها حال . لن تعدو الدنيا — إذا تناهت إلى أمية أهل
الرغبة فيها . والرضا بها — أن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم
مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ . نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا
ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزاع يومئذ آمنين .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنيتُمْ حريصٌ عليكم بالْمُؤْمِنِينَ رءوفٌ رحيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

خطب بنى مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول فى آخر خطبته : اللهم إن ذنوبى قد عظمت وجلت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني .

وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال فى خطبته :

إني والله ما أأما بالخليفة المستضعف — يعنى عثمان — ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية — ولا بالخليفة المأفون — يعنى يزيد .

قال أبو إسحاق النظام : أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسبيك من هذا المداهن ؛ لكنت منها أبعد من العيوق . والله ما أخذتها بوراثه ، ولا سابقة ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان ، رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونادى فى الناس : الصلاة جامعة ! فصعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، لا مؤخر إياكم قدم الله ، ولا مقدم إياكم أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق عليه وما كتب على أنبيائه وحمله عرشه من الموت ، دوت ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يهvir إلى منازل الأبرار ، الذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام

من منار الإسلام وأعلامه ، وحجّ هذا البيت ، وغزو هذه النخور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ؛ فلم يكن فيها عاجزا ، ولا وائيا ، ولا مفرطا ؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإن الشيطان مع الغد ، وهو من الجماعة أبعد واعلموا أنه من أبديّ لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال : الحمد لله ، ألا إنّ الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحك باكيا ، وتُبكي ضاحكا ، وتُخيف آمنا ، وتُؤمّن خائفا ، وتُفقر مثرى ، وتُثري مقبرا مبالّة ، غرارة ، لغابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماما ، وارتمسوا به حكما . واجعلوه لكم قائدا . فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يحلّو كيد الشيطان كما يحلّو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عسعس .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علائقكم ، وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أبّ حتى كُفِرَ في الموت .

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زادا لا محالة . فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرهبوا ورغبوا . ولا يطولن عليكم الأمد ، فتفسد قلوبكم وتنقادوا لعدوكم . فإنه ما بُسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسانه أو يمسي بعد إصباحه . وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا ، وإنما يطمئن إلى الدنيا من آمن عواقبها . فإن من

يُداوى من الدنيا كُلَّمَا أَصَابَتْهُ جَرَاخَةٌ مِنْ نَاجِيَةٍ أُخْرَى ، فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ؟
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمْرَكُمْ بِمَا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي ؛ فَتُخَسِرَ صَفِيقِي ، وَتُظْهَرَ عَيْلَتِي ، وَتَبْدُو
مُسْكِنَتِي ، فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ .
ثم بكى وبكى الناس معه .

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا

شبيب بن شيبه عن أبي عبد الملك قال كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ،
فكنا نقوم لهم ونبدوهم بالسلام ؛ فخرج علينا عمر رضى الله عنه في يوم عيد
وعليه قبض كان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فثلنا بين يديه وسلمنا عليه ، فقال :
مَهْ ! أَنْتُمْ جَمَاعَةٌ وَأَنَا وَاحِدٌ ؛ السَّلَامُ عَلَيَّ وَالرُّدُّ عَلَيْكُمْ ، وَسَلَّمٌ ، فَرَدَدْنَا ، وَقَزَبَتْ
لَهُ دَابَّتُهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَمَشَى وَمَشِينَا حَتَّى صَعَدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَتْنِي عَلَيْهِ ،
وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ أَغْنِيَاءَ النَّاسِ اجْتَمَعُوا
فَرَدُّوا عَلَى فَقَرَائِهِمْ ، حَتَّى نَسْتَوِيَ نَحْنُ بِهِمْ ، وَأَكُونَ أَنَا أَوْلَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : مَالِي
وَلِلدُّنْيَا ؟ أَمْ مَالِي وَلَهَا وَتَكَلَّمُ فَأَرْقُ حَتَّى يَبْكِيَ النَّاسُ جَمِيعًا يَمِينًا وَشِمَالًا ، ثُمَّ قَطَعَ
كَلَامَهُ وَنَزَلَ ؛ فَدَنَا مِنْهُ رَجَاءُ بْنُ حَبِوَةَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَتُ النَّاسِ بِمَا
أَرْقُ قُلُوبَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : يَا رَجَاءُ ، إِنْ
أَكْرَهَ الْمِبَاهَاةُ .

خطبة عبد الله بن الأَهم بن يدى عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأَهم على عمر بن عبد العزيز مع العامة ، فلم يفجأ إلا وهو
قائم بين يديه يتكلم : فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَتْنِي عَلَيْهِ وَقَالَ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ؛ وَالنَّاسُ
يَوْمُئِذٍ فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيَ مُخْتَلِفُونَ ، وَالْعَرَبُ بَشَرٌ تِلْكَ الْمَنَازِلُ ؛ أَهْلُ الْوَبَرِ وَأَهْلُ
الْمَدَرِ ، تُحْتَازُ دُونَهُمْ طَبِيبَاتُ الدُّنْيَا وَرِفَاهَةُ عَيْشِهَا ؛ مَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ وَحَيُّهُمْ أَعْمَى ،
مَعَ مَا لَا يَحْصِي مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ وَالْمَرْهُودِ فِيهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْشُرَ فِيهِمْ

رحمته ، بعث إليهم رسولا منهم عزيزاً عليه ما عَنَتُوا حَرِيصاً عليهم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ؛ فلم يمنعه ذلك أن جرحوه في جسمه ، وأقبوه في اسمه ، ومعه كتاب من الله ناطق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غار ؛ فلما أمر بالعزيمة أسفر لأمر الله لوته ، فأطبع الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته . وفارق الدنيا تقياً صلى الله عليه وسلم . ٥

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنَّتَه وأخذ سبيله ؛ وارتدت العرب فلم يقبل منهم إلا الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛ فانتضى السيف من أغمادها ، وأوقد النيران في شُعْلِها ، ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يرحل بفصل أوصالهم ويسقى الأرض دماهم ، حتى أدخلهم في الباب الذى خرجوا منه ، وقزّهم بالأمر الذى نفروا منه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه . وحشية ترضع ولدا له ؛ فرأى ذلك غُصَّة في حلقه عند موته ، وثقلا على كاهله ، فأذاه إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه ، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه . ١٠

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ففصر الأمصار ، وخلط الشدة باللين ، وحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأموار أقرانها وللحرب آلتها ، فلما أصابه قِنُ المغيرة بن شعبة ، أمر ابن العباس أن يسأل الناس هل يُثبتون قاتله ؟ فلما قيل له قِنُ المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق في النية ، فيستحل دمه بما استحل من حقه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفاً فكسر بها رباعه ، وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقياً على منهاج صاحبه . ١٥ ٢٠

ثم إننا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها ، وألصقتك ثديها . فلما وليتها ألقيتها وأحييت لقاء الله وما عنده ؛ فالحمد لله الذى جلا بك حوبتنا ، وكشف بك كُرْبتنا . امض ولا تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شيء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات .

ولما قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج . سكبت الناس
كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت !

وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخصاصة خطبة لم يخطب بعدها
حتى مات ، رحمه الله : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عبثا ، ولم تُنتركوا سدى ؛ وإن لكم معادا
يحكم الله بينكم فيه ، تخاب وخير من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ،
وحريم الجنة عرضها السموات والأرض ؛ واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم
وباع قليلا بكثير ، وفانيا بياق ؛ ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين ، وسيخلفها
من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين ؛ ثم إنكم في كل يوم
تُشيّعون غاديا ورائحا إلى الله ، قد قضى نحبَه ، وبلغ أجله ، ثم تغيبونه في صدع
من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسّدين ولا مُهمّدين ، قد خلعت الأسباب ، وفارق الأحياء
وواجه الحساب ، [مرتبها بعمله] ، غنيا عما ترك ، فقيرا إلى ما قدم ؛ وأيم الله
إنى لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر بما
عندي ، فأستغفر الله لى ولكم ، وما تبلغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها
ما عندنا إلا سدّدناها ، ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي ولحمي
الذين يلوتنى ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ؛ وأيم الله إنى لو أردت غير هذا
من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا ، عالما بأسبابه ؛ ولكنه
مضى من الله كتاب ناطق وشنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى
عن معصيته .

٢٠

ثم بكى ، فتلقى دموع عينية بردائه ، ونزل ؛ فلم يُر بعدها على تلك الأعواد
حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قتل الوليد بن يزيد

بقي بن مخلد قال : حدثني خليفة بن خياط ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم
قال : حدثني إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قتل الوليد بن يزيد قام
خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إني ما خرجت
أشراً ولا بطراً . ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ؛ وما بي إطرأ نفسي
ولا تزكية عملي ، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ، ولكني خرجت غضباً لله
ودينيه ، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه ، حين درست معالم الهدى ، وطفئ نور أهل
التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل الحرمه ، والراكب البدعة والمغير السنة ؛
فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقتلع ، على كثير من ذنوبكم وقسوة
من قلوبكم . وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيجيئه من
أجابه منكم ؛ فاستخرت الله في أمري ، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ؛ وهو ابن
عمي في نسي ، وكفى في حسي ؛ فأراح الله منه العباد ، وظهر منه البلاد ،
ولايته من الله وعوناً بلا حول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته
وولايته وعونه .

أيها الناس ، إن لكم على إن وليت أموركم أن لا أضع لينة على لينة ولا حجراً
على حجر ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخصاصة أهله] ، وأقيم
مصلحه ، بما يحتاجون إليه ويقوون به ؛ فإن فضل شيء ردّدته إلى البلد الذي
يليه وهو من أحوج البلدان إليه ، حتى تسقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا
فيه سواء ، ولا أبحركم في بعوثكم ففتنتموها وتفتن أهاليكم ؛ فإن أردتم بيعتي على
الذي بذلت لكم فأننا لكم به ، وإن ملئت فلا بيعه لي عليكم ؛ وإن رأيتم أحداً
أقوى عليها مني فأردتم بيعته ، فأننا أول من يبايعه ويدخل في طاعته ؛ أقول قولي
هذا وأستغفر الله لي ولكم .

خطب بنى العباس

العتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال العبدى : خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يُسمع أحسن منها ، وما دَرَيْنَا أَوْجُهَهُ كَانَ أَحْسَنُ أَمْ كَلَامُهُ ؟ قال : أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النبوة ينطقون .

خطبة أبى العباس السفاح بالشام

- خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ، لما قُتل مروان بن محمد قال :
- ﴿ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ تَكْصِبُكُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ آلُ حَرْبٍ وَآلُ مَرْوَانَ ، يَتَسَكَّمُونَ بِكُمْ الظُّلْمَ ، وَيَتَهَوَّرُونَ بِكُمْ مَدَاحِضَ الزُّلْمِ ، يَطْنُونَ بِكُمْ حَرَمَ اللَّهِ وَحَرَمَ رَسُولِهِ . ماذا يقول زعمائكم غدا ؟ يقولون رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَنَّهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ۚ
- إِذَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أما أمير المؤمنين فقد انتنف بكم التوبة ، واغتفر لكم الزَّلة ، وبسط لكم الإقامة ، وعاد بفضلَه على نقصكم وبجله على جهلكم ، فلنفرخ روعكم ولنطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أوائلكم فذلك ييوتهم خاوية بما ظلموا .

خطب المنصور

- خطب أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي . لما قتل الأمويين ، فقال :
- أحرز لسان رأسه . انتبه امرؤ لحظه . نظر امرؤ في يومه لغده ؛ فشئ القصد وقال الفصل ، وجانب الهجر .
- ثم أخذ بقاء سيفه ، فقال : أيها الناس ، إن بكم داء هذا دواؤه ، وأما زعيم لكم بشفائه : فليعتبر عبدٌ قبل أن يُعتبر به ؛ فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شَيْئَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ ۝ مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
مهلاً مهلاً زوايا الإرجاف وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفِّتُمْ ، والنخلى
إلى ما حُذِّرْتُمْ ، قبل أن تتلف نفوس ، ويقلَّ عدد ، ويدول عز ؛ وما أتم
وذاك ؟ ألم تجدوا ما وعد ربكم من إراث المستضعفين من مشارق الأرض
ومغاربها حقاً ؟ والجهد الجهد ، ولكن خب كامن ، وحسد مُكْمَد ، فبعداً
للقوم الظالمين .

وخطب أيضاً

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم الجمعة ، حمد الله
وأثنى عليه وقال : أيها الناس اتقوا الله ...
فقام إليه رجل فقال : أَذْكَرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قال أبو جعفر : سَمِعاً سَمِعاً لِمَنْ فَهَمَ عَنْ اللَّهِ وَذَكَرَ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَذْكَرَ بِهِ
وَأَنْسَاهُ فَتَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ؛ لَقَدْ ضَلَّكَ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . وَأَمَّا أَنْتَ
- وَالتفت إلى الرجل فقال - وَاللَّهِ مَا اللَّهُ أَرَدْتَ بِهَا ، وَلَكِنْ لِيَقَالَ : قَامَ فَقَالَ
فَعُوقِبَ فَصَبَرَ ! وَأَهْوَنُ بِهَا ! [وَإِلَّا] لَوْ كَانَتِ الْعُقُوبَةُ [فَاهْتَبَلَهَا إِذْ عَفَرْتُ] ؛
وَأَنَا أَنْذَرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَخْتَهَا ؛ فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا نَزَلَتْ ، وَفِينَا أَنْبَتْ .
ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

وخطبة أيضاً للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه
وتسديده وتأيدته ؛ وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيته بإذنه ؛
فقد جعلني الله عليه قفلاً ، إن شاء أن يفتحني فتحتي لإعطائكم وقسم أرزاقكم ؛
فإن شاء أن يُقفلني - ليها أقفاني ؛ فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف
[٢١ - ٤]

الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ أن يوفقني للرشاد وللصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

• وخطبة لسليمان بن علي

﴿ ولقد كُتِبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ .
إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ قضاء مبرم ، وقول فصل ، ما هو بالهزل ؛
الحمد لله الذي صدق عبده ، وأنجز وعده ، وبعداً للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا
الكعبة غرضاً ، والقيء إرثاً ، والدين هزوا ، وجعلوا القرآن عِصِينَ ، لقد حاق بهم
ما كانوا به يستهزئون ، فكانت ترى من برئ مُعْطَلَةٌ وتُحَرِّرُ مَشِيدٌ ؛ ذلك بما قدمت
أيديهم وأن الله ليس بظالم للعبيد ؛ أمهلوا والله حتى تبنوا الكتاب ، واضطهدوا
العترة ، وبنوا السنة ، [وعندوا] واعتدوا ، واستكبروا ، وغاب كل جبار عنيد
ثم أخذهم ، فهل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً ؟

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
قُلُوبٍ أَقْفَالًا ﴾ يا أهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهكم في
الأجسام ، فذرهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَهِجَكَ
أَجْسَادُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ ، فَاتْلُوهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْنَ ﴾ . فقاتلكم الله أني تصرفون !
جثث مائلة ، وقلوب طائرة ، تشبون الفتن وتولون الدبر إلا عن حرم الله فإنه
درينكم ، وحريم رسوله فإنه مغزاكم ؛ أما وحرمة النبوة والخلافة ، لتتفرن خفافاً
وثقالاً ، أو لأوسعنكم إرغاما ونكالا .

وخطب صالح بن علي

يا أعضاء النفاق وعبد الضلالة ، أغركم لين إيساسي وطول إيناسي ؛ حتى ظن
جاهلكم أن ذلك لقلول حد ، وفور جد ، وخور قناة ؛ كذبت الظنون ؛ إنها
العرة بعضها من بعض ، فإذا قد استوليت العافية فمندی فصال و فطام وسيف
يقد الهام ، وإني أقول :

أغركم أني بأكرم شيعه • رفيق وأنى بالفواحش أخرج
ومثلي إذا لم يُجَزَّ أحسن سعيه • تكلم نِعَمَاهُ بِفِيهَا فَتَنطَلِق
لعمرى ! لقد فاحشتني فقلبتني • هنيئاً مربباً أنت بالفحش أرفق

// وخطب داود بن علي بالمدينة

١٠ فقال : أيها الناس . حثام يهتف بكم صريحكم ؛ أما أن لرافدكم أن يهب من
نومه ؟ (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ؛ أغركم الإهمال
حتى حسبتموه الإهمال ؟ هيات منكم وكيف بكم والسوط في كني
والسيف مُشهر :

حتى يُبيد قبيله فقيلة • ويعض كل مُثَقِفٍ بالهام
ويُقَمِّن ربات الخدور حواشراً • يمسحن عرض ذوائب الأيتام ١٥

خطبة داود بن علي بمكة

وخطب داود بن علي بمكة : شكراً شكراً ! والله ما خرجنا لنحضر فيكم نهراً
ولا لبنتي فيكم قصرأ ، أظن عدو الله أن لن يُظفر به ، إذ مُدَّ له في عنانه ، حتى
عثر في فضل زمامه ! فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مشرقها ،
والآن تولى القوس باربها ، وعادت النبل إلى النزعة ، ورجع الأمر إلى مُستقره ،
٢٠ في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة ، فاقفوا الله وأسمعوا وأطيعوا ، ولا تجعلوا
النعم التي أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُنتج هلكتكم ، وتزيل النعم عنكم .

خطبة المهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحده على آلائه ،
وأجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه توكل راض بقضائه ، وصابر
لبلائه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ،
ونبيه المجتبي ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ،
وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أمة ، أهل عداوة
وتضامن ، وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرناؤهم ،
فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشرون أطاعه بالجنة وكرهم ثوابها ،
ويُنذرون عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ
عَنْ بَيِّنَةٍ وَأَنَّا اللَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

١٠

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها فساد ؛
وأحسكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والالتناء إلى ما يقرب من
رحمته ويُنجي من سخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ؛ وجزيل المآب ؛
فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ؛ يوم
توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار ﴿ يَوْمَ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ . فَنهَمٌ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ يُفْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ،
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ
لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ؛ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَلَا تُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنِيْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ؛ فإن الدنيا دار غرور ، وبلاء
وشُرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ؛ قد أفنت من كان قبلكم ، وهي
عائدة عليكم وعلى من بعدكم ؛ من ركن إليها صرعته ، ومن وثق بها خاتته ؛ ومن أمأها
كذبتها ، ومن رجاها خذلته ؛ عزها ذل ، وغناها فقر ؛ والسعيد من تركها ، والشقي

٢٠

- فيها من آثرها ، والمغبون فيها من باع حظَّهُ من دارِ آخرته بها ؛ فآلله عباد الله
والتوبة مقبولة ، والرحمة مبسوطة ؛ وبأدبروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية
قبل أن يؤخذ بالكظم ، وتندموا فلا تُقالون بالندم ، في يوم حسرة وتأسف
وكآبة وتلهف ؛ يوم ليس كالأيام ، وموقف ضنك المقام ، إن أحسن الحديث
وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم !
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألهاكم التكاثر حتى ذرتم المقابر . كلاً سوف تعلمون .
ثم كلاً سوف تعلمون . كلاً لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم . ثم لترونها عين
اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ .
- ١٠ أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى
لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة هارون الرشيد

- الحمد لله ؛ نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على
أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، ون توكل عليه مفضين إليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعثه الله على فترة من
الرسول ، ودروس من العلم ، وإدبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ بشيراً
بالنعيم المقيم ؛ ونذيراً بين يدي عذاب اليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد
في الله ، فأدى عن الله وعده ووعدته حتى أتاه اليقين ؛ فعلى النبي من الله
صلاة ورحمة وسلام .

- ٢٠ أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف
الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاة من النار ؛ وأحذركم يوماً تشخص فيه الأبصار ،
وتبلى فيه الأسرار ، يوم البعث ويوم التغابن ، ويوم التلاقي ويوم التنادي ،
يوم لا يُستعْتَب من سيئة ولا يُزداد من حسنة ؛ ﴿ يوم الآزفة ، إذ القلوبُ

لنسى الخناجر كاطمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع بطاع ، يعلمُ غائنة الأعين وما تخفي الصدور ؛ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) .

- عباد الله ؛ إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سُدى ؛ حصنوا إيمانكم بالآمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ؛ فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له . إنكم سَفَرٌ مجتازون وأنتم عن قريبٍ تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء ؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالآمانة ؛ فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهُداة للنبيين ؛ قال الله عز وجل وقوله الحق (ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) . وقال (وإني لنفَارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) . وإياكم والآماني ، فقد غزت وأوردت وأوبقت كثيراً حتى أكذبتهُم منايام ، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحبلَ بينهم وبين ما يشتهون ؛ فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصَرَفَ الآيات ، وضرب الأمثال ، فرغب بالوعد وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائمه بالقرون الخوالي جِيلاً فجيلاً ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحُولون دونهم ، فزال عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلتْهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب (ليعجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) .
- ١٥
- ٢٠ إنَّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله عز وجل (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه مو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحدٌ ، الله الصمدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كفواً أحدٌ) . آمركم بما أمركم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة المأمون في يوم الجمعة

- الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجب على خلقه : أحمدُه وأستعينه ؛
وأؤمن به وأتوكل عليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون . أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ،
والتجوز لوعده ، والخوف لوعيده ؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له
وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ؛ وابتاعوا ما يبقی
بما يزول عنكم ويفنى ، ورحلوا عن الدنيا ، فقد جُذِبَ بكم ، واستعدوا للوت
فقد أظلمكم ، وكونوا كقوم صبح بهم فاتت بهم ، وعلوا أن الدنيا ليست لهم
بدارٍ فاستبدلوا ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ،
وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها
اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجذيرة بقصر المدة . وإن غائباً يحذوه الجديدان
الليل والنهار لجدير بسرعة الآوبة ، وإن قادماً يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق
لا فضل العدة ، فاتق عبدٌ ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته ، فإن أجله
مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يزئ له المعصية ليركبا ،
ويؤمنيه التوبة ليسوا بها ، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها ، فيألفا حسرة
على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤذيه أيامه إلى شقوة ؛
نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا يُبْطِرُه نعمة ، ولا تُقْصِرُ به عن طاعة ربه
غفلة ، ولا يُحِلُّ به بعد الموت قَرْعة ، إنه سميع الدعاء ، يده الخير وهو على كل
شيء قدير ، فقال لما يريد .

خطبة المأمون يوم الأضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب
تشریفه ، وعظم حُرْمته ، ووثق له من خلقه صفوته ، وأبلى فيه خَليله ، وفنى

فيه من الذبح العظيم نبيّه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومُقدّم الأيام المعدودات من النفر ، يومٌ حرامٌ من أيام عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يومٌ دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ الْخُلُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

ثم التكبير والتحميد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والوصية بالتقوى ثم ذكر الموت ، ثم قال :

وما من بعده إلا الجنة أو النار ، عظم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العاملين . وطالت مدة الفريقين ؛ الله الله ، فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، والحق لا الكذب . وما هو إلا الموتُ والبعثُ والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب . فننجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

١٥ وخطبة المأمون في الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : ألا وإن يومكم هذا يومٌ عيدٌ وسنة ، وابتهاال وרגبة ، يومٌ ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيته الحرام ، فجعله [خاتمة الشهر ، و] أول أيام شهور الحج ، وجعله مُعَقِّباً لمفروض صيامكم ، ومُنتَقِلً قِيَامَكُمْ ، أحلّ الله لكم فيه الطعام ، وحزم عليكم فيه الصيام ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه بتفريطكم . فإنه يقال : لا كبير مع ندم واستغفار ، ولا صغير مع تمادٍ وإصرار .

ثم كبر وحمد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوصى بالبر والتقوى ، ثم قال :

اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم ولم يحضر الشك فيه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تُستقال بعده عثرة ، ولا تُحْطَر قبله توبة ؛ واعلموا أنه لا شيء [قبله إلا دونه ، ولا شيء] بعده إلا فوقه ؛ ولا يعين على جزعه وعَلَّزِه وكَرْبِه ، وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقه وهول مطلعه ومسألة ملكيه ... إلا العمل الصالح الذي أمر الله به ، فمن زالت عند الموت قدمه ، فقد ظهرت ندامته ، وفاته استقالته ، ودعا من الرجعة إلى ما لا يحجب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه ؛ فالتة الله عباد الله ، كونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ مُنِعَها الذين طلبوها ، فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم ، إلا هذا الأجل المبسوط لكم : فاحذروا ما حذركم الله فيه ، واتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل به وما يميل في صحيفته الحافظة لما عليه وله ؛ فقد حكى الله لكم ما قال المفرطون عند ما طال إعراضهم عنها ؛ قال جل ذكره :

(وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا) . وقال : وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ؛ ولست أنهاركم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا عن نفسها . فإن كل ما بها يحذر منها وينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم مما رآته أعينكم من فجائتها وزوالها ، ذم كتاب الله لها والنهى عنها ؛ فإنه يقول تبارك وتعالى : (فَلَا يَغُرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) . وقال :

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها وأدركوا الجنة بما يتركون منها

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة
وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بني ،
أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيبُ لك مني
لهم ! فقام عثمان في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ،
إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ،
وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيبا ، وكان أول من خطب إلى
جانب المنبر ، فقال :

الحمد لله الذي ألَّف بين قلوبنا وجعلنا متعاضدين بعد البغضة ، الذي لا يُتَّحد
نعماءه ، ولا يزول ملكه ؛ له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمدا صلى
الله عليه وسلم فاختره بعلمه ، واثمنه على وحيه ، واختار له من الناس أعوانا
قدَّف في قلوبهم تصديقه ومحبة ، فأمنوا به وعزروه ووقروه وجاهدوا في الله
حق جهاده ، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابح ،
وبقي منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

أيها الناس ، رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكما مع والي
حافظ ، حفِظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ، ويخفص بنا في
الظهار ، ويتخذ الليل جلا ، يجعل الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيّل اللبث في
المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى انتهبنا إلى
إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقعقة السلاح
فأقنا أياما نجيم كراعنا ، ونصلح سلاحنا ؛ ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول
فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ؛
فأقنا عليهم ثلاث عشرة ليلة ، تنأناهم وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم ، قام
خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ،
ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشد القتال يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت

بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجلاً من المسلمين ، فبيننا وبناتوا
 وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل ، وبنات المشركون في خورهم وملاعيمهم ؛
 فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كما عليها بالأمن ، فزحف بعضنا على بعض ،
 فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا
 غنائم كثيرة ، وقيناً واسعاً ، بلغ فيه الخس ثمانمائة ألف : فصفق عليها مروان
 ابن الحكم ، فتركت المسلمين قد قرت أعينهم وأغناهم النفل ، وأنا رسولهم إلى
 أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذل من الشرك : فاحدوا
 الله عباد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذي يرد عن القوم المجرمين .
 ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير فقبل بين عيذه وقال : ذرية بعضها من بعض
 والله سميعٌ عليمٌ . يا بُنَيَّ : ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل المصعب

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ؛ فجعل لونه يحمر مرة ويصفر
 مرة ؛ فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ فوالله إنه لليب
 الخطباء ! قال : لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير
 ملوم ! ثم تكلم فقال :

الحمد لله ، له الخلق والأمر والدينا والآخرة ؛ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ،
 وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ . أما بعد :
 فإنه لم يُعِزَّ الله من كان الباطل معه ، وإن كان معه الانام طرّاً ؛ ولم يُذِلَّ
 من كان الحق معه ، وإن كان فرداً . ألا وإن خبراً من العراق أتانا فأحزننا
 وأفربنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يرعوى
 ذوو الالباب إلى الصبر وكريم العزاء ؛ وأما الذي أفرحنا فإن قتل المصعب له
 شهادة ولنا ذخيرة ، أهله النعام المصلّم الآذان ؛ ألا وإن أهل العراق باعوه
 بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ؛ فإن يُقتل فقد قُتِلَ أخوه وأبوه وابن
 عمه ، وكانوا الخيار الصالحين . وإنا والله لأنموت حنفاً ، ولكن قعصاً بالرماح ،

وموتاً تحت ظلال السيوف ؛ ليس كما يموت بنو مروان ! ألا إنما الدنيا عارية
من الملك الأعلى الذي لا يبدد ذكره . ولا يزول سلطانه ؛ فإن تُقبل الدنيا على
لم آخذها أخذَ الأشر البطر ؛ وإن تُدبر عني لم أبك عليها بكاء الخرق المهين
ثم نزل .

خطبة زياد البتراء

٥

قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن أبي بكر الهذلي قال : قدم
زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان ؛ والفسق
بالبصرة ظاهر فاش . فخطب خطبة بتراء ، لم يحمد الله فيها ؛ وقال غيره بل
قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه .
اللهم كما زدتنا نعماً فألهنا شكراً .

١٠

أما بعد ، فإن الجهالة الجاهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى الموفى بأهله على
النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير
ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا بما أعد الله
من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، في الزمن
السرمدى الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه
الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام
الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم . هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة
المسلوبة في الهار المبصر ، والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن
دلج الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ؛ تعتذرون بغير العذر ؛
وتنفضون على المختلس ؛ كلُّ امرئٍ منكم يذبُّ عن سفيهه ، صنيعٌ من لا يخاف
عاقبة ولا يرجو معادا ؛ ما أنتم بالحلما ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ماترون
من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم ،

٢٠

كنوساً في مكانس الرّيب ؛ حرامٌ على الطّعام والشراب حتى أسويها بالأرض
هَدمًا وإحراقًا .

إني رأيت آخرَ هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، : لين في غير
ضعف ، وشدة في غير عُنف ، وإني أقسمُ بالله لا أخذن الوليّ بالمولى ، والمقيم
بالباطن ، والمقبل بالمدير ، والصحيح بالسقيم ؛ حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول
انجُ سعد فقد هلك سعيد ! أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة الأمير ببقاء مشهورة
فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . من نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامن
لما ذهب له ؛ فإياي ودلج الليل ، فإني لا أوتي بمذبح إلا سفكتُ دمه ، وقد
أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم ؛ وإياي ودعوى
الجاهلية ، فإني لا أجد أحداً دعاها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن
وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً
أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً ؛ فكفوا
عني ألسنتكم وأيديكم ، أكف عنكم يدي ولساني ؛ ولا يظهرن من أحدٍ منكم ريةً
بخلاف ما عليه عاقبتكم إلا ضربت عُذقه . وقد كانت بيني وبين قوم إحنٌ فجعلت
ذلك دبراً أذني وتحت قدمي ؛ فمن كان محسناً فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً
فليزغ عن إسمائه ؛ إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السِّل من بُخْصِي لم أكشف له
قناعاً ولم أهيك له سِتراً حتى يُبدي لي صفحته . فإن فعل ذلك لم أنظره ؛ فاستأنفوا
أموركم ، واستمعينوا على أنفسكم ؛ فرب مبتلى بقدمونا سيئراً ؛ ومسرورٍ
بقدمونا سييئس .

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعسكم ذادة ؛ نسوسكم بسلطان الله
الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي نحولنا ؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما
أحبنا ؛ ولكم علينا العدل فيما ولينا ؛ فاستوجبوا عدلنا وفيتنا بمنّا حتى نكم لما ؛
وآعلوا أني مهما أقصّر عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة
ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاءً ولا رزقا عن إبنائه ، ولا مجمراً لكم بعثاً ؛

فادعوا الله بالصالح لا تمتكم : فإنهم ساستكم المؤذون لكم ، وكهنكم الذى إليه
تأوون ؛ ومتى يصلحوا تصلحوا ؛ ولا تشربوا قلوبكم بغصهم ؛ فيشتد لذلك
أسفكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ؛ مع أنه لو استجيب لكم
فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يُعين كلا على كل . وإذا رأيتموني أنفذ فيكم
أمراً فأنفذوه على أذلاله ، وآيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ
منكم أن يكون من صرعاي ، ثم نزل .

فقام إليه عبد الله بن الأهتم ، فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب ! قال له : كذبت ! ذاك دارد صلى الله عليه وسلم .

فقام الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ،

وإننا لن ثنى حتى نبلى . قال له زياد : صدقت !

فقام أبو بلال [مرداس بن أدية] وهو يهيم ويقول : أنبأنا الله تعالى
بخلاف ما قلت ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذى وفى ، أن لا تزر وازرة وزر
أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ . فسمعها زياد ، فقال : إنا لا نبليخ من
أصحابك ما تريد حتى نخوض إليهم الباطل خوفاً .

١٥  وخطبة لزياد

استوصوا بثلاثٍ منكم خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ ، فوالله لا يأتينى
شيخٌ بحديثٍ استخفَّ به إلا أوجعته ، ولا يأتينى عالمٌ بجاهلٍ استخفَّ به إلا أثكلتُ به
ولا يأتينى شريفٌ بوضعٍ استخفَّ به إلا ضربته .

وخطبة لزياد

٢٠ خطب زياد على المنبر فقال :

أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تتنعموا بأحسن ما تستمعون منا ،
فإن الشاعر يقول :

أَعْمَلْ يَقُولُ وَإِنْ قَصُرَتْ فِي عَمَلِي • يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وخطبة لزياد

العتى قال : لما شهدت الشهود لزياد قام في أعقابهم حمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

هذا أمر لم أشهد أوله ، ولا علم لي بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ،
وشهدت الشهود بما سمعتم ، فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ منا
ما ضيعوا ، فأما عبيد فأنما هو والد مبرور ، أو كافل مشكور .

خطبة لجامع المحاربى

وكان شيخنا صالحا خطيبا لساناً ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط :
بنيتها في غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك !

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ونقم مذهبهم وتسخط طريقهم ، فقال
له جامع : أما إسم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ماشيتوك لنسبك ، ولا لذلك
ولا لدات نفسك ، فدع عنك ما يُبعدُهم منك إلى ما يقربهم إليك ، والتمس العافية
من دونك ، تمطها من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، وعيدك بعد وعدك .

قال الحجاج : إني والله ما أرى أن أرد بنى اللكبة إلى طاعتي إلا بالسيف !
قال له : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج :
الخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لا تدرى لمن يجمله الله . وغضب الحجاج
فقال : يا هناه ، إنك من محارب . فقال جامع :

وللهرب نسيبنا وكنا محارباً . إذا ما لقنا أمسى من الطعن أحمرا

والبيت للنخضرى . قال الحجاج : والله لقد هممت أن أقطع لسانك فأضرب

٢٠ به وجهك !

قال جامع : إن صدقناك أغضبتناك ، وإن غشيتناك أغضبتنا الله ، فغضب الأمير
أهون علينا من غضب الله ! قال : أجل .

وُسْعِلَ الحجاج ببعض الأمر ، فانسَل جامع ، فر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق ، وقيس العراق ، ونعيم العراق ، وأزد العراق ؛ فلما رأوه أشرأبوا إليه وبلغهم خروجُه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك ! فقال : ويحكم أعموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا انتمادى ما عاذاكم ، فإذا ظفرتُم [به] تراجمتم وتعاقتُم . أيها التيمي ، هو أعدى لك من الأزدى ؛ وأيها القيسي ، هو أعدى لك من التغلبي ؛ وليس يظفر بمن ناواه منكم إلا بمن بقي معه .

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام ، فاستجار مزفر بن الحارث .

١٠ خطبة للحجاج بن يوسف

خطب الحجاج فقال : اللهم أرني الغنى غنياً فأجتنبه ، وأرني الهدى هدىً فأبتعه ، ولا تمككني إلى نفسي فأضلّ ضلالاً بعيداً ! والله ما أحب أن ماضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ، وما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء .

وخطبة للحجاج

١٥ قال الهيثم بن عدي : خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السوق ، فراحه ذلك ، فصعد المبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، وبني اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإمام ، والفقع بالقرقر ؛ إني سمعت تكبيراً لا يُراد به الله وإنما يُراد به الشيطان ؛ وإنما مثلي ومثلكم ما قال ابن بركة الحمداني :

٢٠ وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزَوْتُهُمْ • فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمٌ ؟

مَنْ نَجَمَجَ القلبَ الذَّكِيَّ وصارِمًا • وأنفًا حِمِيًّا تَجَنَّبُكَ المَظالمُ !

أما والله لا تفرع عصاً بعصاً إلا جعلتها كأمس الدابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجحاجم

خطب أهل العراق فقال :

يا أهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم غائط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشفاف : ثم أفضى إلى المخاخ والصمانخ ، ثم ارتفع فمشش : ثم باض وفرخ ، فحشاكم شقاقا ونفاقا ، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا ٥ تتبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظمكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟ ألسنم أصحابي بالأهواز حيث رمت المكر : وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي وأتمم تنسللون لؤاذا : وتهزمون سراعا : ثم يوم الزاوية : وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم : إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها : لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيهِ ، حتى عضكم السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دير الجحاجم : وما دير الجحاجم ؟ بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يُزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله .

١٥ يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات ؛ والغدرات بعد الحفّرات ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثكم إلى نفوركم غلّام وختم ، وإن أمتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم : لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة !

يا أهل العراق : هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاي ، أو استغزكم عاص أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع — إلا وثقتموه وآويتموه وعزّرتموه ونصرتموه ورضيتموه . ٢٠

يا أهل العراق : هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو نعنق ناعق ، أو زفر زافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظلم الدابّ
عز فراخه ؛ ينق عن المدر ، ويباعد عنها الحجر ويكنّتها من المطر ، ويحميها
من الضباب ؛ ويحرّسها من الدّئاب ؛ يا أهل الشام ، أتمّ الجُنة والرداء ، وأتم
العدة والحذاء .

٥ خطبة للحجاج

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة ، فجلست قريبا من المنبر ، فصعد
الحجاج ثم قال :

امروؤ حاسب نفسه ؛ امروؤ راقب ربه ؛ امروؤ زور عمله امروؤ فكر فيما
يقرؤه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه ؛ امروؤ كان عند همه آمرا ، وعند هواه
زاجرا ؛ امروؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة ، فإن قاده إلى حق
تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفّه . إنا والله ما خلّقنا للفناء ، وإنما خلّقنا
للبقاء ، وإنما تنتقل من دار إلى دار .

خطبة الحجاج بالبصرة

اتقوا الله ما استطعتم . فهذه لله وفيها مثوبة . ثم قال : «واسمعوا وأطيعوا» .
فهذه لعبد الله وخليفة الله وحيب الله عبد الملك بن مروان ، والله لو أمرتُ
الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره ، لكانت دماؤهم لي حلالا
من الله ، ولو قتل ريعة ومضر لكان لي حلالا . عذيري من هذه الحرام ، ير
أحدّم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون إلى أن يقع هذا خير . والله لأجملّكم
كأمر الدابر ؛ عذيري من عبد هذيل ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآن
كأنه رَجَزُ الأعراب ؛ والله لو أدركته لقتلته .

٢٠

خطبة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله كفانا مَثُونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة
فليته كفانا مَثُونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . ما لي أرى علماءكم يذهبون ، وجُهالكم

لا يتعلمون ، وشراركم لا يتوبون ؟ ما لي أراكم تحرسون على ما كفيتم ، وتفضيعون ما به أمرتم ، إن العلم يوشك أن يرفع ، ورقمته ذهاب العلماء . ألا وإن أعلم بشراركم من البيطار بالفرس : الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبرا ؛ ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ؛ ألا وإن الآخرة أجل مستأخر يحكم فيه ملك قادر ؛ ألا فاعملوا وأتم من الله على حذر ، واعملوا أنكم ملاقوه (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ) ألا وإن الخير كله بخدافيه في الجنة ؛ ألا وإن الشر كله بخدافيه في النار ؛ ألا وإن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأستغفر الله لي ولكم .

وخطبة للحجاج

١٠

خطب الحجاج أهل العراق فقال : يا أهل العراق إني لم أجعلكم دواء أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث ، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة الفقل ، فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الراحة بكم ؛ وما أراكم إلا كارهين لمقاتلي ، أنا والله لرويتكم أكره ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حملت نفسي مقاساتكم والصبر على النظر إليكم ؛ والله أسأل حسن العون عليكم ! ثم نزل .

خطبة الحجاج حين أراد الحج

يا أهل العراق ، إني أردت الحج ، وقد استخلفت عليكم آبني محمدا ، وما كنتم له بأهل ؛ وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار ؛ فإنه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ؛ ألا وإنكم قاتلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوف ، تقولون : لا أحسن الله له الصحابة ؛ وإنني أعجل لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلافة ؛ ثم نزل .

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر ركباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة [فجأة] حين انتشر النهار ، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز ، فقال : على بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهُمُوا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد ، قام ، ثم كشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلَا وطلاعُ الشَّيَا . متى أضعُ العِمَامَةَ تعرفوني
صَلِيبُ العودِ من سَلَفِي رِيَّاح . كنصلُ السِّيفِ وَصَّاحُ الجَبِينِ
وماذا يبتغى الشُّعراءُ مِنِّي . وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين
أخو خمسينَ مجتَمِعٍ أَشَدِّي . وَتَجَذَّنِي مُدَاوِرَةُ الشُّثُونِ
وَإِنِّي لَا يَعُودُ إِلَيَّ قِرْنِي . غَدَاةَ الْعَبَاءِ إِلَّا فِي قَرِينِ

أما والله إنى لأحل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ؛ وإنى لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنى لأصاحبها ؛ وإنى لأنظر الدماء بين العمام والمعى تترقق :

١٥ . قد شمرَّت عن ساقها فشمَّر .

ثم قال :

هذا أوان الشد فاشتدِّي زَيْمٌ . قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ
ليس يراعى إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ . وَلَا بِجَزَائِرٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍ

ثم قال :

٢٠ قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَائِي . أَرُوعَ خَزَاجٍ مِنَ الدَّوَى
مهاجرٍ ليس بأعرابي

ثم قال :

قد شمرت عن ساقها فشدوا * ما علتي وأنا شيخ إد
والقوس فيها وترٌ عرُدُّ * مثل ذراع البكر أو أشدُّ

إني والله يا أهل العراق ، ومعدن الشقاق والفساق ، ومساوي الأخلاق ، لا يُغمر
جانبى كتفهاز التين ، ولا يُقعقع لى بالشنان ؛ ولقد فُرتُ عن ذكاه . وقتشتُ
عن تجربة ، وأجريت إلى الغاية القصوى ؛ وإن أمير المؤمنين ثرَ كنانته بين يديه
ثم عجم عياداتها ، فوجدنى أمرها عوداً وأشدّها مكسراً ، فوجهنى إليكم ، وركم بى ،
فإنكم قد طالما أوضعتهم فى الفتن وسنتم سنن الغنى ؛ وآيم الله لألحونكم لحو
العصا ، ولا فرعنكم قرع المروة ، ولا عصبنكم عصب السلة ، ولا ضربنكم
ضرب غرائب الإبل ؛ أما والله لا أعد إلا وفيت ؛ ولا أخلق إلا قرئت ؛
فيايى وهذه الشفعاء ، والزرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً . وما يقولون ؛ وفيهم
أتم وذاك ؟ والله لنستقيم على طريق الحق ، أو لآدعن لكل رجل منكم سُغلاً
فى جسده ! من وجدته بعد ثالثة من بئس المهلب سفكت دمه . واتهبت ماله
وهدمت منزله .

فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب ؛ فلما رأى المهلب ذلك قال : لقد ولى
العراق خيراً ذكر .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه
فقال (إنك ميت وإنهم ميتون) ؛ وقال (وما محمد إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل أفين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ؟ فات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم
عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معارضة ؛ ثم وليكم البازل الذكر الذى

جربته الأمور ، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ،
واللين لأهل الحق ، والوطء لأهل الزيغ ؛ فكان رابماً من الولاة المهديين
الراشدين ؛ فاختار الله له ما عنده ، وألحقه بهم ، وعهد إلى شبيهه في العقل
والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ؛ فاسمعوا له وأطيعوه .

- أيها الناس ؛ إياكم والزيغ ؛ فإن الزيغ لا يَحِقُّ إلا بأهله ؛ ورأيتم سيرتي
فيكم ، وعرفت خلافتكم ، وقبلكم على معرفتي بكم ؛ ولو علمتُ أن أحداً أقوى
عليكم مني ، أو أعرف بكم ، ما وليتكم ؛ فإياي وإياكم ؛ من تكلم قتلناه ؛ ومن
سكت مات بدائه غماً ! ثم نزل .

خطبة الحجاج

- ١٠ لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس ، محمدان في يوم واحد ! أما والله لقد كنتُ أحبُّ أنهما معي
في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة ؛ وأيم الله ليوشكن الباقي
منى ومنكم أن يفنى ، والجديد منى ومنكم أن يبلى ، والحق منى ومنكم أن
يموت ؛ وأن تُمدال الأرض منا كما أدلنا منها ؛ فتأكل من لحومنا ؛ وتشرب
من دمائنا ؛ كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ؛ ثم
١٥ يكون كما قال الله ﴿ وَنُفَخْ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .
ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائي نبي الله من كل ميِّت * وحسبي ثوابُ الله من كل هالكِ

إذا ما لقيتُ الله عني راضياً * فإنَّ سُورَةَ النَّفْسِ فيما هُنالكِ

- ٢٠ خطب الحجاج في يوم الجمعة فأطال الخطبة ؛ فقام إليه رجل فقال : إن
الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعنرك ؛ فأمر به إلى الحبس ؛ فأناه آل الرجل
وقالوا : إنه مجنون ؛ فقال : إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليتُ سبيله . فقال
الرجل : لا والله لا أزعم أنه أبتلاني وقد عافاني .

خطبة للحجاج

ذكروا أن الحجاج مرض فقرح أهل العراق : وقالوا : مات الحجاج ! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

يا أهل الشقاق والنفاق ! نفخ إبليس في مناخركم فقلتم : مات الحجاج ، ومات الحجاج فمة ؟ والله ما أحب أن لا أموت ! وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت ، وما رأيت الله عز وجل رضى الخلود لأحد من خلقه ، إلا لأهونهم عليه : إبليس ؛ ولقد رأيت العبد الصالح سأل ربه فقال (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) . ففعل ؛ ثم اضمحل كأن لم يكن .

خطبة للحجاج

١٠

خطب فقال في خطبته :

سوطى سبى ، ونجاده في عتقى ، وقائمه في يدى ؛ وذبابه قلادة لمن اغترنى ! فقال الحسن : بؤساً لهذا ! ما أغزه بالله .

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار ؛ ثم أتى زوجته ، ففتمته نفسها ١٥ فأقى ابن شبرمة يستفتيه ؛ فقال : يابن أخى أمض فكن مع أهلك ، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرُّك أن تزنى .

هذا ما ذكرناه في كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بقى منها فهي مستقصاة في كتاب اليتيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبنا في كتابنا هذا أن نأخذ من كل شيء أحسنه ونحذف الكثير الذى يُجتزأ منه بالقليل . ٢٠

خطبة طاهر بن الحسين

لما افتتح مدينة السلام صعد المنبر وأحضر جماعة من بني هاشم والقواد وغيرهم فقال :

- الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِيُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُنْزِعُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ؛ وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ؛
- إِنَّ ظَهْرَ غَلَبَتِنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِنَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ — إِذْ جَعَلَهَا عَمُودًا لِدِينِهِ ، وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ — مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَعْيَانِهَا ، وَيَضْطَلِعُ بِحَمَلِهَا .

خطبة عبد الله بن طاهر

- خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج ؛ فقال : إنا فتنه الله المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاة أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين فاستنجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوه وأهل معصيته ، الذين أشيروا وتمردوا وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومَرَقُوا مِنَ الدِّينِ ، وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فُسَادًا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُذْهِبْ أَعْدَاءَكُمْ ﴾ فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون ، وعذتكم التي تستظهرون ؛ فإنه الوزر المنيع الذي دلكم الله عليه ، والجنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها ؛ غضوا أبصاركم ، وأخفوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قُدُمًا عَلَى بَصَائِرِكُمْ ، فَارْغَبُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ إِذَا لَفِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . أيدكم الله بعز الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر .

خطبة قتيبة بن مسلم

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، الحمد لله وأثنى عليه ، ثم قال :

أندرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يزيد بن ثروان — يعني هبنقة القيسي —
 كافي بأمير مزجاء وحكم قد أناكم يحكم في أموالكم ودمايتكم وفروجكم وأبشاركم .
 ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ؟ لعن الله الأعراب ! جمعهم كما يجمع
 فرخ الخزيق من منابت الشيع والقبصوم ومنابت الفلفل ، يركبون البقر ؛ وبأكلون
 الحديد ، فحملتهم على الخيل ، وألبستهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد ، وجي بهم
 النى . قالوا : مُرنا بأمرك . قال : غرؤوا غيرى .

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يأهل العراق ، ألسن أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحمى من أهل العالية فتعم الصدقة ،
 وأما هذا الحمى من بكر بن وائل فعلة بظراء لا تمنع رجلها ، وأما هذا الحمى من
 عبد القيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحمى من الأزد فملوح خلق الله
 وأنباطه ؛ وآيم الله لو ملكك أمر الناس لنقشت أيديهم ، وأما هذا الحمى من تميم
 فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان .
 وقال الشاعر :

إذا كنت من سعدٍ وخالك منهم • بعيداً فلا يغررك خالك من سعدٍ
 إذا ما دعوا كيسانَ كانت كهُولهم • إلى الغدر أدنى من شياهم المرد

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يأهل خراسان ، قد جزيتم الولاية قبلى ؛ أناكم أمية فكان كاسمه أمية الرأى ،
 وأميه الدين فكتب إلى خليفته : إن خراج خراسان لو كان في مطبخه لم يكفه ؛
 ثم أناكم بعده أبو سعيد ثلاثاً ، لا تدرون أفي طاعة الله أتم أم في معصيته ؟ ثم لم يجب
 قتيلاً ، ولم يبلُ عدواً ؛ ثم أناكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة ؛ منهم ابن رثمة ،
 حصان يضرب في عانة ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ؛ ثم أصبحتم وقد
 فتح الله عليكم البلاد [وأمن لكم السبل] حتى إن الظئينة لتخرج من مرو إلى
 سمرقند في غير جوار .

قوله أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة . وقوله : ابن رحة : يريد يزيد
ابن المهلب .

خطبة ليزيد بن المهلب

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أيها الناس ، إني أسمع قول الرعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء
أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف : منها سبعة معي ، وأثنان على ،
وما مسلمة إلا جرادة صفراء وأما العباس فبسطوس بن بسطوس ، أناكم في
برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط : أقبل إليكم الفلاحون والأوباش
كأثلاء اللحم ، والله ما لقوا قط حداً كحكمكم ، ولا حديداً كحديدكم ، أعيروني
سواعدكم ساعة تصفقوا بها خراطيمهم ؛ فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين .

خطبة قس بن ساعدة الإيادي

ابن عباس قال : قدم وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أيكم يعرف قس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : كلنا نعرفه . قال : فما فعل ؟ قالوا :
هلك ! قال : ما أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب
الناس ويقول :

أسمعوا وعُوا : من غاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ؛ وإن
في السماء لحَبْرًا ، وإن في الأرض لِعَبْرًا ، سحابٌ تمور ، ونجومٌ تغور ، في ملكٍ
يدور . يُقسِمُ قسٌ قَسْمًا : إن لله دينًا هو أَرْضِي من دينكم هذا .

ثم قال : مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟
أم تركوا فناموا .

أيكم يروى من شعره ؟ فأثشد بعضهم :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي : الأكابر والأصغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر
أيقنت أني لأعما له حيث صار القوم صائر

خطبة عائشة أم المؤمنين

رحمها الله يوم الجمل .

قالت : أيها الناس صه صه : إن لي عليكم حق الأمومة ، وحق الموعظة ؛
لا يتهمني إلا من عصى ربه ؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين تحري
وتحري ؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة ، له أذخرني ربي وخلصى من كل بضع ؛
وبي مَيِّزٌ مؤمنكم من منافقكم ، وبي أرخص الله لكم في صيد الأبواء ؛ ثم
أبي ثاني اثنين الله ثالثهما ؛ وأول من سُمِّيَ صديقاً ، مضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم راضياً عنه ؛ وطوفة أعباء الإمامة ، ثم اضطرب جبل الدين بعده ؛
فسك أبي بطرفه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردة ، وأطفأ ماحشت
يهود ؛ وأنتم يومئذ جُحُظُ العيون ، تنظرون العدو ، وتسمعون الصيحة ؛ فرأب
الثأى ، وأود من الغلظة ، وامتاح من الهوة ؛ حتى اجتمعى دفين الداء ؛ وحق
أعطن الوارد ، وأورد الصادر ، وعل الناهل ؛ فقصه الله إليه واطنا على هامات
النفاق ، مذكياً نار الحرب للشركين ؛ فانتظمت طاعتكم بحبله ؛ فولى أمركم
رجلاً مُرْعِيّاً إذا رُكِنَ إليه ، بعيداً ما بين اللابئين إذا ضلَّ ، عُرْكة للأذاة يجنبه
صفوحاً عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل في نُصرة الإسلام ؛ فسلك مسلك
السابقين ؛ ففرق شمل الفتن ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نُصِبُ المسألة عن
مسيرى هذا ؛ لم ألتبس إثمها ، ولم أؤرث فتنة أو طينكُمُها ؛ أقول قولي هذا
صدقا وعدلا ، وإعذاراً وإنذاراً ؛ وأسأل الله أن يصلي على محمد ، وأن يخلفه
فيكم بأفضل خلافة المرسلين .

خطبة عبد الله بن مسعود

- أصدق الحديث كتابُ الله . وأوثق العُرَى كُلُّهُ التقوى ، خير زاد ؛ وأكرم
 الملل ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وخير السنن سُنَّةُ محمد صلى الله عليه وسلم ،
 وشرُّ الأمور محدثاتها ، وخير الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خير مما كثر
 وألحى ، لنفْسٍ تحبها خير من إمارة لا تُخْصِيها . خير الغنى غنى النفس . خير ما ألقى
 في القلب اليقين . الخرج جماع الآثام . النساء حباثل الشيطان . الشبابُ شعبة من
 الجنون . حبُّ الكفاية مفتاحُ المعجزة . شرُّ من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دُبراً ،
 ولا يذكر الله إلا هُجراً . سبَابُ المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكلُ لحمه معصية
 من يتألى على الله يُكذبه ، ومن يَغْفِرْ يُغْفَرْ لَهُ . مكتوب في ديوان المحسنين : من
 عفا عَفَى عنه . الشَّقِيُّ شَقِيٌّ فِي بطن أمه . السعيدُ من وَعِظَ بغيره . الأمورُ
 بعواقبها . ملاكُ الأمر خواتيمه . أحسنُ الهدى هَدْيُ الأنبياء . أقبِحُ الضلالةِ
 الضلالةُ بعد الهدى . أشرفُ الموت الشهادةُ . من يعرف البلاء يَصْبِرْ عليه ، ومن
 لا يَعْرِفُ البلاء يُنْكِرْهُ .

خطبة لعنبة بن مروان

بعد فتح الأبله

- حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال :
 إن الدنيا قد تولت [حذاء مدبرة] ، وقد آذنت أهلها منها بصيرم ، وإنما
 بقي منها صُبابَةٌ كُصَّابَةُ الإناء . يَصْطَلِبُهَا صَاحِبُهَا ؛ ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ،
 ففارقوها بأحسن ما يحضركم ؛ ألا إن من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : إن الحجرَ الضخمَ يُرْمَى به في شفير جهنم فيهبوى في النار سبعين
 خريفاً ، وليجْهَنَّهُ سبعة أبواب ، بين كل بايين منها مسيرة خمسمائة عام ، وليأتين
 عليها ساعة وهي كظليظ بالزحام ؛ ولقد كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سابعَ سبعة ما لنا طعام إلا ورق البَشَام ، حتى قرحت أشداقنا ؛ فوجدت أنا وسعد

ابن مالك تمره فشققها بيني وبينه نصفين ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على
حصير ولأنه لم يكن نبوة قط إلا تناخنت ؛ وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي
عظيما وفي أعين الناس صغيرا .

خطب عمرو بن سعيد الأشدق

٥ لما عقد معاوية ليزيد البيعة ، قام الناس يخطبون ؛ فقال [معاوية] لعمرو بن
سعيد : قم يا أبا أمية . فقام حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن يزيد بن معاوية أمل تأملونه ، وأجل تأمنونه ؛ إن استضفتم إلى
حله وسعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده
أغناكم ؛ جذع قارح ، سويق فسق ، ومُرجد فجذ ، وقورع فقرع ؛ فهو خلف
١٠ أمير المؤمنين ولا خلف منه .

فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية فاجلس .

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة

قال أبو العباس بن الفرغ الرياشي : حدثنا ابن عائشة قال : قدم عمرو بن
سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقعده عليه وغمض عينيه وعليه جبة خز قرمز ، ومطرف خز قرمز ، وعمامة
١٥ خز قرمز ؛ فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها ، ففتح عينيه فإذا الناس
ينظرون إليه ؛ فقال :

ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا
بسيوفكم ؟ أغركم أنكم فعلتم ما فعلتم فغفونا عنكم ؟ أما إنه لو أُثبتتم بالأولى
٢٠ ما كانت الثانية ؛ أغركم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثارنا منا رفيقا ، قد فنى غضبه
وبقي حله ؟ اغتتموا أنفسكم ، فقد والله ملكناكم بالشباب المقتبل ، البعيد الأمل
الطويل الأجل ، حين فرغ من الصغر ، ودخل في الكبر ، حلیم حديد ، لين شديد

رقيق كيف ، رقيق عفيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر
ببصره ، واستقبله بأشره ، فهو إن عض نهم ، وإن سطا فرس ، لا يُقْلِلُ له
الحصى ، ولا تُفْرَعُ له العصا ، ولا يمشى السَّهْمُ .

قال : فما بقي بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر ، حتى قصمه الله .

خطبة لعمر بن الخطاب

العبي قال : استعمل سعيد بن العاص وهو وال على المدينة ابنه عمرو بن
سعيد واليا على مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحرث بن
نوفل ، فلما لقيه قال له : يا حارِ ، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني ؟ قال :
ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتني به ؛ والله ما كنتني ، ولا أتممت اسمي ، وإنما
أنهاك عن التكبر على أكفائك ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك .
قال : والله ما أسأت الموعظة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذي رأيت مني
تخلق . فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإننا سكنناها حِقْبَةً ، وخرجنا عنها رغبة ، ولذلك
كنا إذا رُفِعَتْ لنا لُحُوءٌ بعد لُحُوءٍ أخذنا أسنانها ، وزلنا أعلاها ؛ ثم شَدَخْ أَمْرُ
بين أمرين ، قَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ؛ فوالله ما نزعنا ولا نُزِعْ عَنَّا ، حتى شرب الدمُ دَمًا ،
وأكل اللحم لَحْمًا ، وقرع العظم عَظْمًا ؛ فويلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم برسالة الله
إيَّاه ، واختياره له ؛ ثم ولي أبو بكر لسابقته وفضله ؛ ثم ولي عمر ؛ ثم أُجِلَّتْ
قِدَاحُ نَزْعِنَ مِنْ شُعْبٍ حَوْلَ تَبَعَةٍ ، فَمَازَ بِحَظِّهَا أَصْلُهَا وَاعْتَقَهَا ، فَكُنَّا بَعْضُ
قِدَاحِهَا ؛ ثم شَدَخْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، قَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ، فوالله ما نزعنا ولا نُزِعْ عَنَّا
حتى شرب الدمُ دَمًا ، وأكل اللحم لَحْمًا ، وقرع العظم عَظْمًا ، وعاد الحرام حلالًا ،
وأُسْكِتَ كُلُّ ذِي حَسٍّ عَنْ ضَرْبٍ مَهْدٍ ، عَرَكَا عَرَكًا ، وَعَسَفَا عَسَفًا ، وَخَزَا
وَنَهَسَا ، حتى طابوا عن حقنا نفسًا ، والله ما أعطوه عن هَوَادَةٍ ، ولا رضوا
فيه بالقضاء ؛ أصبحوا يقولون : حَقَّنَا غُلْبُنَا عَلَيْهِ ، لِحُزْنِنَاهُ هَذَا بِهَذَا ، وهذا
في هذا .

يا أهل مكة ، أنفَسَكُم أنفَسَكُم ! وسفهاءكم سفهاءكم ! فإن معي سوطا نكالا ،
وسيفا وبالا ، وكلُّ منصوبٌ على أهله . ثم نزل .

خطبة للأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معشر الأزد وربيعة ، أتم إخواننا في الدين
وشركاؤنا في الصَّهر ، وأشقائنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ؛
والله لأزد البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحبُّ إلينا من
تميم الشام ؛ فإن استشرف شئنا نكم وأبى حسدُ صدوركم ، ففي أحلامنا وأموالنا
سعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر

قام خطيبا فقال : اتقوا الله عباد الله : فمكم مؤمِّلٌ أملًا لا يبلغه ، وجامع
مالًا لا يأكله ، ومانع عما سوف يتركه ؛ ولعله من باطلٍ جَمَعَهُ ، ومن حقٍّ منَعَهُ
أصابه حراما ، وأورثه عدوًّا حلّالا ، فاحتمل إضره ، وباه يوزره ، وورد على
ربه أسفًا لهفا ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المين .

خطبة لشداد بن أوس الطائي

حمد الله وأثنى عليه وقال : ألا إن الدنيا عَرْضٌ حاضر ، يأكل منها البرُّ
والفاجر ؛ ألا إن الآخرة وعدٌّ صادق ، يحكم فيها مَلِكٌ قادر ؛ ألا إن الخير كله
بمخافيره في الجنة ؛ ألا إن الشر كله بمخافيره في النار ، فاعملوا ما عملتم وأتم في
يقين من الله ، واعلموا أنكم معروضة أعمالكم على الله ، ﴿ فَنُيَعْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وغفر الله لنا ولكم .

خطبة لخالد بن عبد الله القسري

صعيد المذبح يوم جمعة وهو والى مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه
خيرًا ؛ لما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب ساجان بن عبد الملك يأمره فيه بستم

الحجاج وذكر عيوبه وإظهار البراءة منه : فصعد المنبر لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن إبليس كان ملكاً من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً ، وكان قد علم الله من غشه وخبثه ما خفى على ملائكته فلما أراد فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم ، فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفى عنا ؛ فلما أراد [الله] فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، [فلعنه] ، فلعنوه لعنه الله !

خطبة لمصعب بن الزبير

- ١٠ قدم العراق فصعد المنبر ثم قال :
- بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين ، تلو عليك من تبارك موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم ، إنه كان من المفسدين ﴾ وأشار بيده نحو الشام ﴿ وزيد أن تمن على الذين استضعفوا في الأرض وتجعلهم أئمةً وتجعلهم الوارثين ﴾ وأشار بيده نحو الحجاز ﴿ وتمكن لهم في الأرض وبنى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

- قال : إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضيع والثلب : أتيا الضب في جعره فقالا : أباحسل . قال : أجبتكما . قال : جتناك نختم . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضيع : فتحت عيني . قال : فعل النساء فعلت . قالت : فلة طمت ثمرة . قال : حملوا اجتيت . قالت : فاخطفها ثعالة ! قال : لنفسه

بَقِيَ [الخبر] . قالت : فلهلمنه لطفة ! قال : حقاً قضيت . قالت : فلهلمني أخرى
قال : كان حُرّاً فانتصر . قالت : فاقض الآن بيننا . قال : حدث امرأة حديثين ،
فإن أبت فاربع ، أى : اسكت .

خطبة شبيب بن شيبة

٥ قيل لبعض الخلفاء: إن شبيب بن شيبة يستعمل الكلام ويستعمله ، فلو أمرته
أن يصعد المنبر لرجوت أن يفتضح ، قال : فأمر رسولا فأخذ يده إلى المسجد ،
فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم حق الصلاة عليه ؛ ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد
الخنادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والريبع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر
١٠ فأشبه منه صولته ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبه منه جوده وعطاءه ،
وأما القمر الباهر فأشبه منه نوره وضياءه ، وأما الريبع الناضر فأشبه منه حسنه
وبهائه . ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول :

وموقبٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قَتُّ بِهِ . أَخِي الذُّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ
فَمَا زِلْتُ وَمَا أَلْقَيْتُ كَاذِبَةً . إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

خطب لعنبة بن أبي سفيان

١٥ بلغه عن أهل مصر شيء فأنضبه ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه :

يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً ، فإن الله فيكم ذبيحاً لعثمان
أرجو أن يوليئني نسكه ؛ إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفرقة ، فأعطى كل ذي
٢٠ حق حقه وكان والله أذكركم إذا ذكر بخطة ، وأصفحكم بعد المقدرة عن حقه ؛
نعمة من الله فيكم ، وممة منه عليكم ؛ وقد بلغنا عنكم نجم قول ، أظهره تقدّم
عفو منا ، فلا تصيروا إلى وخشة الباطل بعد أنس الحق ، يا حياء الفتنة وإماتة

السنن ؛ فاطاكم الله وطأة لارمق معها ؛ حتى تسكروا مني ما كنتم تعرفون ،
وتستخشنون ما كنتم تسلبون ؛ وأنا أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين
وما تخفى الصدور .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان

- ٥ يا حاملي الأيم أنوف ، ركبت بين أعين ، إنما قلّمت أظفاري عنكم ليلين
مسي إياكم ، وسألتكم صلاحكم ؛ إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذ أيتيم إلا الطعن
على الولاة ، والتنقص للسلف ، فوالله لا قطعن على ظهوركم بطون الشياطين ، فإن
حسنت داهكم وإلا فالسيف من ورائكم ؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا
جُدتُم لنا بالمعصية ، ولا أؤيسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التي هي أبر وأتقى .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان

١٠

لما اشتكى شكاته التي مات فيها ، تحامل إلى المنبر فقال :

- يا أهل مصر ، لا غنى عن الرب ، ولا مهرب من ذنب ؛ إنه قد تقدّمت مني
إليكم عقوبات كنت أرجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوزر منها ،
فليتني لا أكون اخترت دنياي على معادي ، فأصلحتكم بفسادي ؛ وأنا أستغفر الله
منكم ، وأتوب إليه فيكم ؛ فقد خفت ما كنت أرجو نفعا عليه ، ورجوت ما كنت
أخاف آغتيالاً به ، وقد شقي من هلك بين رحمة الله وعفوه ؛ والسلام عليكم ،
سلام من لا ترونه عائداً إليكم . قال : فلم يعد .

وخطبة لعنبة

- العنبي قال : سعد القصر : احتبست عنا كتب معاوية ابن أبي سفيان حين
أرجف أهل مصر بموته ، ثم قدم علينا كتابه بسلامته ؛ فصعد عتبة المنبر والكتاب
في يده ، الحمد لله وأثنى عليه ، ثم قال :

٢٠

يا أهل مصر ، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح وغلطات السيوف ،

حتى صرنا شجي في لهواتكم ما تُسيغه حلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها
 جفونكم ، ألحين اشتدت عرى الحق عليكم عقداً واسترخت عقدُ الباطل منكم
 حلاً ، أرجفتم بالخليفة ، فآردتم تهوين الخلافة ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم
 عهدكم به حديث ، فأرجحوا أنفسكم إذا خسرت دينكم ؛ فهذا كتاب أمير المؤمنين
 بالخبر السار عنه والعهد القريب منه ؛ واعلموا أن سلطانتنا على أبدانكم دون
 قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا مظهر ، نكلّمكم إلى الله فيما بطن ؛ وأظهروا خيراً وإن
 أضرتكم شراً ، فإنكم حاصدون ما أتم زارعون ؛ وعلى الله أتوكل وبه أستعين .
 ثم نزل .

خطبة عتبة في المرسوم

١٠ سعد القصر قال : قال مولى عتبة بن أبي سفيان : دفع عتبة بن أبي سفيان
 بالموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس حديث عهدهم بالفتنة ، فقال بعد أن
 حمد الله وأثنى عليه :

إما قد ولينا هذا المقام الذي يُضغف الله فيه للبحسين الأجر ، وللسيئين
 الوزر ؛ ونحن على طريق ما قصدنا له ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع
 من دوننا ؛ ورب متمن حتفه في أميته ، اقبلونا ما قبلنا العافية فيكم وقبلناها
 منكم ، وإياكم ولوا فإن لواءاً قد أتمت من قبلكم ، ولن تُرجح من بعدكم ؛ فأسأل الله
 أن يعين كلاً على كل .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أيها الخليفة . قال : لست به ولم تُبعِدْ
 فقال : يا أخاه ! فقال : أستمعت قُتل .

٢٠ فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسننا
 فإن كان الإحسان لكم فما أحقكم باستقامته ، وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا .
 رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويختص إليكم بالحنولة ، وقد كثر

عِيَاله ، ووطنه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .
 فقال عتبة : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْأَلُهُ الْعَوْنَ عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغَنَّاكَ ،
 فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومَ بِإِطْلَاقِنَا عَنْكَ .

خطبة لعتبة بن أبي سفيان

- ٥ سعد القصر قال :
 وَجَّهَ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ابْنَ أَخِي أَبِي الْأَعْوَرِ السَّلْمَى إِلَى مِصْرَ فَمَنَعُوهُ
 الْحَرَجَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عَتَبَةُ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ :
 يَا أَهْلَ مِصْرَ ، قَدْ كُتِمَ تَعْتَذِرُونَ لِبَعْضِ الْمَنَعِ مِنْكُمْ بِبَعْضِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ ؛ فَقَدْ
 وَلِيَكُمْ مِنْ يَقُولُ وَيَفْعَلُ ، وَيَفْعَلُ وَيَقُولُ ؛ فَإِنْ رَدَدْتُمْ رَدَّكُمْ يَسِدُهُ ، وَإِنْ
 اسْتَعْصِمْتُمْ رَدَّكُمْ بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ رَجَا فِي الْآخِرِ مَا أَتَى فِي الْأَوَّلِ ؛ إِنْ الْبَيْعَةُ مُشَايَعَةً ،
 ١٠ فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلَ ؛ فَأَيْنَا غَدِرَ فَلَذِيقُهُ لَهْ عِنْدَ
 صَاحِبِهِ ، وَاللَّهِ مَا انْطَلَقْتُ بِهَا أَلَسْتُ حَتَّى عُقِدَتْ عَلَيْهَا قُلُوبُنَا ، وَلَا طَلَبْنَاهَا مِنْكُمْ
 حَتَّى بَذَلْنَاهَا لَكُمْ ، نَاجِزًا بِنَاجِزٍ ، وَمَنْ حَذَرَ كُنْ بِشَرٍّ . قَالَ فَنَادَوْهُ : سَمْعًا سَمْعًا ،
 فَنَادَاهُمْ : عَدْلًا عَدْلًا .

١٥ وخطبة لعتبة

- قَدِمَ كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَتَبَةَ بِمِصْرَ : إِنَّ قَبِيلَكَ قَوْمًا يَطْعَنُونَ عَلَى الْوَلَاةِ
 وَيُعَيِّبُونَ السَّلَافَ . فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ :
 يَا أَهْلَ مِصْرَ ، خَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ مَدْحُ الْحَقِّ وَلَا تَفْعَلُونَهُ ، وَذَمُّ الْبَاطِلِ
 وَأَنْتُمْ تَأْتُونَهُ ، كَالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَصْفَارًا أَثْقَلَهُ حِمْلُهَا وَلَمْ يَنْفَعِهِ ثِقَلُهَا ، وَأَيُّمَ اللَّهِ
 ٢٠ لَا أَدَاوِيَكُمْ بِالسَّيْفِ مَا صَلَحْتُمْ عَلَى السُّوْطِ ، وَلَا أَبْلُغُ السُّوْطَ مَا كَفَتْنِي الدُّرَّةُ ،
 وَلَا أَبْطُلُ عَنْ الْأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْرِعُوا إِلَى الْآخِرِ ؛ فَالْزَمُوا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ ،
 تَسْتَوْجِبُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْنَا ؛ وَإِيَّاكُمْ وَقَالَ وَيَقُولُ ، قَبْلَ أَنْ يُقَالَ

فعل ويفعل ؛ وكونوا خير قوس سهماً . فهذا اليوم الذى ليس قبله عقاب ،
ولا بعده عتاب .

خطب الخوارج

خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا

٥ سعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة - وهو أحد بني مازن بن عمرو
ابن تميم - حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أقابعد ، فإنى أحتركم الدنيا ، فإنها حُلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ،
وراقَت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وغمرت بالآمال ، وتحلَّت بالآمانى وزينت
بالغرور ؛ لا تدوم حسرتها ، ولا تؤمن لُجعتها ؛ غدارة ضاربة ، وحائلة زائلة ،
١٠ ونافذة بائدة ؛ لا تعدو - إذا [هى] تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا
عنها - أن تكون كما قال الله عز وجل ﴿ كما أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ وكان الله على كل شيء مُقْتَدِرًا . مع
أن امرءاً لم يكن منها فى حيرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ؛ ولم يلق من سرائها
بطناً ، إلا منعت من سرائها ظهراً ؛ ولم تطلَّ منها ديمة رخاء ، إلا هطلت عليه
١٥ مُرَّةٌ بلاء ؛ وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تسمى له خاذلةً متسكرة ؛ وإن
جانب منها اعذوب واحلولى ، أمر عليه منها جانب فأوبا ؛ وإن لبس امرؤ من
غضارتها ورفاهيتها نعباً ، أرهقته من نوائها غمّاً ؛ ولم يمس امرؤ منها فى جناح
أمن ، إلا أصبح منها فى قوادم خوف ؛ غزارة ، غرورٌ ما فيها ؛ باقية ، فإن
ما عليها ؛ لا خير فى شيء من زادها إلا التقوى ، من أقلَّ منها استكثر مما
٢٠ يؤمُّه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ، وزال عما قليل عنه ، واستكثر
مما يوبقه ؛ كم واثق بها قد لُجَّته ، وذى طمأنينة إليها قد صرَّعته ، وكَم من
ذى اختيالٍ فيها قد خدعته ؛ وكَم من ذى أُبَّةٍ فيها قد صيرته حقيراً وذى نخوة
فيها قد رذَّته ذليلاً ، وذى تاج قد كبَّته للبدن والغم ؛ سلطانها دول ، وعيشها

- رُتِقَ ، وَعُدْبُهَا أَجَاجٌ ، وَحُلُوهَا مَرٌّ ، وَغِذَاؤُهَا سِمْامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِيَامٌ ، وَقَطَافُهَا
سَلْعٌ ؛ حَيْثُ بَعَرَضَ مَوْتٌ ، وَصَحِيحُهَا بَعَرَضُ سَقَمٍ ، وَمُنِيعُهَا بَعَرَضُ اهْتِضَامٍ ؛
مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَصَحِيحُهَا وَسْلِيمُهَا مَنْكُوبٌ ؛ وَحَازِرُهَا
وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ ؛ مَعَ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ وَزَفَرَاتُهُ ، وَهَوْلُ
الْمُطْلَعِ ، وَالْوَقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ ؛ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى .

- أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مِنْ كَانَ أَطُولُ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ آثَارًا ، وَأَعَدَّ
عِدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ، وَأَطُولُ عِمَادًا ؟ تَعْبُدُوا لِلدُّنْيَا أَيْ
تَعْبُدُ ، وَآثَرُوهَا أَيْ لِإِثَارِ ، وَظَعْنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصُّغَارِ ؛ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَمَحَتْ لَمْ تَفْسَأْ بِفِدْيَةٍ ، وَأَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَمْلَتْهُمْ بِهِ بِخُطْبِ ١ بَلْ أَثْقَلَتْهُمْ
بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعُضَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرَتْهُمْ لِلنَّاسِخِ ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِّ
الْمَنُونِ ، وَعَقَرَتْهُمْ بِالمَصَائِبِ ؛ وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ
إِلَيْهَا ، حَتَّى ظَعْنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْآبِدِ إِلَى آخِرِ الْأَمَدِ . هَلْ زَوَّدْتُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ ،
وَأَحْلَلْتُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ تَوَرَّتْ لَمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، وَأَعْقَبْتُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟ أَفَهَذِهِ
تُؤَثِّرُونَ ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ١٥
(مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَخْشَوْنَ .
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ) ؛ فَبُنِيتِ الدَّارَ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ؛ أَعْمَلُوا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَارِكُوها لَا بَدَّ ؛ فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا نَعْتِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لَعِبٌ وَطُورٌ
وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) . فَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ ٢٠
يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً يَبْعَثُونَ ، وَيَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّهُمْ يَخْلَدُونَ ، وَبِالَّذِينَ قَالُوا
(مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً) ؛ وَاتَّعَظُوا بِمَنْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ كَيْفَ حُمِلُوا إِلَى
قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأَنْزِلُوا [الْأَجْدَاثَ] فَلَا يَدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ
مِنَ الضَّرِيجِ أَكْثَانٌ ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ ؛ فَهَمَّ جِيرَةٌ

لا يُجيبون داعياً ، ولا يمتنعون ضيماً ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا
 لم يفتنوا ، جمعٌ وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناون وهم يزورون ولا يزورون ،
 خلباء قد ذهب أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجئهم ،
 ولا يُرجى دفعهم ، وهم كمن لم يكن ، قال الله تعالى ﴿ فِتْلِكَ مَسَاكُنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ
 مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسعة
 ضيقاً ، وبالآل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاءوها حفاةً عُرَاةً فرادى ، غير أن ظعنوا
 بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كَأَبَدْنَا
 أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، فاحذروا ما حذركم الله ،
 وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم
 أداء حقه . ثم نزل . ١٥

خطاب لأبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشامي بمكة ، فصعد المبر متوكئاً على قوس عريّة ،
 فخطب خطبة طويلة ، ثم قال :

يا أهل مكة ، تميروني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ؟ نعم الشباب مكتهلين ، عَمِيَّةٌ عن الشر
 أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجاهم ، قد نظرَ الله إليهم في آناه الليل مُنْشِئَةً
 أصلاً بهم بمثنى القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا
 مرّ بآية فيها ذكر النار شقق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلال
 ليلهم بكلال نهارهم ، أنضاء عبادة ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم ورؤسهم ،
 مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستفلون لذلك
 في جنب الله ، موفون بعهد الله ، منجزون لوعده الله ، [حتى] إذا رأوا سهام
 المدوّ قد فوقت ، ورماحهم قد أشرعت ، وسيوفهم قد انتضيت ، وبرقت
 الكتيبة ورعدت بصواعق الموت - استهاتوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ففضي

الشباب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد وُملت محاسن وجهه بالدماء ، وغر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ؛ فكم من مُقَلَّة في منقار طائر ، طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كَفٍ بانت عن مِعصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ، وكم من خدي عتيق وجبين رقيق ، قد فُلق بعمد الحديد ارحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها في الجنان .

ثم قال : الناس منا ونحن منهم ، الا عابد وثن ، أو كفرة أهل الكتاب ، أو إماما جائرا ، أو شاذّا على عضده .

وخطبة أبي حمزة بالمدينة

قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر ١٠ وردت المرتاب ، قال :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصلة الرحم ، وتعظيم ما صُنرت الجبارة من حق الله ، وتصغير ما عَظُمَت من الباطل ، وإماتة ما أَحْيَوْا من الجور ، وإحياء ما أَمَاتُوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته ؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها ؛ إنا والله ما خرجنا أشراً ولا بطراً ولا لهوا ولا لعباً ؛ ولا لدولة مُلْكٍ نريد أن نخوض فيها ولا لنارٍ قد نيل ، منا ؛ ولكننا لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجور قد ظهرت ، وكثر الادّعاء في الدين ، وعَمِلَ بالهوى ، وعُطِلَت الأحكام ، وقُتِلَ القائم بالقسط ، وهُنِفَ القاتل ٢٠ بالحق — سمعنا منادياً ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله ، فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعرافنا

ياهل المدينة ، أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ؛ إنكم أطعتم قراءكم
وقههاكم فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛
فأصبحت عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

ياهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ما أصح
أصلكم ، وأسقمَ فرعكم ! كان آباؤكم أهل اليقين ، وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر
النافذة ، والقلوب الواعية ؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة ؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم
والأمانى فأضلتكم ؛ فتح الله لكم باب الدين فسندتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا
ففتحتتموه ؛ سراعاً إلى الفتنة ، بطلاء عن السنة ؛ عُنى عن البرهان ، صُمٌّ عن
العرفان ؛ عبيد الطمع ، حلفاء الجزع ؛ نِعَم ما ورثكم آباؤكم لو حفظتموه ، وبئس
ما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به ! نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ؛
كان عدد آباءكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث ؛ اتبعت الهوى فأرداكم واللهم
فأسهاكم ؛ ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون ، سألناكم
عن ولايتكم هؤلاء فقلتم : والله ما فيهم الذى يعدل ؛ أخذوا المال من غير حله ،
فوضعوه فى غير حقه ؛ وجاروا فى الحكم ، فحكموا بغير ما أنزل الله ؛ واستأثروا
بفيتنا ؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمتنا وحقوقنا فى مهور النساء
وفروج الإماء . وقلنا لكم : تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وحاروا
فى الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . فقلتم : بلا تقوى على ذلك ، ووددنا أنا أصبنا
من يكفيننا ، قلنا : نحن تكفيكم . ثم الله راع علينا وعليكم ، إن ظفرنا لنُعطينَ
كل ذى حق حقه ؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم
لنا دونهم ، فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله ؛ فوالله لو قلتم لا نعرف الذى تقول ولا نعله
لكان أعذر ؛ مع أنه لا عُذر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم
ويأخذكم به فى الآخرة .

ثم قال الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله ، أو
متبعاه ، أو راضياً بعمله .

أسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طاعته على الخلفاء ، فإنه طعن فيها على عثمان وعلى بن أبي طالب رضوان الله عليهما ، وعمر بن عبد العزيز ، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفّر مَنْ بعدهما ، فلعنة الله عليه ؛ إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلاً أوصى إلى الملامى والمعازف وأضاع أمر الرعية فقال : كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم ، وهو مضئع للدين والدنيا ، اشترى له بردان بألف دينار انتزر بأحدهما والتحف بالآخر ، وأقعد حبابة عن يمينه ، وسلامة عن يساره ، فقال : يا حبابة غنني ، وبإسلامة اسقيني ؛ فإذا امتلأ سكراً وازدهى طرباً شق ثوبه وقال : ألا أظير ؟ فطُر إلى النار وبئس المصير ! فهذه صفة خلفاء الله تعالى .

وخطبة لأبي حمزة

- ١٠ أما بعد ، فإنك في ناشئ فتنة ، وقائم ضلالة قد طال جثوها ، واشتد عليك غمومها ، ونلوت مصايد عدو الله ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها ، فلن يهتد عمودها ، ولن ينزع أوتادها ، إلا الذى بيده ملك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم : ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتعبروا في ظلها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهها ؛ مصايح النور في أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ؛ ركبوا منهج السبيل ، وقاموا على العلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يصلح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ؛ طوى لهم ولد تصبحين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من أرتج عليه في خطبته

- أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ؛ فقال : أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ؛ وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ؛ وسيجعل الله بعد عسر يُسرأ إن شاء الله .

عثمان بن عفان

ولما أدم يزيد بن أبي سفيان الشام والياً عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ؛ فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه فقال : يا أهل الشام

يزيد بن أبي
سفيان

عسى الله أن يجعل بعد عُسر يسراً ، وبعد عيِّ ياناً ؛ وأتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قطنة منبر بجستان ، فقال : الحمد لله . ثم أرنج عليه ؛ فنزل وهو يقول :

فإن لا أكنّ فيهم خطيباً فأتى * بسيفي إذا جَدَّ الوغى لخطيب

فقبل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولي ، فحصر ، فقال : أيها الناس ، إني كنت أعددت مقالاً أقوم به فيكم فحُجِّبَتْ عنه ؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه ؛ كما قال في كتابه ؛ وأتم إلى إمام عدل ، أحوج منكم إلى إمام خطيب ؛ وإني آمركم بما أمر الله به ورسوله ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسوله ؛ وأستغفر الله لي ولكم . ١٠

وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فأرنج عليه ، فكث ملها لا يتكلم ؛ ثم نهياً له الكلام فتكلم ، فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يحى أحياناً ويعزب أحياناً ، فيسح عند مجيئه سنيه ، ويعز عند عزوبه طلبه ؛ ولربما كوبر فابي ، وعولج فتأى ؛ فالتأني لمجيئه ، خير من التماطى لآييه ؛ وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ؛ وقد يُرنج على البليغ لسانه ، ويُخلج من الجري جنانه ؛ وسأعود فأقول إن شاء الله . ١٥

وصعد أبو العنيس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ... فأرنج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا . قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ؟ ثم نزل .

فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر وقال : أما بعد ؛ فأرنج عليه . فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما حاجتكم إلي أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل . ٢٠

فلما كانت الجمعة الثالثة قال : أما بعد ؛ فأرنج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن

أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى . قال : فليخبر الذى يدرى منكم الذى لا يدرى ! ثم نزل .

هاتمي
وأتى رجل من بنى هاشم اليامة ، فلما صعد المنبر أرتج عليه : فقال : حيّا الله هذه الوجوه وجعلنى فداءها : قد أمرت طائفتى بالليل ألا يرى أحداً إلا أتانى به : وإن كنت أنا هو ! ثم نزل .

الحالد بن عبد الله
وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظنّ الناس أنه يصنع الكلام ، لعذوبة لفظه وبلاغة منطقته : فيينا هو يخطب يوما إذ وقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سبحان من الجرادة من خلقه ، أدمج قوائمها وطرفها وجناحيها ، وسلطها على ما هو أعظم منها .

عبد الله بن عامر
خطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضخم ، فأرتج عليه ، فكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عيّا ولو ما . من أخذ شاة من السوق فهي له وتمنّوها على .

عبد الملك
قيل لعبد الملك بن مروان : يَجَلّ عليك المشيب يا أمير المؤمنين . فقال : كيف لا يَجَلّ وأنا أعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين .

خطب النكاح

١٥

عتبة بن أبي سفيان
خطب عثمان بن عتبة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته ، فأقعدته على فخذه ، وكان حدثا ، فقال :

أقرب قريب ، تخطب أحبّ حبيب ، لا أستطيع له رداً ، ولا أجد من إسعافه بُداً : وقد زوجتكها وأنت أعزّ علىّ منها ، وهى ألصق بقلبي منك : فأكرهها يعذب على لساني ذكرك ، ولا تُهنّها فيصغرُ عندى قدرك : وقد قرَّبْتُكَ مع قرَّبِكَ . فلا تُبعدْ قلبي من قلبك .

٢٠

وخطبة نكاح

- العتبي قال : زوّج شبيب بن شيبه ابنه بنت سوار القاضي ، فقلنا : اليوم
يحبُّ عُبابه ! فلما اجتمعوا تكلم فقال :
الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد ، فإن المعركة منا ومنكم بنا
• وبكم ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذكر فلانة .

وخطبة نكاح

- العتبي قال : كان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله الحسن البصري
والثناء عليه :
أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرقة ،
وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج [واضح] من أمره : وقد خطب إليكم
فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردّوا
خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح

- العتبي قال : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة ، فقال : ابن الفقير
وما حسن أن يمدح المرء نفسه . ولكن أخلاقاً تُذم وتُمدح
• وإن فلانة ذكرت لي .

وخطبة نكاح

- العتبي قال : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، وللخطوب إليه تقصيره : عمر بن العزيز
خطب محمد بن الوليد [بن عتبة بن أبي سفيان] إلى عمر بن عبد العزيز أخيه ،
فتكلم محمد بكلام طويل ، فأجابه عمر : ٢٠

الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فإن
الرجبة منك دعوتك إلينا ، والرجبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ظننا من
أودعك كريمته ، واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله :
إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وخطبة نكاح

بلال خطب بلال إلى قوم من خنم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّين فهدانا الله ، عبيد فاعتقنا الله ، فقيرين
فأغنانا الله : فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فالمستعان الله .

١٠. وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :
قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين
خييرا ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة .

نكاح العبد

١٠. خالد بن صفوان الأصمعي قال : زوج خالد بن صفوان عبده من أمته ، فقال له العبد :
لو دعوت الناس وخطبت ! قال : آدعهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا تكلم
خالد بن صفوان فقال :
إن الله أعظم وأجل من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين ! وأنا أشهدكم
أنى زوجت هذه الزانية ، من هذا ابن الزانية .

خطب الأعراب

٢٠. لبعض الأعراب الأصمعي قال : خطب أعرابي فقال : أما بعد ، فإن الدنيا دار ممر ،
والآخرة دار مقر : فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تحفى

عليه أصرارك ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، قضيت
حيتكم ، ولغيرها خلقتكم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل ،
إن الرجل إذا هلك قال الناس : ماترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ فقدّموا
بعضاً يكون لكم قرصاً ، ولا تتركوا كلاً فيكون عليكم كلاً ، أقول قولي هذا
والمحمودُ الله والمصلّى عليه محمد ، والمدعوُّ له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر .
قوموا إلى صلاتكم .

وحطبة لأعرابي

الحمد لله الحميد المستنعم ، وصلى الله على النبي محمد ، أما بعد ، فإن التعق
في ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يثنى حتى يُثنى عنه ، والله تبارك وتعالى
لا يُدرك واصف كُنّه صفته ، ولا يبلغ خطيب مشهّى مدّحه ، له الحمد كما مدح
نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم . ثم نزل فصرى .

خطبة أعرابي لفومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى ، وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبج بمثل
أن ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشيء ويحْتَبِئُه ، وقد قال الأول :
ودع ما أمت صاحبه عليه * فذم أن يلومك من تلوم
ألمنا الله وإياكم تقواه ، والعمل برضاه .

[إلى هنا ينتهي كتاب الواسطة في الخطب ، وقد ألحقت به في بعض الأصول
الخطبة الآتية للإمام عليّ كرم الله وجهه ، وقد فات الناس أن يثبتها في موضعها
من الكتاب ، تلو خطبة المأمون في الفطر ، فألحقها بالكتاب في هذا الموضع] .

جاء رجل إلى عليّ كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربنا ،
لنزداد له محبة ، وبه معرفة . فغضب عليّ كرم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة جامعة .

فاجتمع الناس إليه حتى غصر المسجد بأهله : ثم صعد المنبر وهو مُغَضَّبٌ متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

- والحمد لله الذي لا يفرُّه المنع ، ولا يُسكِّدُه الإعطاء ، بل كلُّ مُعطٍ ينقص سواء ؛ هو المنان بفرائد النعم ، وعوائد المزيد ؛ وبجوده ضمنت عياله الخالق ، ونهج سبيل الطلب للراغبين إليه ، وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه حال ، ولو وهب ما آتشت عنه معادن الجبال ، وضجكت عنه أصداف البحار ، من فلز اللجين ، وسبائك العقبان ، وشذر الدر ، وحصيد المرجان — لبعض عباده — ما أثر ذلك في ملكه ولا في جوده ولا أنفد ذلك سعة ما عنده ، فعنده من الأفضال ما لا يُنفِده مطلبٌ وسؤال ، ولا يخطر لكم على بال ؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب ، ولا يُبرمه إلحاح الملحين بالخواج وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، فما ظنكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيره ، سبحانه وبحمده .

- أيها السائل ، أعقل ما سألتني عنه ، ولا تسأل أحداً بعدى ؛ فإنني أكفيك متونة الطلب ، وشدة التعمق في المذهب ؛ وكيف يوصف الذي سألتني عنه ، وهو الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسى كرامته ، وطولٍ ولهم إليه ، وتعظيمهم جلال عزته ، وقربهم من غيب ملكوته — أن يعلموا من عله إلا ما عليهم ، وهو من ملكوت العرش بحيث هم من معرفته على ما فطروهم عليه ، فقالوا : سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . فدح الله اعترافهم بالعجز عما لم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخاً ؛ فاقصر ٢٠ على هذا ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ؛ واعلم أن الله الذي لم يحدث فيمكن فيه التغير والانتقال ، ولم يتغير في ذاته بمرور الأحوال . ولم يختلف على تعاقب الأيام والليالي — هو الذي خلق الخلق على غير مثال أمثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله : بل أرانا من ملكوت قدرته ، وعجائب

ربوبيته مما نطقت به آثار حكمته ، واضطرار الحاجة من الخلق إلى أن يفهمهم مبلغ قوته — ما دلنا بقيام الحجة له بذلك علينا على معرفته .

ولم تحط به الصفات بإدراكها إياه بالحدود متاهيا ، وما زال إذ هو الله الذي ليس كمثل شيء عن صفة المخلوقين متعاليا ، انحسرت العيون عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا ، وبالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفا ؛ وفات لعلوه عن الأشياء مواقع وهم المتوهمين ؛ وليس له مثل فيكون بالخلق مشبها ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد منزها ، وكيف يكون من لا يقدر قدره مقدراً في رويات الأوهام ، وقد ضل في إدراك كيفيته حوأس الأنام ؛ لأنه أجل من أن تحذه ألباب البشر بنظير ، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين .

ألا وإن الله ملائكة صلى الله عليهم وسلم . لو أن ملكا هبط منهم إلى الأرض لما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ؛ ومن ملائكة من سد الآفاق بجناح من من أجنحته دون سائر بدنه ؛ ومن ملائكة من السموات إلى حجزته وسائر بدنه في جرم الهواء الأسفل ، والأرضون إلى ركبته . ومن ملائكة من لو اجتمعت الإنس والجن على أن يصفوه ما وصفوه ، لبعد ما بين مفاصله ، ولحسن تركيب صورته ؛ وكيف يوصف من سبعمئة عام مقدار ما بين منكيه إلى شحمة أذنيه ؟ ومن ملائكة من لو ألقيت السفن في دموع عيفيه لحرث دهر الدهرين ؛ فأين أين بأحدكم ؟ وأين أين أن يدرك ما لا يدرك .

كِتَابُ الْمَجْنِبَةِ الثَّانِيَّةِ

فِي التَّوْقِيعَاتِ وَالْفُصُولِ وَالصُّدُورِ وَأَخْبَارِ الْكِتَابِ

فرش الكتاب

- قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الخطب وفضائلها
 لابن عبد ربه
 وذكر طواها وقصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في
 ٥ التوقيعات ، والفصول ، والصدور ، وأدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، وفضل
 الإيجاز ؛ إذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأرفع قدرًا . وأعظمه من القلوب
 موقعا ، وأقوله على اللسان عملا : ما دل بعضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ،
 وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن ثقل حروفه وتكثُر معانيه ؛ ومنه قولهم :
 ١٠ رَبِّ إِشَارَةٌ أُبْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام ، وتبلغ
 ما يقصر عنه اللسان ؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام ، كانت
 أبلغ : لحفة مؤنتها ، وقلة عملها .
- قال أبرويز لكاتبه : أجمع الكثير مما تريد من المعنى ، في القليل مما تقول .
 لأبرويز
 يحضه على الإيجاز . وينهاه عن الإكثار في كتبه ، ألا تراهم كيف طعنوا على
 الإسهاب والإكثار ، حتى كان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من الإسهاب ؛
 ١٥ قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المذهب الذي يتخال بلسانه تخال الباقر ، ويشول به
 شولان الروق .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أُنْضُكُم إِلَى الثَّرَاوُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ » يريد :
 للنبي صلى الله
 عليه وسلم
 ٢٠ أهل الإكثار والتفكير في الكلام . ولم أجد أحدا من الساف يذم الإيجاز ويقبح فيه ، ولا يعيبه ويطن عليه
- الرب والإيجاز

وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهرها من التثقيب والنطويل، كان قصر الممدود أحب إليها من مد المقصور، وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن لأن الحركة عمل والسكون راحة.

ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصار عندهم أحمَدُ في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له، وقد تومن إلى الشيء قدستغنى عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لَمَعَتْ دَالَّةٌ.

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحروري كتاباً، فنظر فيه جعفر بن يحيى جعفر وكتابه لابن مسعدة
فوقع في ظهره: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً.

١٠ وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بعلام أسود، فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه يلجأه ويمنفه، فكتب وأكثر، فاستنقل ذلك مروان، وأخذ الكتاب فوقع في أسفله: أما إنك لو علت عدداً أقل من واحد، ولو نأ شراً من أسود، لبعثت به.

١٥ وتكلم ربيعة الرأي فأكثر، وأعجبه إكثاره، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال له: ما تعدون البلاغة عنكم يا أعرابي؟ قال له: حذف الكلام، وإيجاز الصواب. قال: فما تعدون العي؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم! فكأنما ألقمه حجراً.

أول من وضع الكتابة

٢٠ أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب، آدم صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثمائة سنة؛ كتبه في الطين ثم طبخه؛ فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الفرق، وجد كل قوم كتبهم فكتبوا به، فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب.

وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط

بالقلم بعد ادم صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها ، فوضعت على لفظه ومنطقه .

إسماعيل عليه السلام

وعن عمرو بن شبة بأسانيده ، أن أول من وضع الخط العربي ، أبجد وهوز وحطى وكلين وسعفص وقرشت ؛ وهم قوم من الجيلة الآخرة ، وكانوا نزولا مع عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس .

قوم من القدماء

وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفا في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف ، وهى : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحق في حروف الجمل .

وعنه أن أول من وضع الخط : نفيس ، ونصر ، وأتيما ، وبنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقندر .

بنو إسماعيل .

وحكوا أيضا أن ثلاثة نفر من طيئ اجتمعوا ببقعة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن جدرة ؛ فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه قوم من الأنبار .

طيئ

١٥

وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنسانا ، وهم : على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد أخوه ، وأبو حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي وأبو سلية بن عبد الأسد ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وحويطب بن عبد العزى . وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجهم بن الصلت ابن مخزومة

في الإسلام

٢٠

استفتاح الكتب

للشبان إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تستفتح : باسمك اللهم ، حتى أنزلت سورة هود وفيها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ نَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ فكتب بسم الله ؛ ثم نزلت بسورة بني إسرائيل : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ آدْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ ، فكتب بسم الله الرحمن ؛ ثم نزلت بسورة النمل : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ٥ فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمرائه جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان .

وكذلك كانوا يكتبون إليه : يندمون بأنفسهم ؛ فمن كتب إليه وبدأ بنفسه أبو بكر ، والعلاء بن الحضرمي ، وغيرهما ؛ وكذلك كتب الصحابة والتابعين ؛ ثم لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك ، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس بمثل ما يكتب به بعضهم بعضا ، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإنهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع الأمر إلى رأي الوليد ، والقوم عليه إلى اليوم .

ختم الكتاب وعنوانه

١٥

سبب ذلك وأما ختم الكتاب وعنوانه فإن الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المنلس ، فلما قرأها ختمت الكتب وعنونتها ؛ وكان يؤتى بالكتاب فيقال : مَنْ عُنِيَ بِهِ ؟ فسمى عنوانا .

لحسن في عثمان وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

٢٠ ضَحُوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ ٥ يُقَطَّعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

لبعض الشعراء وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها ٥ جعلناها للذي أحببت عنوانا

لبعض المفسرين وقال أهل التفسير في قول الله تعالى : (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) : أى مختموم ؛ إذ كانت كرامة الكتاب ختمه .

تأريخ الكتاب

- سبب ذلك
- لا بد من تأريخ الكتاب ؛ لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقرب عهد الكتاب وبعده إلا بالتأريخ ، فإذا أردت أن تؤرخ كتابك فانظر إلى ماضى من الشهر وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتبت : لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا ؛ وإن كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت : بَقِيَتْ .
- وقد قال بعض الكتاب : لا تكتب إذا أرخت إلا بما مضى من الشهر ؛ لأنه معروف وما بقى منه مجهول ؛ لأنك لا تدري أيتم الشهر أم لا .
- ١٠ ولا تجعل سحابة كتابك غليظة ، إلا في كتب اليهود والسجلات التى يُحتاج إلى بقاء خواتمها وطوايعها ؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعض عماله على العراق كتابا ، وجعل سحابه غليظة ، فأمر بإشخاص الكتاب إليه ، فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع إلى عمالك ، وإن عدت إلى مثلها عدنا إلى إشخاصك لقطعها ؛ ولا تعظم الطينة جدا ، وطن كتبك بعد كتبك عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طيبت قبل ١٥ العنوان فأدب متحل .
- سحابة الكتاب وطريقة لابن طاهر

تفسير الأئمة

- فأما الأئمة فجازاه على ثلاثة وجوه : قولهم أئمة ؛ منسوب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال : رجل أئمة ؛ إذا كان من أم القرى ، قال الله تعالى : (لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) ، وأما قوله تعالى : (النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ) ، فإنما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب ، والأئمة في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ؛ لأنها أدل على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده ؟
- ٢٠

قال المأمون لأبي العلاء المنقري : بلغني أنك أُمِّي ، وأنت لا تقيم الشعر ،
وأنتك تلحن في كلامك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقني لسانى
بالشئ منه ، وأما الأُمِّيَّة وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أُمِّيًّا ،
وكان لا يُنشدُ الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني
رابعاً ، وهو الجهل ، أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة
وفيك وفي أمثالك نقیصة .

شرف الكتاب وفضاهم

فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ علم بالقلم ،
علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كراماً كاتبين ﴾ ، وقوله : ﴿ بأيدي
سفرة كرام بررة ﴾ .

وللكتاب أحكام بينة كأحكام القضاة يُعرفون بها وينسبون إليها ويتقلدون
التدبير وسياسة الملك دون غيرهم ، وبهم يقام أود الدين وأمور العالمين .

فمن اهل هذه الصناعة : على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكان مع
شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحي ، ثم أفضت
عليه الخلافة بعد الكتابة ، وعثمان بن عفان - كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا كتب
أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، يكتبان بين يديه .
في حوائجه .

وكان المغيرة بن شعبة ، والحسين بن نمير ، يكتبان ما بين الناس ، وكانا يتوبان
عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يثوث ، والعلاء بن عتبة ، يكتبان بين
النوم في قبائلهم ومياهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء .

كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم

وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز .

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ؛ وقيل إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام لحاجة ، فقال لي : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للعمل وأفضى للحاجة .

وكان معيقيب بن أبي فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم .
وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صيفي ، ابن أخي أكم بن صيفي الأسدي ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ؛ فغاب عليه أسلم ، وكان يضع عنده خاتمه ، فقال له : الزمني وأذكرني بكل شيء أنا فيه ؛ وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ؛ فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : ألق خالداً وقل له : لا تقتل ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها ، فقالت فيه امرأة ؛ وحكى أنه من قول الجن وهذا محال :

يا عجب الدهر المحزونة * تبكى على ذي شئبة شاحب
إن تسألني اليوم ما شفتي * أخبرك قتيلاً ليس بالكاذب
إن سواد العين أودى به * وجدي على حنظلة الكاتب

لما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعدا إلى العراق وكتب إليه أن

يسبغ القبائل أسباعا ، ويجعل على كل سُبُع رجلا ، فعل سعد ذلك ، وجعل السُبُع الثالث تميا وأسدًا وغطفان وهوازن . وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سِير إلى يزدجرد يدعوهُ إلى الإسلام .

وكان الحصين بن نمير من بني عبيد مناة شهيد يعة الرضوان ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سهيل بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا . فكتب علي بن أبي طالب .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، حين صالح قريشا ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب له ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وقال : إن محمداً يكتب بما شئت ! فسمع ذلك رجل من الأنصار ، خلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنه ضربا بالسيف ؛ فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان — وكان بينهما رَضاع — فقال : يا رسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا . فأعرض عنه ، والأنصاري مُطيف به وبعه سيفه ، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصاري : لقد تلَوَّمتُك أن توفيَ بنذرك ! فقال : هلا أوَمَّضْتُ إلى ! فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لي أن أوَمِّض .

أيام أبي بكر رضي الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت . وروى أن عبد الله بن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضا . ولما تقلد الخلافة دعا يزيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا تهملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى : فتبج القرآن فاجعه وفيه يقول حسان بن ثابت :

فَمَنْ لِلْقَوَائِي بَعْدَ حَسَّانَ رَأَيْتَهُ . وَمَنْ لِلثَّانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن أرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعى — أبو طلحة الطلحات — على ديوان البصرة .
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبرة بن الضحاك ، فلم يزل عليه إلى أن
ولى عُبيد الله بن زياد ، فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى .

٥

أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم ، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له
على ديوان المدينة ، وأبو حبرة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على
بيت المال ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى همدان ، من
قيس بن عيلان — يكتب له أيضا ، وكان يكتب له أهيب مولاة ، وحران مولاة .

١٠

أيام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني ، ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير ؛
وكان عبد الله بن جعفر يكتب له ؛ وروى أن عبد الله بن حسن كتب له ؛ وكان
عبد الله بن أبي رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .

١٥

[أيام بنى أمية]

وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان : سعيد بن أنس الغساني .
وكتب يزيد بن معاوية : سرجون بن منصور .
وكتب مروان بن الحكم : حميد بن عبد الرحمن بن عوف .
وكتب عبد الملك بن مروان : سالم مولاة ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ،
وهو عبد الحميد الأكبر .
وكتب الوليد بن عبد الملك : جناح مولاة .

كتاب بنى أمية

٢٠

وكاتب سليمان بن عبد الملك : عبد الحميد الأصغر .
 وكاتبه عمر بن عبد العزيز : الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم ؛ وكتب له
 رجاء بن حيوة وخص به ؛ وإسماعيل بن أبي حكم مولى الزبير ؛ وسليمان بن سعد
 الحسنى على ديوان الخراج . وكان عمر يكتب كثيراً بيده .
 ٥ وكاتب يزيد بن عبد الملك : عبد الحميد أيضاً ، ثم لم يزل كاتباً لبني أمية إلى
 أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية ؛ وكان عبد الحميد أول من فتق أحكام
 البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

- فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر : أبا أيوب المورياني الأهوازي . كتاب بني العباس
 ١٠ وكاتب محمد المهدي بن المنصور : معاوية بن عبيد الله ، ثم يعقوب بن داود .
 وكاتب موسى الهادي بن محمد المهدي : إبراهيم بن ذكوان الحراني .
 وكاتب هارون الرشيد محمد المهدي : يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن
 الربيع ، ثم إبراهيم بن صبيح .
 وكاتب محمد - بن زيدة - الأمين : الفضل بن الربيع .
 ١٥ وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد : الفضل بن سهل ، ثم الحسن
 ابن سهل ، ثم عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف .
 وكاتب أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة :
 الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .
 وكاتب الواثق هارون بن محمد المعتصم : محمد بن الملك الزيات أيضاً .
 ٢٠ وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم : إبراهيم بن العباس بن صول ، مولى
 لبني العباس .
 وكاتب المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، ابن المتوكل : أحمد بن الخصيب .
 ثم كتب للمستعين : أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعيّه ما أسخطه عليه ،

ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط عليهما فقتلهما واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ، ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل .

٥

وكاتب المهدي محمد بن الواثق : جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب .

واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ؛ وكان سبب موته أنه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق ، فحمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات .

١٠

وتقلد الوزارة للمعتضد : أحمد بن طلحة .

وللوفيق بن جعفر المتوكل : عبيد الله بن سليمان بن وهب .

وتقلد الوزارة للكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله : القاسم بن عبيد الله

ابن سليمان .

وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله : علي بن محمد بن الفرات ،

١٥

ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ثم حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مقلة ، الذي يوصف خطه بالجودة ؛ ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم عبد الله بن أحمد الكلوذاني ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعبد الدولة ، وكان يكتب على كنبه : « من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة » وذكر لقبه على الدناير والدراهم ؛ ثم الفضل بن جعفر

٢٠

ابن محمد بن الفرات .

وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد : محمد بن علي بن مقلة

ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني .

وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر : محمد بن

على بن مقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير على بن عيسى ، ثم محمد
ابن القاسم الكرخي ؛ ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم محمد بن يحيى
ابن شيرزاد .

وتقلد الوزارة للمتقى بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر ؛ كاتبه أحمد بن محمد
ابن الأفطس ، ثم أبو إسحق القراربطى ، ثم على بن محمد بن مقلة .

وتقلد الوزارة للمستكنى بالله أبى القاسم عبد الله بن على المكنى بالله : الحسين
ابن محمد بن أبى سليمان ، ثم محمد بن على السامرى المكنى أبا الفرج ؛ ثم ولى
للمطيع بالله الفضل بن المقتدر ، فوزر له الحسن بن هارون .

أسماء من كتب لغير الخليفة

١٠ كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبى موسى الأشعرى .

وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضياً
بعد ذلك .

وكان الحسن بن أبى الحسن البصرى — مع تلبه وفقهه وورعه وزهده —
كاتباً للربيع بن زياد الحارثى بخراسان ، ثم ولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز
١٥ ف قيل له : مَنْ وآيت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وليت سيدَ التابعين الحسن بن أبى
الحسن البصرى .

وكان محمد بن سيرين — مع علمه وورعه — كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان زياد بن أبيه — مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية فى ادعائه — يكتب
للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم
٢٠ لأبى موسى الأشعرى : فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع
إليه حسابه ، فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى فيه من الذكاء ، وقال له :
لا ترجع لأبى موسى . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعنّ خيانةً صرفتني أم عن تقصير ؟
قال : لا عن واحدة منهما ، ولكنى أكره أن أحمل فضلَ عتاك على الرعية !

ثم وليَ بعد الكتابة العراقَ .

وكان عامر الشعبي — مع فقهاء وعلمه ونبله — كاتباً لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ، ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة .

• وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .

وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر بن عثمان ، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنهما .

• وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها .

وكان يزيد بن عبد الله بن زُمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

أشراف الكتاب

١٥

كُتُبُ النبي صلى الله عليه وسلم

كتب له عشرة كُتُب : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، ولَدَا سعيد ابن العاص ؛ وعمر بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء ابن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ولم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

من أشراف
الكتاب

وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر ، ثم صار خليفة .

وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ، ثم صار خليفة .

وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتباً على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها .

٥ وكان المغيرة بن شعبه كاتباً لأبي موسى الأشعري .

وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان .

وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلاً .

وكان زياد كاتباً للمغيرة بن شعبه ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن عباس . ١٠

وكان عامر الشعبي كاتباً لعبد الله بن مطيع ، وهو والي الكوفة لعبد الله ابن الزبير .

وكان محمد بن سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .

وكان عبد الرحمن بن أبزي كاتباً نافع بن الحارث الخزاعي ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . ١٥

وكان عبيد الله بن أوس النخعي سيد أهل الشام كاتباً معاوية .

وكان سعيد بن نمران الهمداني سيد همدان كاتباً على بن أبي طالب ، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة . ٢٠

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك .

وكان يزيد بن عبد الله بن زهرة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى

على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية ؛ وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبّل بالكتابة وكان قبل خاملا

- لبعضهم
- سرجون بن منصور الرومي : كتب لمعاوية ، ويزيد ابنه ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ؛ إلى أن أسره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ، ورأى منه عبد الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون يُدَلُّ علينا بصناعته ، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابه ، فما عندك فيه حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحولتُ الحساب من الرومية إلى العربية . قال : افعل ، قال : أنظرني أعاني ذلك . قال : لك نظرة ماشئت . فحول الديوان ، فولاه عبد الملك جميع ذلك .

- وحسان النبطي كاتب الحجاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبله بن عبد الرحمن ، وقحظم ، جد الوليد بن هشام الفحذي ؛ وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية .
- وممنهم الفراء ، كاتب خالد بن عبد الله القسري .

- وممنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وأبو محمد عبد الله بن المقفع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو عبد السلام الجندبسي ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس الصولي ، ونجاح بن سلة ، وأحمد بن محمد بن المدبر ؛ فهؤلاء نبّلوا بالكتابة واستحقوا اسمها .

من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور كاتب الأفشين ، والفضل بن مروان ،

وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وأحمد بن الحصب ؛
فهؤلاء لطنخوا أنفسهم بالكتابة ومادانوها .

لبعض الشعراء
في ابن شيرزاد

وقال بعض الشعراء في صالح بن شيرزاد :

حِجَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا • كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ

فَدَعَّ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا • وَلَوْ غَرَقْتَ ثَوْبَكَ فِي الْمِدَادِ

لأبو أيوب فرثاء
أم سليمان

ومنهم أبو أيوب بن أخت أبي الوزير . وهو القائل يرثي أم سليمان بن

وهب الكاتب :

لَا مَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْنَا مُصِيبَةً • مُفَاقَّةً مِثْلُ الْحَسَامِ الْبَوَاتِرِ

وَكُنْتُ سِرَاجَ الْبَيْتِ يَا أُمَّ سَالِمٍ • فَأَضْحَى سِرَاجُ الْبَيْتِ وَشَطَطُ الْمَقَارِ

فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بي : ماتت أمي

فرثيت بمثل هذا الشعر ، ونقل اسمي من سليمان إلى سالم .

صفة الكتاب

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصغر

الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، صدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة

الشمايل ، وحسن الإشارة ، وملاحة الرئي ؛ حتى قال بعض المهالبة لولده : تَزَيَّوْا

بِزَيِّ الْكِتَابِ ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ .

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكتابة ، أن يكون الكاتب

نَقِيَّ الْمَلْبَسِ ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ ، ظَاهِرَ الْمُرُوءَةِ ، عَطِرَ الرَّائِحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ،

صَادِقَ الْحَسِّ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَائِشِ اللِّسَانِ ، حَلَوَ الْإِشَارَةِ ، مَلِيعَ

الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستغز التركيب ، ولا يكون مع ذلك فَضْفَاضَ الْجِلَّةِ ،

متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أَنَّ هذه الصورة

لا يليق بصاحبها الذكاء والنفطنة .

لابن حميد

وأشد سعيد بن حميد في إبراهيم بن العباس .

رَأَيْتُ لَهَا زِمَ الْكِتَابِ خَفْتُ ۝ وَلَهْزِمَتَاكِ شَأْنُهُمَا الْقِدَامَةَ
وَكِتَابَ الْمُلُوكِ لَمْ يَأْنِ ۝ كَيْشَلُ الدُّرِّ قَدْ رَصَفُوا نِظَامَهُ
وَأَنْتِ إِذَا نَطَقْتَ كَأَنَّ عَيْرًا ۝ يَلُوكُ بِمَا يَفْوُهُ بِهِ لِجَامَهُ

لبعض الشعراء وقال آخر :

عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَبِيقٍ رَشِيقٍ ۝ زَكِيٍّ فِي شِمَائِلِهِ جِدَارَةٍ
تُتَنَاجِيهِ بِطَرَفِكَ مِنْ بَعِيدٍ ۝ فَيَفْهَمُ رُجْعَ لِحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ

ولابن الحصيب : ونظر أحمد بن الحصيب إلى رجل من الكتاب فَنَمَّ المنظر ، مضطرب الخلق ، طويل العُتُون ؛ فقال : لَأَنْ يَكُونَ هَذَا فَنطاس مَرَكَبٍ ، أَشْبَهَ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا .

فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والأديب النحرير ؛ وإن قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعدت به أداة من هذه الأدوات ، فهو منقوص الجمال ، مُنْكَسِفُ الْحُسْنِ ، منحوس النصيب .

ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه

قال إبراهيم الشيباني : أَوَّلُ ذَلِكَ حَسَنُ الْخَطِّ ، الَّذِي هُوَ لِسَانُ الْيَدِ ، وَبَهْجَةُ الضَّمِيرِ ، وَسَفِيرُ الْعُقُولِ ، وَوَحْيُ الْفِكْرَةِ ، وَسِلَاحُ الْمَعْرِقَةِ ، وَأَنْسُ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْفِرْقَةِ ، وَمَحَادِثُهُمْ عَلَى بَعْدِ الْمَسَاقَةِ ، وَمُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ، وَدِيْوَانُ الْأُمُورِ .

الشيباني

ولست أجِدُ لِحَسَنِ الْخَطِّ حَدًّا أَقْفَ عَلَيْهِ ، أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ رَبِّعٍ النَّصْرَانِيَّ الْكَاتِبِ فِي الْكَاتِبِ ، فَإِنِّي سَأَلْتُهُ وَاسْتَوْصَفْتُهُ الْخَطَّ ، فَقَالَ . أَعْلَيْكَ الْخَطُّ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : تَفْضُلُ بِذَلِكَ . فَقَالَ : لَا تَكْتُبُ حَرْفًا حَتَّى تَسْتَغْرِغَ بِمُجْهَدِكَ فِي كِتَابَةِ الْحَرْفِ ، وَتَجْعَلَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ لَا تَكْتُبُ غَيْرَهُ حَتَّى تَعْجِزَ عَنْهُ ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى مَا بَعْدَهُ .

وإياك والنقط والشكل في كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المعضل الذي

تعلم أن المكتوب إليه يُعْجَز عن استخراجِه : فأني سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول : لأن يُشَكِّل الحرف على القارئ أحب إلى من أن يعاب الكتاب بالشكل .

وكان المأمون يقول : إياكم والشويز في كتبكم . يعني النقط والإعجام .

ومن ذلك : أن يُصلح الكاتب آله التي لا بد منها ، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها ، مثل دواته ، فليُنِّع رُبها وإصلاحها ، وليتخير من أنابيب القصب أقله عقداً ، وأكثفه لحماً ، وأصلبه قشراً ، وأعدله استواءً ؛ ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ؛ لتسكون عونا له على برِّي أقلامه ، ويربها من ناحية نبات القصبه ؛ واعلم أن عمل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس .

١٠ قال العنابي : سألت الأصمعي يوماً في دار الرشيد : أي الأنابيب للكتابة أصلح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما شئت بالهجير ماؤه ، وسره عن تلويحه غشاؤه ، من التبرية القشور ، الدرية الظهور : الفضية الكسور . قال : فأى نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنها قرنة تؤمن معها المجة عند المذة والمطة ، للهواء في شقها فتبق ، والريح في جوفها تحرق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العنابي : فبقي الأصمعي باهتاً إلى ضاحكا لا يحير مسألة ولا جواباً .

من صفات
الكاتب
ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره .
وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الآيات ما دل أول البيت على قافيته ؛ فلا تطيلن صدر كتابك إطالة تخرجه عن حذو ، ولا تقصر به دون حذو ؛ فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

وقيل للشعبي : أي شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة ، تجزأت في أبدان متفرقة .
فأما الكاتب المستحق أسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا

حاول صيغة كتاب ، سالت عن قلبه عيون الكلام من بنايعها ، وظهرت معاذنها
وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب .

- بلغنى أن صديقا لكتنوم العتاني أتاه يوما فقال له : اصنع لى رسالة . فاستمد
مدة ثم علق القلم ؛ فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك . فقال له
العتاني : إني لما تناولت القلم تداعت على المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك
كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ؛ ثم أجتنى لك أحسنها .

بين العتاني
وصديق له

- قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يمل على
كاتب له ؛ فأعجل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن
تقييد إملائه ؛ فقال له : اكتب يا حمار ! فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ،
إنه لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كل
القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ
من بلاغة يزيد .

بين يزيد
وكاتب له

وقال له يوما وقد مَطَّ حرفا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان

في القلم .

- فإن كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة ، فنصفح من رسائل المتقدمين
ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ،
ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به متطققك ، وبطول به قلبك ؛
وأنظر في كتب المقامات والخطب ، ومجاوبة العرب ، ومعالي العجم ، وحدود المنطق
وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ، ووقائعهم ، ومكائدهم في حروبهم
بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب ، والوثائق والسور ، وكتب السجلات
والآمانات ؛ لتكون ماهرا ، تنزع آى القرآن في مواضعها ؛ واختلاف الأمثال
في أماكنها ؛ وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ؛ فإن تضمين المثل السائر ،
والبيت الغابر البارع ، مما يزين كتابك ، مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر

ما يحتاج إليه
الكاتب

فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض
للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد في أهليته .

خبر حائك الكلام

- أبو جعفر البغدادي قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : لما رجع المعتصم من
الثغر وصار بناحية الرقة ، قال لعمر بن مسعدة : ما زلت تسألني في الرُّخْبِيَّ
حتى ولبته الأهواز ، ففعد في سرّة الدنيا يأكلها خضما وقضما ، ولم يوجه إلينا
بدرهم واحد ؛ أخرج إليه من ساعتك . فقلت في نفسي : أبعد الوزارة أصير
مستعينا على عامل خراج ؟ ولكن لم أجد بهذا من طاعة أمير المؤمنين ، فقلت :
أخرج إليه يا أمير المؤمنين . فقال : أحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا .
١٠ فخلفت له ، ثم انحدرت إلى بغداد ، فأمرت ففرش لي زورق بالطبري وغشي
بالسُّلخ ، وطرح عليه الكرز ، ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هزقل ودير
العاقول ، إذا رجل يصيح : ياملاح ، رجل منقطع ! فقلت الللاح : قرب إلى
السط . فقال : ياسيدي ، هذا شحاذ ، فإن قعد معك آذاك . فلم ألفت إلى قوله ،
وأمرت الغلمان فأدخلوه ، ففعد في كوئل الزورق ، فلما حضر وقت الغذاء عزمت
١٥ أن أدعوه إلى طعامي ، فدعوته ، فجعل يأكل أكل جائع بنهامة ، إلا أنه نظيف
الآكل ؛ فلما رفع الطعام ، أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص :
أن يقوم فيغسل يده في ناحية ؛ فلم يفعل ، فغمزه الغلمان ، فلم يغم فشاغلت عنه
ثم قلت : يا هذا ما صناعتك ؟ قال : حائك ! فقلت في نفسي : هذه شر من
الأولى . فقال لي : جعلت فداك ، قد سألتني عن صناعتى فأخبرتكَ ، فما صناعتُكَ
٢٠ أنت ؟ قال : فقلت في نفسي : هذه أعظم من الأولى ، وكرهت أن أذكر له الوزارة
فقلت : أقصر له على الكتابة ؛ فقلت : كاتب .

قال : جعلت فداك ، الكتاب على خمسة أصناف : فكانت رسائل يحتاج
إلى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهاني والتعازي والترغيب والترهيب

والمقصود والمدود وجلا من العرية ؛ وكاتب خراج ، يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والأشغال والطسوق والتقسيط والحساب ؛ وكاتب جند ، يحتاج أن يعرف مع الحساب الإطعام وشيات الدواب وحلى الناس ؛ وكاتب قاض ، يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛ وكاتب شرطة ، يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقوبات والديات ؛ فأيهم أنت أعزك الله ؟

قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني ، إذا كان لك صديق تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، وتزوجت أمه ، فكيف تكتب له : أتهنيه أم تهزبه ؟

قلت : والله ما أقف على ما تقول . ١٠

قال : فلست بكاتب رسائل ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج .

قال : فما تقول - أصلحك الله - وقد ولاك السلطان عملا فبثت عمالك فيه فجاءك قومٌ يتظلمون من بعض عمالك ؛ فأردت أن تنظر في أمورهم وتنصفهم ؛ إذ كنت تحب العدل والبر ، وتؤثر حسن الأعدوة وطيب الذكر ، وكان لأحدهم قراح كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أضرب العطوف في العمود وأنظر ١٥ كم مقدار ذلك .

قال : إذا تظلم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة .

قال : إذا تظلم السلطان . قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب جند . قال : فما تقول في رجلين ، اسم كل واحد منهما أحد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟ ٢٠

قال : كنت أكتب : أحد الأعم ، وأحد الأعم . قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم ، فقبض هذا على دعوة هذا ،

فتظلم صاحب الألف . قلت : والله ما أدرى . قال : فليست بكاتب جند :
فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول - أصلحك الله - في رجل توفي
وخلف زوجة وسريّة . وكان للزوجة بنت والسريّة ابن ، فلما كان في تلك الليلة
أخذت الحرة ابن السريّة فاذعته وجعلت ابنتها مكانه ، فتنازعتا فيه ، فقالت هذه :
هذا ابني . وقالت هذه : هذا ابني . كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟

قلت : والله لست أدرى ! قال : فليست بكاتب قاض ، فأيهما أنت ؟
قلت : كاتب شرطة . قال فما تقول - أصلحك الله - في رجل وثب على رجل
فشجّه شجرة مَوْضِحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجرة مأومة ؟ قلت ما أعلم . ثم
قلت : أصلحك الله ، ففسّر لي ما ذكرت . قال : أما الذي تزوجت أمه ، فتكتب
إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجري بغير محابّ المخلوقين ، والله يختار للعباد ،
نغار الله لك في قبضها إليه ، فإن القبر أكرم لها والسلام .

وأما القراح ، فتضرب واحدا في مساحة العطوف ، فإنّ ثمّ بابه .
وأما أحمد وأحمد ، فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا : أحمد الأعلم ؛ والمقطوع
الشفة السفلى : أحمد الأشرم .

وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان [لبّها] أخفّ فهي
صاحبة البنت .

وأما الشجرة ، فإن في الموضحة خمسا من الإبل ، وفي المأومة ثلاثا وثلاثين
وثلاثا ، فيرد صاحب المأومة ثمانية وعشرين وثلاثا .

قلت : أصلحك الله ، فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لي كان عاملا على
ناعية ، فخرجت إليه فألفيته معزولا ، فقطع بي ، فلأنا خارج أضطرب في المعاش .
قلت : أليست ذكرت أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ، وليست بحائك الثياب .
قال : فدعوت المزين فأخذ من شعره . وأدخل الحمام فطرح عليه شيئا من

ثياني ، فلما صرت إلى الأهواز ، كلمت الرُّخَّجِيَّ ، فأعطاه خمسة آلاف درهم .
 ورجع معي ، فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خبرك في طريقك ؟
 فأخبرته خبري ، حتى حدثته حديث الرجل ، فقال لي : هذا لا يُستغنى عنه ، فلا شيء يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين البناء والمرمة ؛ فكنت والله ألقاه في الموكب النبيل ، فينحط عن دابته ، فأحلف عليه فيقول : سبحان الله ! إنما هذه نعمتك وبك أفدتُها .

فضائل الكتابة

- للجاحظ قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيت قوماً أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء الكتاب ؛ فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً .
- لبعض المهالبة وقال بعض المهالبة لبنيه ، تزَيُّوا بزي الكتاب فإنهم جمعوا أدبَ الملوك وتواضعَ السُّوقَة .
- للمنصور وقوم وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فأمر بحبسهم ؛ فرفعوا إليه رقعة ليس فيها إلا هذا البيت :
- ونحن الكاتِبُونَ وقد أسأنا هـ فهَبْنَا للكرام الكاتِبِينَ
- ١٥ فعفا عنهم وأمر بتخليه سبيلهم .
- للدؤيد وقال المؤيد : كتاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة ؛ والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهي صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة .
- لسهل بن هارون وقال سهل بن هارون : الكتابة أول زينة الدنيا ، التي إليها يتناهى الفضل ،
- ٢٠ وعندها تقف الرغبة .

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

- لثياني قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك ، والوزراء ، والعلماء ، والكتاب . والمطباء ، والأدباء ، والشعراء ، وأوساط الناس وسُوقتهم ؛

مخاطب كلا على قدر أبهته وجلاله ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته ؛ واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام : منها الطبقات العلية أربع ، والطبقات الأخر وهى دونها أربع . ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها .

٥ فالحذ الأول الطبقات العليا ، وغايتها القصوى الخلافة ، التى أجل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير .

والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها ، الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتقون الفتوق بآرائهم .

١٠ الطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقواد جنودهم ؛ فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه وحظه ، وغنائه وجزائه ، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم ، وجللائل أعمالهم .

والرابعة القضاة ؛ فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء .

١٥ وأما الطبقات الأربع الأخر ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم فى الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها .

والثانية وزراؤهم وكتابهم وأتباعهم ، الذين تُقرع أبوابهم ، وبعناياتهم تستباح أموالهم .

والثالثة هم العلماء ، الذين يجب توقيرهم فى الكتب بشرف العلم ، وعلو درجة أهلهم .

٢٠ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والحلاوة والطلاوة ، والظرف والآدب ، فإنهم يضطرونك بمجدة أذهانهم ، وشدة تميزهم وانتقاهم ، وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم .

واستغنيانا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار ، باستغنائهم بمهنتهم عن هذه

الآلات ، واشتغالهم بمهنتهم عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبك ، وتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه ؛ فلا تعتمد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً لا نقا بمن كاتبته ، ومُلامساً لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى — وإن صحَّ وشرف — لفظاً متخلفاً عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عادته ، تهجين للمعنى وإخلال بقدره . وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص ما يجب له ؛ كما أن في اتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً لمُذرم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم .

فمن الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلاً ، وعمرَك ملياً . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاءك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلاً ؛ ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدراً في المخاطبة ؛ كما أنهم جعلوا : أكرمك الله وأبقاك ، أحسن منزلاً في كتب الفضلاء والأدباء ، من : جُعِلْتُ فداك ، على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداء من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداء من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : أرم فداك أبي وأمي ، لكرهنا أن يكتب بها أحد ؛ على أن كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هُجْراً في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قام محمود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سَرَّ مَنْ رَأَى مِنَ النَّاسِ * سَ وَمَنْ قَدْ يُدْخِلُ الْأَمْلَاكَ

لو رأى الكلب مائلاً بطريق • قال للكلب : يا جُعِلْتُ فداك !

وكذلك لم يجوزوا أن يكتبوا بمثل : أبقاك الله ، وأمتع بك ؛ إلا في الابن .

والخادم المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذموم مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحَلَّتْ عَمَّا عَاهَدْتَ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلَتْ مُلْكًا فَتَهَتْ فِي كُتُبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ الْإِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعَ بِكَ ؟
أَتَعَبْتَ كَفَّيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي * حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ فِي تَعَبِكَ
فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كَيْفَ أُخَوِّنُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ
أُنَكَّرْتُ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ * وَلَنْ تَرَاهُ يُحِطُّ فِي كُتُبِكَ
إِنَّ يَكُ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي * فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
فَاعْفُ قَدَّتْكَ النُّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ * يَعْيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزن ، ينبغي للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام في قوله :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ * مَذِيقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجَّلُوا قدر الملوك أن يُمدِّحُوا بما تَمْدَحُ به العوام ؛ لأنَّ صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح ، فهو واجبٌ على العامة ، والملوك لا يمدِّحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إِنَّكَ لَا تَزْنِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَخُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ ، وَإِنَّكَ لَتَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ وَتَتَى بِعَهْدِكَ ؛ فَكَأَنَّهُ قَدْ أَتَى بِمَا يَجِبُ ؛ وَلَوْ قَصِدَ بِنَائِهِ إِلَى مَقْصَدِهِ كَانَ أَشْبَهَ فِي الْمُلُوكِ .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ؛ غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا في الخلفاء خاصة .

ونحن نعلم أن الكَيْس هو العقل، ولكن لو وصفت رجلاً فقلت : إنه لعاقِل
كنتَ مدحته عند الناس ، وإن قلت : إنه لكَيْس كنت قد قصّرت به عن وصفه،
وصفّرت من قدره ، إلا عند أهل العلم بالآفة : لأن العامة لا تلتفت إلى معنى
الكلمة . ولكن إلى ما جرت به العادة من استعمالها في الظاهر ؛ إذ كان استعمال
العامة لهذه الكلمة مع الخدائة والغرة وخساسة القدر وصغر السن .
وقد روينا عن علي كرم الله وجهه أنه تسمى بالكَيْس حين بنى سجن الكوفة ،
فقال في ذلك :

أَمَا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّسًا * بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيِّسًا
حَصِينًا حَصِينًا وَأَمِيرًا كَيْسًا

وقال الشاعر :

* مَا يَصْنَعُ الْآحَقُّ الْمَرْذُوقُ بِالْكَيْسِ *

وكذلك تعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء .
كذلك روينا عن ابن عباس .

وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يُكَلِّبِي ويقول في تليته : لَبَّيْكَ يَا
المعارج . فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذا كما نلبي على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

وكان أبو إبراهيم المزني يقول في بعض ما خطب به داود بن خلف الأصهباني :
« فَإِنْ قَالَ كَذَا فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْمِلَّةِ وَالْحَدِّ اللَّهُ » فقص ذلك عليه داود ، وقال فيما
ردّ عليه : نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ نُخْرِجَ أَمْرًا مُسْلِمًا مِنَ الْإِسْلَامِ ؟ وهذا موضع
استرجاع ، والحمد مكانٌ يليق به ، وإنما يقال في المصيبة : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ﴾ .

فأمثل هذه المذاهب ، وآجر على هذه القواعد ، وتَحَفُّظُ في صدور كتبك
وفصولها [وافتاحها] وخواتمها وَضَعُ كُلِّ مَعْنَى فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ ، وَتَحْيِيرُ لِكُلِّ
لَفْظَةٍ مَعْنَى يَشَاكِلُهَا ، وَلَيْسَ مَا تَحْتَمُّ بِهِ فُصُولُكَ فِي مَوْضِعِ ذِكْرِ الْبُلُوْى بِمَثَل :

نسأل الله دفع المخدور ، وصرف المكروه ؛ وأشبه هذا ؛ وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً ،
والشكر لله واجبا ، [وما يشاكل ذلك] ؛ فإن هذه المواضع يجب على الكاتب
أن يتفقدتها ويتحفظ فيها ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في
موضعه ، ويعلق كل لفظة على طبقها من المعنى .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار
والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص ؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما]
خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه — جل ثناؤه — أمره ونهيه ومراده ؛
والرسائل إنما يخاطب بها أقوام دخلوا على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب .
وكذلك ينبغي للكاتب أن يجنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن
ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ
الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ، وكفوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، احتاج الكاتب
أن يبين معناه : اسأل أهل القرية وأهل العير ، وبلى مكركم بالليل والنهار ، ومثل
هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المشورة ما يجوز في الأشعار
الموزونة ؛ لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك
أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ؛ واغتنموا
فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ؛
وذلك كله غير سائغ في الرسائل ، ولا جائز في الملاحظات ، فمما أجيء في الشعر
من الحذف مثل قول الشاعر :

• قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَا •

يعنى الحمام ؛ وقول الآخر :

• صَفَرُ الْوِشَاحَيْنِ صُمُوتُ الْخُلُخُلِ •

يريد الخلل ؛ وكقول الآخر :

• دَارٌ لِسَلْسَى إِذِهِ مِنْ هَوَاكَ •

يريد إذهي ؛ وكقول الخطيئة :

فِيهَا الرَّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِقَةٍ • جَدَلَاءُ مَسْرُودَةٍ مِنْ نَسِجِ سَلَامٍ

يريد سليمان ؛ وقول الآخر :

مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ • وَالشَّيْخُ عُثْمَانُ أَبِي عَفَانٍ

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وَسَائِلُهُ بِثَعْلَبَةِ بْنِ سَيَّارٍ • وَقَدْ عَلِقَتْ بِثَعْلَبَةِ الْعَلَوُقِ

وأراد ثعلبة بن سيار ؛ وكما قال الآخر :

وَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ • وَلَاكَ أَشَقِيَّ إِن كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ

أراد ولكن .

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصَغَّرَ الاسمُ في موضع التعظيم ، وإن كان

ذلك جائزاً ، مثل قولهم : « دويهة » ، « تصغير داهية » ، « وجذيل » ، « تصغير جذل » ،

« وعديق » ، « تصغير عذق » . وقال الشاعر ، وهو ليبي :

وَكُلُّ أَنَاثٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ • دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة : أَنَا عَذْيَقُهَا الْمُرْجَبُ ، وَجُذَيْلُهَا

الْمُحَكَّكُ ، وقد شرحه أبو عبيد .

وعما لا يجوز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كلت إياك ،

وأعنى إياك ، وهو جائز في الشعر :

وَأَحْسِنُ وَأَجْهَلُ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ • ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْمُرْ كَأَيَّاكَ آمِرُ

وقال الراجز :

• إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ •

فتخير من الألفاظ أرجحها لفظاً وأجزلها معنى ، وأشرفها جرهماً وأكرمها

حسباً ، وأليقها في مكانها ، وأشكلها في موضعها ؛ فإن حاولت صنعة رسالة

فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرَضت ، وعابر الكلمة بمعيارها
 إذا سَنَعَتْ ؛ فإنه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : أنا
 فاعل ، أحسن من أن تكتب : أنا أفل ، وموضع آخر ؛ يكون فيه : استفعلت ،
 أحلى من : فعلت ؛ فأدير الكلام على أماكِنِه ، وقلبه على جميع وجوهه ؛ فأى
 لفظة رأيها أخف في المكان الذى نديتها إليه ، وأنزع إلى الموضع الذى راودتها
 عليه فأوقعها فيه ؛ ولا تجعل اللفظة قَلَقَةً في موضعها ، نافرة عن مكانها ؛ فإنك
 متى فعلت [ذلك] هُجِنت الموضع الذى حاولت تحسينه ، وأفسدت المكان الذى
 أردت إصلاحه ؛ فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصْدك بها إلى غير
 مُصَابِها ، إنما هو كترقيق الثوب الذى لم تتشابه رقاعه ، ولم تتقارب أجزاءه ،
 ١٠ خرج عن حد الجودة وتغير حسنه ، كما قال الشاعر :

إِنْ الْجَدِيدَ إِذَا مَازَيْدَ فِي خَلْقِهِ • تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوبَ مَرْقُوعٌ

كذلك كلما أحلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه ، كان أسهل ولوجاً
 فى الأسماع ، وأشد اتصالاً بالقلوب ، وأخف على الأفواه ؛ لاسيما إن كان المعنى
 البديع مترجماً بلفظ موق شريف ومُعَارِياً بكلام عذب لم يَسِمِهُ التكلف بميسمه
 ١٤ ولم يفسده التعقيد باستغلافه .

وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبى الحسن ، وزور كلامه وجاوز المقدار فى
 التنطع ؛ فوقع فى أسفل كتابه :

أَتَى يَكُونُ بَلِيغاً • مَنْ اسْمُهُ كَانَ عِيَا
 وَثَالِكُ الْحَرْفِ مِنْهُ • أَذْ كُفَيْتَ مُسِيَا

٢٠ قال : وبلغنى أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة ، فخرج
 عنه ومر باب الطاق ، فإذا بطير يدعى الشفانين ، فاشتراه وبعت به إليه ، وكتب
 كتاباً ينتطع فى بلاغته ، وذكر : إنه يقال له شفانين ، أرجو أن يكون شفاء من
 أنين ! فوقع فى أسفل الكتاب : والله لو عطست ضباً ما كنت عندنا إلا نبطياً ،
 فأقصر عن تنطعك وسهل كلامك .

قوله : لو عطست ضباً ، يريد : أن الضباب من طعام الأعراب وفي
بلدهم يقال : لو عطست فثرت ضباً من عطاسك ، لم تلحق بالأعراب ولم
تكن إلا نبطيا .. وقد جاء في بعض الحديث : أن القط من نثرة عطسة
الأسد ، وأن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ؛ فقال هذا : لو أن الضب من ثرتك
لم تكن إلا نبطيا .

٥

وفي هذا المعنى قال مخلد الموصلي يهجو حبيبا :

مخلد يهجو حبيبا

أنت عندي عربي ٥ ليس في ذاك كلام
شعرُ ساقيك وفنخ ٥ ذيك مخزأى وممام
وقدنى عينيك صمغ ٥ وتواصيك نعام
وضلوع الصدر من شد ٥ وك نبع وبشام
لو تحركت كذا لاذ ٥ جفلت منك نعام
وظباء راتعات ٥ ويرايسع عظام
وحمام يتغنى ٥ حبذا ذاك الحمام
أنا ما ذنبى لأن ٥ كذبنى فيك الأمام ؟
وفتى يخلف ما إن ٥ عرقت فيه الكرام
ثم قالوا جاسمى ٥ من نبي الأنباط حام
كذبوا ما أنت إلا ٥ عربى والسلام !

١٠

١٥

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ؛
وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة
واضحة ، ولا النظام متسقا ، وتضائل المعنى الحسن تحت المعنى القبيح ، كتناسول
الحسنة في الأطنار الرثة .

٢٠

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعقد ، وخط ؛
وقد ذكر له أرسطاطاليس صفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذى يسمى

النَّصِيَّةُ ، والنَّصِيَّةُ الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليك بغير يد ؛ وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني وسافرة عن وجوهها .

٥ وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف صنفان : هما القلم واللسان ، وكلاهما للقلب تَرْجُمان ؛ فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام ، إلى حد الإنسانيَّة بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان ، الحيُّ الناطق .

وقال هشام بن عبد الملك : إنَّ الله رفع درجةَ اللسان فأنطقه بين الجوارح . لهشام

١٠ وقال علي بن عبيدة : إنما بين عن الإنسان ، اللسان وعن المودة العيان .

وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . لبعضهم

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

وما المرء إلا الأصغران : لسانه . ومعقوله ، والجسمُ خلقٌ مصوَّرُ

١٥ فَإِنْ طُرَّةٌ رَاقَتْكَ يَوْمًا فَرُبَّمَا . يَمِزُ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة . ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه يقوم مقامه في الإيضاح عند المشهد ويفضله عند المغيب ؛ لأنَّ الكتب تقرأ في الأماكن المتباعدة ، والبلدان المتفرقة ، وتدرس في كل عصر وزمان ، وبكلِّ لسان ؛ واللسان وإن كان ذلقاً فصيحاً لا يعُدو سامعَه ولا يُجاوزه إلى غيره . ٢٠

البلاغة

قال سهل بن هارون : سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة .

لسهل بن هارون

- لجفر وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرب من المعنى البعيد ،
والدلالة بالقليل على الكثير .
- لابن المقفع وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلة الحصر ، والجراحة على البشر .
قيل له : فما المعنى ؟ قال : الإطراق من غير فكرة ، والتحنج من غير علة .
- لبضهم وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تطويل القصير ، وتقصير الطويل .
- لأعرابي وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ فقال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .
- لأرسطاطاليس وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاستعارة .
- لجالينوس وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟ فقال : إيضاح المعضل ، وفك المشكل .
- للخليل وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه .
- لابن صفوان وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد للحجة .
- لإبراهيم وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير
الباطل في صورة الحق .
- لإبراهيم وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمنين الأسرار في الكتب

- ١٥ وأما تضمنين الأسرار في الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه ، ففيه
أدب يجب معرفته ، وقد تعلققت العامة بكتاب القمّي والأصبهاني .
- الأصبهاني : وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لي منه أشياء جليلة من
تبديل الحروف ، وذلك يمكن لكل إنسان ، غير أن اللطيف من ذلك أن تأخذ
لبناً حلياً فتكتب به في القِرطاس ، فيذر المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد
القراطيس ، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله ؛ وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض ،
٢٠ فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمر عليه شيئاً من غبار الزاج . وإن أحببت
أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل ، فاكتبه بمرارة السلخانة .

قولهم في الأقلام

- قالوا : القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرار القلوب على لغات
مختلفة ، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلفة ، متباينات الصور ، مختلفات
الجهات ، لقاحها التفكير ، وتناجها التدبر ، تحرس مفردات ، وتنطق مزدوجات ،
بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، خلا قلم حرف
باريه قَطَّته ليتعلق المداد به ، وأرهف جانيه ليرد ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه
ليحتبس المداد عليه ، فهناك استمد القلم بشقه ، وثر في القرطاس بخطه حروفا
أحكمها التفكير ، وجرى على ألسنته الكلام الذي سده العقل ، وألمحه اللسان ،
ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشده ، ووعته الاسماع ، عن أنحاء
شئ من صفات وأسماء . ١٠

لأبي الحسن
الهاشمي

- وقال الشاعر وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :
وَأَسْمَرَ طَارِي الكَشِيجِ أَخْرَسَ نَاطِقٍ • لَهُ ذَمْلَانٌ فِي بَطُونِ المَهَارِقِ
إِذَا اسْتَعَجَلَتْهُ الكَفُّ أَمْطَرَ وَبَلَه • بِلَا صَوْتِ إِرْعَادٍ وَلَا ضَوْءِ بَارِقِ
إِذَا مَا حَادَا غُرَّ القَوَافِي رَأَيْتَهَا • مُجَلَّسَةً تَمْضِي أَمَامَ السُّوَابِقِ
كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ حُلَّةً • إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ مُرُؤُهُ بِالصَّوَابِقِ
كَأَنَّ اللَّالِي وَالزَّبْرَجَدُ نُطْقَهُ • وَتَوَمَّ الحُزَامِي فِي عَيُونِ الحِدَائِقِ ١٥

للعلوي

وقال العلوي في صفة القلم :

- وَعُرْيَانٌ مِنْ خِلْعَةٍ مُكَنِّسٍ • يَمِيسُ مِنَ الوُشْيِ فِي يَلْمَقِ
تَحْدَرُ مِنْ رَأْسِهِ رِبْقَةٌ • تَسِيلُ عَلَى ذِرْوَةِ المَفْرِقِ
فَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ لَهُ مُطْلَقٍ • وَكَمْ مِنْ طَلِيقٍ لَهُ مُوْتِقِ
يُقِيمُ وَيُوطِنُ غَرْبَ البِلَادِ • وَيَنْهَى وَيَأْمُرُ بِالمَشْرِقِ
قَلِيلٌ كَثِيرُ ضُرُوبِ الخُطُوطِ • طَوَّ وَأَخْرَسَ مُسْتَمْعُ المَنْطِقِ ٢٠

يسير بِرُكْبٍ تَلَالٍ عَجْمالٍ • إذا ما حدا الفكر في مهرق

لبعضهم في العلم وقال آخر في العلم :

لك القلمُ المطيعُكَ غير أنا • وجدنا وسمه غير المطاع

له ذوقان من أَرَى هِنِي • ومن شَرَى وبني ذى أمتاع

أحدُ اللفظِ ينطق عن سِواه • فيسمع وهو ليس يذى استماع

إذا استسقى بلاغتك استهلّت • عليه سماء فكرِكَ باندفاع

وقال :

ويت بعلياء الفلاة بنيته • بأسمر مشقوق الحياشيم يُرْعَف

كأنّ عليه مُلبساً جِلْدَ حية • مقيم فما يَمْضى ولا يتخلفُ

جليلُ شُتونِ الخطيبِ، ما كان راكباً • يسير ، وإن أُرْجِلته فضعُف

الحبيب وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لك القلمُ الأعلى الذى يشابه • يُصابُ من الأمرِ الكلى والمفاصلُ

لعابُ الأفاعى الفاتلاتِ لعابه • وأرَى الجنى آسثارته أيدٍ عواسل

له ريقَةٌ طُلُ ولكن وقمها • بآثاره في الشرق والغربِ وابل

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ • وأعجمُ إن خاطبته وهو راجل

إذا ما أمتطى الخس اللطافَ وأفرغت • عليه شعابُ الفكر وهي حوافل

أطاعته أطرافُ القنا وتقوضت • لِنجواه تقريضَ الخيامِ الجحافل

إذا استغزَرَ الذَّهَنَ الجَلِيّ وأقبلت • أعاليه في القِرطاس وهي أسافل

وقد رفدته الخنصرانِ وسدّت • ثلاثَ نواحيه الثلاثِ الأنامل

رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ • ضَنَى ، وسميماً خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمي ، فقال لابن الزيات :

ما حُطِبَةُ القلمِ التى أنبِيتُها • وردت عليك لشاعر مجرود

وأشدد البحتري لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

البحترى في قلم

وإذا تألق في النديّ كلامه ٥ مصمّول خذات لسانه من عضبه
وإذا دجت أعلامه ثم آتت ٥ برقت مصايح الدجى في كنهه
باللفظ يقرب فهمه في بُعد ٥ منّا ، ويبعد نيله في قربه
حكم فسأحها خلال بنائه ٥ متدقّ وقلبيها في قلبه
وكانها والسمع معقود بها ٥ شخص الحبيب بدا لعين محبّه

وأشدد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب ويصف القلم :

لأبن أبي طاهر

قلم الكتابة في يمينك آمن ٥ مما يعود عليه فيما يكتب
قلم به ظفر العدو مقلم ٥ وهو الأمان لما يخاف ويرهب
يبدى السرائر وهو عنها محجب ٥ ولسان حجته بصمت يعرب

ومن قولنا في القلم :

لأبن عبد ربه

بكفه ساحر البيان إذا ٥ أداره في صحيفة سحرا
ينطق في عجمة بلفظته ٥ نصم عنه ويسمع البصرا
نواذر تُقرع القلوب بها ٥ إن تستنّها وجدتها صورا
نظام درّ الكلام ضمه ٥ سلكا لحظ الكتاب مُستظرا
إذا امتطى الخنصران أذكر من ٥ سحبان فيما أطال واختصرا
يخاطب الغائب البعيد بما ٥ يخاطب الشاهد الذي حضرا
ترى المقادير تستدف له ٥ وتنفذ الحادثات ما أمرا
شخب ضئيل لفعله خطر ٥ أعظم به في مليّة خطرا
تمجّ فكاه ريقة صغرت ٥ وخطبها في القلوب قد كبرا
يواقع النفس منه ما حذرت ٥ وربما جئبت به الخدرا
مهففت تزدهى به صوف ٥ كأنما حليت به دُررا

كأنها تُرفع العيون بها • خلال روض مكلل زهرا
 إن قُربت مرطت طوابعها • ما نُضت طين لها ولا كيرا
 يكاد عنوانها لروعته • ينيلك عن سرها الذي استترا

لقى الرمة ومن أحسن ما شئت به الأقلام وشبه بها ، قول ذي الرمة :

• كأن أنوف الطير في عرصاتِها • خراطيمُ أقلام تُخط وتعجم

ولابن الرقاع ومثله قول عدى بن الرقاع :

يخرجن من فُرُجات النعج داميةً • كأن آذانها أطرافُ أقلام

ومن قوله في ولد البقرة :

تزجي أغن كأن إبرة روقه • قلم أصاب من الدواة مدادها

للدأمون ومنه قول المأمون :

• كأنما قابل القِرطاس إذ مشقت • منها ثلاثة أقلام على قلم

لابن عبد ربه ومثله قولنا فيه :

إذا أدارت بنائه قلباً • لم تدر للشبه أيها القلم

ومن قولنا في الأقلام :

• ومعشر تنطق أقلامهم • بحكمة تلقنها الأعين

• تلفظها في الصك أقلامهم • كأنما أقلامهم ألسن

ومن قولنا في الأقلام :

يا كاتباً نقشت أنامل كفه • سحر البيان بلا لسان ينطق

إلا صقيل المائن ملبوم القوى • حُزّت لهازمه وشق المفرق

• فإذا تكلم رغبةً أو رهبةً • في مغرب أصغى إليه المشرق

يدلي بِرِيقته أريه أو شره • يكي ويضعك من نداء المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يُخدم الإرادة ؛ ولا يمل

الاستزادة ؛ يسكت واقفاً ، وينطق ساكناً ؛ على أرض بياضها مظلم ،
وبسوادها مضى .

وقال سليمان بن وهب وزير المهدي : كل قلم تطيل جلفته ؛ فإن الخط
يخرج به أوقص .

٥ وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :

أما بعد ، فليكن قلبك بحرياً لا سميناً ولا رقيقاً ، ما بين الرقة والغلظ ، ضيق
النقب ، فأبره برياً مستويًا كمنقار الحمامة ؛ أعطف قطته ، ورقق شفرته ؛ وليكن
مدادك صافياً خفيفاً ، إذا استمددت منه ليلة ثم صفه في الدواة ؛ وليكن قرطاسك
رقيقاً مستوياً النسيج ، تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره ؛ فليست
١٠ تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر تمطيطك في طرف القرطاس
الذي في يسارك ، وأقله في الوسط ولا تمط في الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة
ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الأخرى بغير مط ، فإنك إذا فرقت القليل
كان قبيحاً ، وإذا جمعت الكثير كان سمجاً ؛ ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله ،
واخططه بمرضه ، واختمه بأسفله ؛ واكتب الباء والتاء والسين والشين ، والمطة
١٥ العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والدين والغين ، ورأس كل مرسل
برأس القلم ؛ واكتب الجيم والحاء والحاء والذال والذال والراء ، والمطة السفلى
من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والدين ، بالسنة السفلى من القلم
وامشط بعرض القلم ، وامط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب
العاقل يقوى عليه أيضاً إلا بالنظر إلى اليد في استعمالها الحركة . والسلام .

٢٠ وقال ابن طاهر لكتابه : ألق دواتك ، وأطل سن قلبك ، وفرج بين السطور ،
وقرط بين الحروف .

وقال إبراهيم بن جبلة : مر بي عبد الحميد وأنا أخط خطاً رديئاً ، فقال لي :
أ [لا] تحب أن يحود خطك ؟ قلت : بلى . قال : أطل جلفه القلم وأسمنها ؛
وحزف قطنك وأيمنها . ففعلت فجاد خطي .

- وقال العتابي : يبكاء القلم بتبسم الكتب .
 وقال بعض الحكماء : أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم .
 وقال حبيب الطائي :
 لولا مُناشدةُ القُربى لغادرَكم • حصائدُ المُرهِقَيْنِ : السيف والقلم
 وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سِنِّ أَفلامهم .
 وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف ، فرى عليُّ بن أبي طالب
 كرم الله وجهه ، فقال : أجلُّ قلبك . فقصمت من قلبي قصمة ، فقال : هكذا
 نوره كما نوره الله .
 وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقاً ، وقال : أجود الخط أَيْدُهُ .
 وقال سليمان بن وهب : زِينُوا خطوطكم بِإِسْبَالِ ذَوَاتِهَا .
 وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جلية ، وربما ضاق
 عن العيون ، وقد ملأ أقطار الطنون .
 وذكر علي بن عبيدة القلم فقال : أصمُ يسمع النَّجْوَى ؛ أغيا من باقل ، وأبلغ
 من سحبان وائل ؛ يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ؛ ويجعل الكتب بين الإخوان
 أَلْسِنًا ناطقة ، وأعيناً لاحِظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن
 عند المشاهدة .
 وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغواني في خدودهن بأحسن من
 عبرات الأقلام في خدود الكتب .
 وقال العتابي : الأقلام مطايا الفِطْنِ .
 وتخبر غلامان في بعض الدواوين ، فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه
 خطوطهما ، فكره أن يفضل أحدهما على الآخر ؛ فقال لأحدهما : أما خطُّك
 أنت فَوْشِيٌّ مُحَوِّك . وقال للآخر : وأما خطُّك أنت فذهبٌ مُسْبُوك : تكافأتما
 في غاية ، وتوافيتما في نهاية .

وقال آخر : دخلت الديوان ، فنظرت إلى غلام يده فلم كأنه قضيب عقيان ،
وعليه مكتوب :

وَأَبَى ۱ وَأَبَى ۲ مِنْ كَفٍّ مَنْ يَكْتُبُ بِي

وقال أبو هفان يصف القلم :

وَإِذَا أَمَرْتُ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ ۲ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلُنْ شَخْتًا مُرَهَفًا ۵
وَمُقَصَّرًا وَمُطَوَّلًا وَمُقَطَّعًا ۲ وَمَوْصَلًا وَمُشْتَتًا وَمُؤَلَّفًا
كَالْحَيَةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ ۲ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلَطُّفًا
يَهْفُو بِهِ قَلَمٌ يَمُجُّ لُعَابَهُ ۲ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُثَقَّفًا

وقال آخر في وصف الدواة :

وَمُسْوَدَّةُ الْأَرْجَاءِ قَدْ خُضَّتْ جَالَهَا ۲ وَرَوَيْتُ مِنْ قَعْرِهَا غَيْرَ مُنْبَطٍ ۱۰
تَحْيِصَ الْحَشَايَا رَوَى عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ ۲ أَمِينًا عَلَى سِرِّ الْأَمِينِ الْمُسَلِّطِ

وقال بعض الكتاب :

وَمَارَوْضُ الرِّيعِ وَقَدْ زَهَاهُ ۲ نَدَى الْأَسْحَارِ يَأْرَجُ بِالْغَدَاةِ
بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمٍ ۲ تَوَدِّيهِ الْإِلَاقَةُ مِنْ دَوَاةِ ۱۵
وقال آخر في وصف محبرة :

وَلُجَّةٌ بِحَرِّ أَجْمٍ الْعُبَا ۲ بِبَادٍ وَأُمَوَاجُهُ تَزْخَرُ
إِذَا غَاصَ فِيهِ أَخُو غَوْصَةٍ ۲ سَرِيعُ السَّابْحَةِ مَا يَفْتَرُ
فَأَنْفَسَ بِذَلِكَ مِنْ غَائِصٍ ۲ بَدِيعُ الْكَلَامِ لَهُ جَوْهَرُ
وَأَكْرَمُ يَبْحَرُ لَهُ لُجَّةٌ ۲ جَوَاهِرُهَا حَكَمُ

وقال ثمامة بن أثرس : ما أثرته الأفلام ، لم تطمع في درسه الأيام . ۲۰

ونظر المأمون إلى جارية من جواريه تخط خطًا حسنًا ، فقال فيها :
وزادت لدينا حظوة حين أطرقت ۲ وفي إصبعيها أسمر اللون أهيف
أصمٌ سميع ، ساكنٌ متحركٌ ۲ ينال جسيات المني وهو أعجف

لبعض الكتاب وقال بعض الكتاب :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً . يكاد يُصم السامعين صريرها

تساقط في القُرطاس منها بدائع . كمثل اللآلى نظمها وتثيرها

لابن المعتز قال بشر بن المعتز : القلب معدين ، والحلم جوهر ، واللسان مستنبط ، والقلم صانع ، والخط صيغة .

وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا رُغف أعلن أسرارهِ وأبان آثارهِ . وقالوا : حُسن الخط يناضل عن صاحبه ، ويوضح الحجة ، ويمكن له ذلك البغية . وقال آخر : الخط الرديء زمانة الأديب .

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جودة برّي القلم ، وإطالة جلفته ، وتحريف قَطْئهِ ، وحُسن التأنى لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدة بقدر اتساع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .

وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلبه في أحسن أجزائه ، وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القُرطاس حقه .

وقال عبد الله بن عباس : كلُّ كتاب غير مختوم فهو عُقل .

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴾ قال : مختوم .

ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إعجامها ، فقال : ما أحسن ما كتبت إلا أنك أكثرت سُوءَ نِزَها .

وقال أبو عبيدة : لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة ، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خِوَان ؛ ولا قلم إلا إذا بُرّي ، وإلا فهي قصبه .

وقال آخر : جلوس الأدباء عند الوراقين ، وجلوس المخمّنين عند النخاسين ، وجلوس الطفيليين عند الطباخين .

لابن الأزهري

وكتب علي بن الأزهري إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه :

- أما بعد ، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم ؛ خللت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصُغرى أسرع في الكواغد ، وأمرٌ في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأشدُّ لتصريف الخط فيها ؛ ونحن في بلد قليل القصب رديته ، وقد أحبت أن تقدم في اختيار أقلام بحرية ، وتتأنق في انتقائها قبلك ، وتطلبها في مظائنها ومنابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تبتم في اختيارك منها الشديد المُنحص ، الصلبة المقص ، النقية الجلود ، القليلة الشحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الجفاء ، وأن تقصد بانتقائك الرقاق القُضبان ، المقومات المُنون ، المُلس المعاهد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكموب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يبسا وهي قائمة على أصولها ، لم تُعجل عن لبان ينعها ، ولم يؤخرْ إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء ؛ وعفن الأنداء ؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعا رقيقا ؛ ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإصالتها ، وكتبت معه رقعة بعديتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم في الخبر

- قال بعض الكتّاب : عَطَرُوا دِفَاتِرَ آدَابِكُمْ بِجَيِّدِ الْخَبَرِ ، فإن الأدب غواني لبس الكتاب والخبر غوالي .

ونظر جعفر بن محمد إلى قتي على ثيابه أثر المداد وهو يستره ، فقال له : لجنر بن محمد

لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمَدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ

وأتى وكيع بن الجراح رجلاً يمت إليه بحرمة ، فقال له : وما حُرْمَتُكَ ؟ قال له : وكيع وفريب له

كنت تكذب من مجبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة دنائير ، وقال له : أعذر فما أملك غيرها .

وفي الأقلام

- أهدى ابنُ الحرون إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاماً ؛ فكذب إليه :
 إليه لما كانت الكتابة — أبفأك الله — أعظمَ الأمور ، وقوامَ الخلاقة ،
 وعودَ للمملكة ؛ خصصتُك من آلتها بما يَخِفُّ محمله ، وتثقل قيمته ، ويعظمُ نفعه
 ويجلّ خطره ؛ وهى أقلام من القصبِ النابت في الصُحر الذي نَشِفَ في حر
 الهجير ماؤه ، وسَترَه من تلويحه غشاؤه ؛ فهى كاللآلئِ المكسوة في الصّدَفِ ،
 والأنوارِ المحجوبة في السّدَفِ ؛ تَبْرِيةُ القشورِ دريةُ الظهور ، فضيةُ الكسور ؛
 قد كَسَتْها الطبيعةُ جوهرًا كالوشى المجبر ، وفرندَ الديباجِ المنير .

قولهم في الصحف

- نعمَ الأنيسُ إذا خلوتَ كتابُ • تَأْهُو به إنْ مَلَكَ الاحبابُ
 لا مَفْشِيًا سِرًّا إذا استودعته • وتَفَادُ منه حكمةٌ وصوابُ
 وقال آخر :
 ولكلُّ صاحبٍ لَذَّةٌ مُتَنَزِّةٌ • أبدأ ، ونَزْهَةٌ عالمٍ كُتِبَتْ
 وقال حبيب :

- مِدادُ مثلِ خَافِيَةِ الغرابِ • وقِرطاسُ كَرَقَرِاقِ السَّرابِ
 وألفاظُ كَالْفَاطِظِ المُنَانِي • وَخَطُّ مِثْلُ وَشْمٍ يَدِ الكَمَابِ
 كُتِبْتُ ولو قَدَرْتُ هَوَى وشوقاً • إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الكِتَابِ
 وقال في صحيفةِ جامته من عند الحسن بن وهب :

لقد جَلَى كِتَابُكَ كُلُّ بَيْتٍ • جَوٍّ وَأَصَابِ شَاكِلةَ الرِّمَى
 فَضَضْتُ خِثَامَهُ فَنَبَلَّتْ لِي • غَرَائِبُهُ عَنِ الحَبْرِ الجَلِيِّ
 وَكَانَ أَغْضَرَ فِي عَيْنِي وَأَنْدَى • عَلَى كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الجَنِيِّ

وأحسن موقفاً عندي ومنى • من البشرى أنت بعد النعي
 وضمن صدره ما لم تضمن • صدور الغايات من الحلي
 فكأن فيه من معنى خطير • وكأن فيه من لفظ بهي
 فيا تلج الفؤاد وكان رضفاً • ويا شيعي بروقه وربي
 فكم أفصحت عن برّ جليل • به ووايت من وأي سني
 كتبت به بلا لفظ كريه • على أذن ولا خط قبي
 رسالة من تمتع منذ حين • ومتعنا من الأدب الرضي
 لن غربتها في أرض بكر • لقد زفت إلى قلب وفي
 وإن يك من هداياك الصفايا • فرب هدية لك كالهدي

١٠ وقال ابن أبي طاهر في ابن ثوبة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة • من رأي وتدى كفيه عن منل
 من خط أقلامه خط القضاء على ال • أعداء الموت بين البيض والأسل
 لهاها علال في الصدر تنفثه • وربما كان فيه النقع للغال
 كأن أسطارها في بطن مهرقها • نور يضاحك دمع الواكف الخضل

١٥ وقال البحتري في محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت في الكتابة حتى • عطّل الناس فن عبد الحيد
 في نظام من البلاغة ما شء • لك امرؤ أنه نظام فريد
 وبديع كأنه الزهر الضا • حك في رونق الريح الجديد
 ما اغتدت منه في بطون القراطد • مريس وما تحملت ظهور البريد
 حجج تحرس الألد بألفا • ظي فرادى كالجوهر المعداد
 حزن مستعمل الكلام اختياراً • وتجنبن ظلمة التعقيد
 كالغداري غدوّن في الحلال اليه • من إذا رحن في الخطوب السود

لابن أبي طاهر

البحتري

لابن الجهم

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جيد :

مارُقعةَ جاءتك مَنيّةٌ • كأنها خدٌّ على خدٍّ
نثرُ سوادٍ في بياضٍ كاذ • زفتُ المِسك في الوردِ
ساهمةُ الأسطرِ مصروقةٌ • عن جهةِ الهزلِ إلى الجدِّ
يا كاتباً أنسَلتني عتبهُ • إليك، حسي منك ما عدى !

٥

لابان

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق إلى

الفضل بن يحيى بن خالد ، رقعةً بأبياتٍ له يصفُ فيها قامته ، وكفاةَ لحيتِه ، وحلاوةَ
شماله ، وبراعةَ أدبه ، وبلاغةَ قلبه : فقال :

أنا مِن بُغيَةِ الأميرِ وكَثُرَ • مِن كُنوزِ الأميرِ ذو أرباج
كاتبٌ حاسبٌ أديبٌ لبيبٌ • ناصحٌ زائدٌ على النَّصائحِ
شاعرٌ مُفلقٌ أخف من الرِّيدِ • شِعْرٌ مما يكونُ تحت الجناحِ
لى فى النحرِ قِطنةٌ ونفاذ • أنا فيه قِلادةٌ بوشاحِ
لو رعى بنى الأميرِ أصلحَه اللهُ رِماحاً صدمتُ حدَّ الرِّماحِ
ثم أروى من ابنِ سيرينَ فى الفقهِ • بِـ بقولٍ مُنثورِ الإفصاحِ
لستُ بالضخمِ فى روائى ولا الفدْ • مِ ولا بالمجمدِ الدَّحاجِ
لِحِيَّةٌ كَثَّةٌ وأنفٌ طويلٌ • واتِّقادٌ كَشعلَةِ المِصباحِ
وكثيرُ الخديثِ مِن مُلجِ النّاءِ • سِ بصيرٌ بخافياتِ مِلاجِ
كم وكَم قد خَبأتُ عِندى حديثاً • هُوَ عند الأميرِ كالنَّفاجِ
أَتَمُّ النَّاسِ طائراً يَوْمَ صَيْدٍ • فى غُدُوٍّ أو بُكرةٍ أو رواجِ
أَعْلَمُ النَّاسِ بالجوارِحِ والصِّيدِ • بِـ وبالحُرْدِ الحِسانِ المِلاجِ
كلُّ هذا جَمَعْتُ والحمدُ لله على أني ظريفُ المِزاجِ
لستُ بالناسِكِ المُشَمَّرِ ثوبينِ • بِـ ولا الفاتِكِ الخَلِيجِ الوقاجِ
لو دعانى الأميرُ عابِئاً مَتى • شَمرياً كالبلبلِ الصِّداجِ

١٠

١٥

٢٠

قال : فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية ، فرمى به إليه ، وقال له :
أجب . فأجاب بما في غرضه وأحسن ، فأمر له بألف ألف درهم ؛ وكنا تراه أول
داخل وآخر خارج ؛ وكان إذا ركب فركابه مع ركابه .

لأبي نواس

قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعرُ أبا نَواس ، فقال :

أَنْتَ أَوَّلُ بِقَلَّةِ الْحِظِّ مَنِيَّ * يَامُسَمَى بِالْبَلْبَلِ الصَّدَاحِ ٥
قَدْ رَأَوْا مِنْهُ حِينَ غَنَى لَدَيْهِمْ * أَخْرَسَ الْقَوْلَ غَيْرَ ذِي إِفْصَاحِ
ثُمَّ بِالرَّيْشِ شَبَّهَ النَّفْسَ فِي الْحِيَّةِ * نَفَقَةً تَمَّا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ
فَإِذَا الشَّمُّ مِنْ شَمَارِيخِ رَضَوَى * خَفِضَتْ عِنْدَهُ نَوَى الْمَسْبَاحِ
لَمْ يَكُنْ فَيْكَ غَيْرُ شَيْئَيْنِ مِمَّا * قُلْتَ فِي نَعْتِ خَلْقِكَ الدَّحَاحِ
لَحِيَّةٌ جَفْدَةٌ وَأَنْفٌ طَوِيلٌ * وَسَوَى ذَاكَ ذَاهِبٌ فِي الرِّيحِ ١٠
فِيكَ مَا يَحْمِلُ الْمَلُوكَ عَلَى السَّيْرِ * فَيُزِيرِي بِالْمَاجِدِ الْجَنَاحِ
بَارِدُ الطَّرْفِ ، مُظْلِمُ اللَّبِّ ، تَيَّا * هُوَ ، مُعْبِدُ الْحَدِيثِ ، سَمِجُ الْمَزَاحِ

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألف ألف درهم ا فبعث إليه
أبو نواس : لو أعطيتني مائة ألف ألف درهم لم أجد بُدًّا من إذاعتها . فيقال :
إن الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبي نواس قال : لا حاجة لي في أبان ، لقد رُمِيَ ١٥
بخمسة في بيت لا يقبله على واحدة منهن إلا جاهل . فقيل له : كذب عليه .
فقال : قد قيل ذلك . فأقصاه ؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب : أبان بن
عبد الحميد اللاحق ، أن الفضل بن يحيى أعطاه مالا يفرقه في الشعراء ، ويعطى
كل واحد على قدره ؛ فبعث إلى أبي نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال : إني
٢٠ أعطيت كل شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفر نصيبك عندي . فهجاه لذلك .

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بيان بينه ، فوقَّع في أسفل كتابه : آبن ما يُكذِّك من المواجر وأذى المطر .

ووقع إلى عمرو بن العاصي : كن لرعتك كما تحب أن يكون لك أميرك . ٥

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجء أعناقهم : ﴿ فَبِئْسَ عَصَوكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ووقع في قصة رجل شكَا عيلة عليه : قد أمرنا لك بما يُقيمك ، وليس في مال الله فضل للسرف . ١٠

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وقع إلى طلحة بن عبيد الله : في بيته يؤتى الحكم .

ووقع في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضى الله عنه : رأى الشيخ خير من مشهد^(١) الغلام .

ووقع في كتاب سلمان الفارسي - وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة ؟ - : ١٥
يُحَاسَبُونَ كما يُرْزَقُونَ ..

ووقع في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة :
بقية السيف أنمى عددا .

وفي كتاب جاءه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره : مَنْ لك بأخيك كَلَّه ؟

وفي كتاب صمصعة بن صوحان يسأله في شيء : قيمة كل امرئ ما يُحسن .

معاوية بن أبي سفيان

كتب إليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه ، فوقع في أسفل كتابه : بيت
أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام ، فأنت تراه .

وفي كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقَطِّعه مالا بالطائف : عش رجلاً
تَرَ عَجَباً .

وفي كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته : إن
أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مسلّاح واحد ، وذلك حلف لا يحله
سوء أدبك .

وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة
بأثنى عشر ألف جذع : أدارك في البصرة ، أم البصرة في دارك ؟

يزيد بن معاوية

وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستمحه لرجال من خاصته : أحكم لهم
بأماهم إلى منتهى آجالهم . فحكم [لهم] بتسعمائة ألف ؛ فأجازها .

وكتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل الحرة ، فوقع في أسفل
كتاب : ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ .

وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه في الخراج : قليل
العتاب يُحكّم مرائر الأسباب ، وكثيره يَقْطَع أواحى الانتساب .

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان : القرابة واشجة ،
والأفعال متباينة ؛ فخذ لرحمك من فلك .

وإلى عبيد الله بن زياد : أنت أحد أعضاء ابن عمك ، فاحرص أن
تكون كلها .

عبد الملك بن مروان

وقع في كتاب أناه من الحجاج [يشكو إليه نقرأ من بني هاشم ويُغريه بهم]
جَنَّبَنِي دِماءَ بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الطلب .

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ، ويستأذنه
في قتل أشrafهم ، فوقع له : إن من يُمن السائس أن يأتلف به المختلفون ، ومن
شُؤمه أن يختلف به المؤتلفون .

وفي كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى ، وبخرقك طلع .
ووقع في كتاب ابن الأشعث :

فأبال من أسعى لأجبر عظمه . حفاظاً ، وينوى من سفاهته كثرى ؟

ووقع أيضاً في كتاب :

كيف يرجون سقاطى بعدما . شيل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرّق فيما خلف له عبد الملك ، ينكر ذلك
عليه ويعزّفه أنه على غير صواب ، فوقع في كتابه : لأجمعن المال جمع من يعيش .
أبدا ، ولا فرقته تفريق من يموت غدا .

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز ، قد راب الله بك الداء ، وأوذم بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهدده بالخلع ، فوقع في كتابه :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربماً . أبشر بطول سلامة يا مربع

ووقع في كتابه أيضاً : العاقبة للبتين .

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعنده : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدُهم شيئاً ﴾ .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مَرَمَةِ مدينته ، فوقع أسفل كتابه : آينها بالعدل ، ونقَّ طُرُقَهَا من الظلم . ٥

وإلى بعض عماله في مثل ذلك : حَسَنُهَا وَنَفْسُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ .

وإلى رجل ولاء الصدقات ، وكان دميماً فعدل وأحسن : ﴿ ولا أقولُ للذين تزدري أعينُكم لن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خيراً ﴾ .

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له : أرض لهم ما تُرضى لنفسك ، وخذْ بِجَرَانِهِمْ بعد ذلك . ١٠

وإلى عدى بن أرطاة في أمر عاتبه عليه : إن آخِرَ آيَةٍ أُنْزِلَتْ ﴿ واتَّقُوا يَوْمَما تُرْجَعُونَ فيه إلى اللَّهِ ﴾ .

وإلى عامله على الكوفة - وكتب إليه أنه فعل في أمرٍ كما فعل عمر بن الخطاب - : ﴿ أولئك الذين هدى اللَّهُ فِهادَهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ .

وإلى الوليد بن عبد الملك - وعمرُ عامله على المدينة - فوقع في كتابه : اللَّهُ أعلمُ أنك لست أول خليفة تموت . ١٥

وأناه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع في كتابه : لا تطلب طاعةً من خذل عليّاً ، وكان إماماً مرضياً .

وإلى عامله بالمدينة وسأله أن يُعطيه موضعاً بينه ، فوقع : كن من الموت على حذر . ٢٠

وفي قصة متظلم : العدل أمامك .

وفي رقعة محبوس : مُبْتِ تَطْلُقُ .

وفي رقعة رجل قتل : كتاب الله بيني وبينك .

وفي رقعة متنصّح : لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك .

وفي رقعة رجل شكّا أهل بيته : أتما في الحق سيّان .

وفي رقعة امرأة حُبِسَ زوجها : الحق حُبسه .

وفي رقعة رجل تظلم من ابنه : إن لم أنصّفك منه فأنا ظلمتُك .

٥

يزيد بن عبد الملك

وقع إلى صاحب خراسان : لا يغرنك حسنُ رأى ، فإنما تفسده عثرة .

وإلى صاحب المدينة : عثرت فاستقل .

وفي قصة متظلم : ﴿ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وفي قصة متظلم شكّا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صَفَحْتَ عنه

١٠

واستوصلتني .

هشام بن عبد الملك

في قصة متظلم : أذاك الغوث إن كنت صادقاً ، وحلّ بك النكال إن كنت

كاذباً : فتقدّم أو تأخر .

وفي قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما أدّعيتم عليه عزلناه وعاقبناه .

١٥

وإلى صاحب خراسان حين أمره بمعاربة الترك : احذر لياليّ البَيّات .

وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الانصار : أحفظ فيهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهبهم له .

وقع في رقعة محبوس لزمه الحد : نزل بحدّك الكتابُ .

ووقع في قصة رجل شكّا إليه الحاجة وكثرة العيال وذكر أن له حرمة :

٢٠

لعيالك في بيت مال المسلمين مهم ، ولك بحرمتك منّا مثلاه .

وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج : ضَع سيفك في كلاب النار ، وتقرب

إلى الله بقتل الكفار .

وإلى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم : لَنُفَوِّضْنَكُمْ فِي خَصَمِكُمْ دُونَكُمْ .
 وفي كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده : مُرُّهُمْ بِالْإِسْتِغْفَارِ .
 وإلى سهل بن سيار : خَفِيَ اللَّهُ وَإِمَامُكَ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

٥ وقع إلى مروان [بن محمد] : أَرَاكَ تُتَقَدَّمُ رَجُلًا وَتُتَوَخَّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَنَاكَ
 كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَى آيِهِمَا شَتَّى .
 وإلى صاحب خراسان في المسوِّدة : نَجْمٌ أَمْرًا أَنْتَ عَنْهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ
 أَوْ مَنِّي بِسَلَامٍ .

مروان بن محمد

١٠ كتب إلى نصر بن سيار في أمر أبي مسلم : تَحَوَّلُ الظَّاهِرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ
 الْبَاطِنِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
 ووقع إلى ابن هبيرة أمير خراسان : الْأَمْرُ مُضْطَرِبٌ ، وَأَنْتَ نَائِمٌ ،
 وَأَنَا سَاهِرٌ .
 وإلى حوثرية بن سهيل جين وجهه إلى قحطبة : كُنْ مِنْ يَبَاتِ الْمَسَارَةِ
 عَلَى حَذَرٍ . ١٥

ووقع حين أتاه غَرَقُ قحطبة وانتهزام ابن هبيرة : هَذَا وَاللَّهُ الْإِدْبَارُ ، وَإِلَّا
 فَنَرَأَى مَيِّتًا هَزَمَ حَيًّا ؟

وفي جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضْ جَمْرٍ • وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
 الْحَاضِرِ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ، فَاحْصِمِ التَّوَلُّولَ . ٢٠
 فكتب نصر : التَّوَلُّولُ قَدْ امْتَدَّتْ أَغْصَانُهُ ، وَعَظُمَتْ نَكَائِيهِ .
 فوقع إليه : يَدَاكَ أَرْكَنَا وَفُوكَ نَفْخُ .

توقيعات بنى العباس

السفاح

- كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أُخِذَت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أُسِّس على غير تقوى ثم أمر بدفع قِيم منازلهم إليهم .
- ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : إن حَلَمَكَ أفسد عِلَمَكَ ، وتراخيك أثر في طاعتك ، فغذلي منك ، ولك من نفسك .
- ووقع إليه في ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة : لست منك ولست مِنِّي إن لم تقتله .
- وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذْئُك لك .
- ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك في النعمة . ثم أمر بأرزاقهم .
- وإلى عامل تُظَلَّم منه : ﴿ وما كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمَاضِيَيْنَ عَصْدًا ﴾ .
- وفي قوم شُكِّروا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة : ﴿ وقيل بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

أبو جعفر

- وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه : لا تجعل للأيام في وفك نصيباً من حوادثها .
- ووقع إليه أيضاً : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فاجعل الحظ لك دوني يكن لك .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان : شكوت فأشكيناك ، وعتبت
فأعتبناك ، ثم خرجت عن العائمة فتأهب لفراق السلامة .

وإلى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونون يؤمر عليكم

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ .

وفي قصة رجل شكى عيلة : سل الله من رزقه .

٥

وفي قصة رجل سأله أن يبنى بقربه مسجداً فإن مُصلاه على بعد : ذلك

أعظم لثوابك .

وفي قصة رجل قُطعت عنه أرزاقه : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا

يُمسِك لها وما يُمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وفي قصة رجل شكى الدين : إن كان دينك في مرضاة الله قضاء .

١٠

وإلى صارورة سأله أن يحج : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع

إليه سيلاً ﴾ .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكرك من الفساد

يعطك النيل القياد .

وإلى عامله على حمص ، وجاء منه كتاب فيه خطأ : استبدل بكاتبك

١٥

وإلا استبدل بك .

وإلى صاحب أرمينية : إن لي في قفاك عينا ، وبين عينيك عينا ؛ ولهما

أربع آذان .

وإلى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله .

وفي كتاب أتاها من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه ، وكسروا

٢٠

أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ولو وقيت

لم ينتهبوا .

المهدى

وَقَعَ فِي قِصَّةِ مُتَظَلِّينَ شَكُوا بَعْضَ عَمَالِهِ : لَوْ كَانَ عَيْسَى عَامِلَكُمْ قَدَنَاهُ إِلَى الْحَقِّ
كَأَيُّ قَادِ الْجَلِّ الْمُخْشَوْسِ . يَرِيدُ عَيْسَى وَلَدَهُ .

وَوَقَعَ إِلَى صَاحِبِ أَرْمِينِيَّةٍ وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَشْكُو سُوءَ طَاعَةِ رِعَايَاهُ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : أنا ساهر وأنت نائم .

وفي قصة قوم أصابهم قحط : يقدر لهم قوت سنة القحط ، والسنة التي تليها .

وإلى شاعر — أظنه مروان بن أبي حفصة — : أسرفت في مديحك فقصرنا
في جياتك .

وفي قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضي به دينك ١٠
وتقر به عينك .

وفي قصة رجل شكا الحاجة : أذاك الغوث .

وإلى رجل من بطانته استوصل : ليت إسرائنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا إثنخاصه إلى بابه : قد أنصف القارة

من رامها . ١٥

وفي قصة رجل حبس في دم : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

وإلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار : خذهم بالعدل في
المكيال والميزان .

وإلى يوسف البرم حين خرج بخراسان : لك أمانى ومؤكّد أيمانى .

موسى الهادى

٢٠

كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه : قد أنكرناك منذ لزمنا
أبا حنيفة : كفانا الله .

وإلى صاحب أفريقية في أمر فرط منه : يا ابن اللخناء أنى تتمرس .

هارون الرشيد

وقع إلى صاحب خراسان : داو جرحك لا يتسع .

وإلى عامله على مصر : احذر أن تُغرب خزاتى وخزانة أخى يوسف فأتبك

منى ما لا قبل لك به ، ومن الله أكثر منه .

ووقع في قصة رجل من البرامكة : أنبتته الطاعة وحصدته المعصية .

وإلى عامله على فارس : كن منى على مثل ليلة البيات .

وإلى عامل خراسان : إن الملوك يؤثر عنهم الخزم .

وإلى حزيمة بن خازم إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية :

لا أتم لك ! تقتل بالذنب من لا ذنب له ؟

وفي قصة مجبوس : من لجأ إلى الله نجا .

وفي قصة متظلم : لا يجاوز بك العدل ، ولا يقصر بك دون الإنصاف .

وإلى صاحب السند إذ ظهرت العصية : كل من دعا إلى الجاهلية تعجل

إلى المنية .

وإلى عامله على خراسان : كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز ، وكان بالمنظلم عارفا : قد وليناك

موضعه ، فتكبت سيرته .

وفي كتاب بكار الزبيرى إليه : يخيره بسر من أسرار الطالبين : جزى الله

الفضل خير الجزاء في اختياره إياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر : يا محفوظ ، اجعل خرج مصر خرجاً

واحداً ، وأنت أنت .

وإلى صاحب المدينة : ضع رجلك على رقاب أهل هذا البطن فإنهم قد أطلوا

ليلي بالسهاد ، ونفوا عن عيني لذيق الرقاد .

ووقع إلى السندی بن شاهك : خَفِ الله وإمامك ، فهما نجاتك .

والى سليمان بن أبى جعفر فى كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق
استحييت بشيخ ولده المنصور ، أن يهرب عن ولده كندة وطىي : فهلا قابلتهم
بوجهك ، وأبديت لهم صفحتك ، وبذلت لهم نصيحتك ، وكنت كروان ابن عمك
أذ خرج مصلاً سيفه متملاً بيت الجعاف بن حكيم :

مُتَقَلِّدِينَ صَفَاتِهَا هَنَدِيَّةً • يَتَرَكْنَ مِنْ ضَرْبِهَا كَنْ لَمْ يُولَدْ
فَالِدَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ : اللَّهُ أُمُّ وَلَدَتِهِ ، وَأَبُّ أَنْهَضِهِ .

وكتب منملك الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجه نحوك بكل صليب
فى ملكتى ، وكلّ بطل فى جندى . فوقع فى كتابه : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَاْفِرُ لِمَنْ
عُقِبِيَ الدَّارِ ﴾ .

وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : قد تقدم الخصم إلى
موقف الفصل ، وأنت بالآثر ، والله الحكم العدل ، وستقدم فتعلم . فوقع فيه .
الرشيد : الحكم الذى رضيت فى الآخرة لك ، هو أعدى الخصم فى الدنيا عليك ،
وهو من لا يُردُّ حكمه ، ولا يُصرفُ قضاؤه .

المأمون

وقع إلى على بن هشام فى أمر تظلم فيه : من علامة الشريف أن يظلم من
فوقه ، ويظلمه من دونه ؛ فأبى الرجلين أنت ؟
والى هشام : لا أدنك ولك يبابى خصم .

والى الرستمى فى قصة من تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آتيتك
من ذهب وفضة ، وغريمك خاوٍ وجارك طاو .

وفى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، عَمَّرَ نِعْمَتَكَ بِالْعَدْلِ ؛ فَإِنْ
الْجَوْرُ يَهْدِمُهَا .

وفى قصة متظلم من أبى عباد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) .

وفي قصة لمتظلم من حميد الطوسي : يا أبا غام ، لا تغتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبيده في الحق سيان .

٥ وإلى طاهر صاحب خراسان : أحمد أبا الطيب ، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فقالك موضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده .

وفي كتاب بشر بن داود : هذا أمان عاقدت الله في مناجاتي إياه .

وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فذك حين أمره بردها : قد أرضيت خليفة الله في فذك ، كما أرضى الله رسوله فيها .

١٠ وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي : قد احتملنا بذاهك وشكاسة خلقتك ، فأما ظلك للرعية فإننا لانتحمله .

ووقع إلى بعض عماله : طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها .

١٥ وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : إن غفرت بفضلك ، وإن أخذت ببحقك . فوق في كتابه : القدرة تذهب الحفيظة ، والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله .

ووقع في رقعة مولى طلب كسوة : لو أردت الكسوة لزممت الخدمة ، ولكنك آثرت الرقاد حفظك الرؤيا .

٢٠ ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الأموال : يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته ، ولثمائة بن أشرس بثلاثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه ، ولأبي محمد اليزيدي يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره ، وللعلوي بخمسمائة ألف لصحيح سنته ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقته ، ولأحمد بن أبي خالد بألف ألف لخالفته شهوته ،

ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته ، وللرئيسي بثلاثمائة ألف لإسباغ وضوئه ،
ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

- ٥ وقع إلى بعض عماله : قد كنت على الذعار وإخالك ذاعرا .
وكتبت إليه عائشة في وصاة برجل ، فوقع في كتابها : هو بين أبويه .
وإلى صاحب خراسان في أمر خالفه فيه : استر بعض دينك ببعض ،
وإلا ذهب كله .

- وإلى عامله بالكوفة أميط الحدود عن ذوى المروءات .
١٠ وفي قصة متظلم : أنا معك .
وفي قصة قوم رفعوا على عامل ربيعة : من أماله الباطل قومه الحق .
وفي قصة مستمنح : لك المواساة .
وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة : النساء تحاربهم دونك .
وفي قصة سارق : القطع جزاؤك .

- ١٥ وفي قصة امرأة حبس زوجها : حكمه إلى الله .
وفي قصة قوم تقبوا : تنقب ظهورهم .
وفي قصة نباش : يذفن حيا في قبره .
وفي قصة متظلم : الحق يسعك .

- وفي قصة متنصح : مهلا فقد أبلغت إسماعى .
٢٠ وفي قصة متظلم : كفيت .

وفي قصة رجل شكى إليه عقوق ابنه : ربما كان عقوق الولد من سوء

تأديب الوالد ١

- وفي قصة رجل شكا الحاجة : لك في مال الله نصيب أنت آخذه .
 وفي قصة رجل جرح : الجروح قصاص .
 وفي قصة مجبوس : النائب من الذنب كمن لا ذنب له .
 وفي قصة قوم شكوا غرق ضياعهم : لا تعرض فيما تفرد الله به .
 وفي قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم : لاحكم فيما استأثر الله به . ٥

الحجاج بن يوسف

- وقع في كتاب أناه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد ، وذهاب الغلات ،
 وما حل بالناس من القحط : إذا أزيف خراجك فانظر لرعيك في مصالحها ،
 فيبت المال أشد اطلاعا لذلك من الأرملة واليتيم وذى العيلة .
 وفي كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك : لاتخاطر بالمسلمين
 حتى تعرف موضع قدمك ، ومرى سهامك . ١٠
 وفي كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم :
 ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه ؟
 وفي قصة مجبوس ذكروا أنه تاب : (ما على المؤمنين من سبيل) .
 وإلى قتيبة : خذ عسكرك بتلاوة القرآن ، فإنه أمتع من حصونك . ١٥
 وفي كتابه إلى بعض عماله : إياك والملاهي حتى تستنظف خراجك .
 وفي كتاب إلى ابن أخيه : ماركب يهودي قبلك منبرا .
 وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مسلم : أنت أبو عيدة هذا القرن .

أبو مسلم

- وقع في كتاب سليمان بن كثير الخزامي : (لكل نيا مستقر وسوف تعلمون) . ٢٠
 وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة : قل طريق سهل تلقى فيه الحجارة
 إلا عاد وغرا ، والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة أبدا .

- وإلى ابن قحطبة : لا تنس نصيبك من الدنيا .
 وإليه : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .
 وإليه : ﴿ ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ .
 وإلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه : ﴿ وأما بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ .
 وكتب إليه قحطبة : إن بعض قواده خرج إلى عسكر بن ضبارة راغبا . فوقع ،
 في كتابه : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار
 جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ .
 وإلى عامله يبلخ : لا تؤخر عمل اليوم لغد .
 وإلى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
 وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴾ .

١٠

جعفر بن يحيى

- وقع في قصة مجبوس : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ .
 وفي مثله : العدل يُوبقه ، والتوبة تطلقه .
 وفي قصة متنصح : بعضُ الصدق قبيح .
 وفي رجل شكّا بعضُ عماله : قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ؛ فإما عدلت ؛
 وما اعتزلت .
 وفي قصة رجلٍ شكّا بعضُ خدمه : خذ بأذنه ورأسه فهو مالك .
 وإلى عامل فارس في رجل كذب إليه بالوصاة : كن له كأيّيه لو كان مكانك .
 وإلى عامل مصر في رجل من بطانته يوصيه : إنه رغب إلى شعبك فارغب
 في اصطناعه .

٢٠

- وفي قصة منظم من بعض عماله : إني ظلمتك دونه .
 وفي قصة مجبوس : الجنابة حبسته والتوبة تطلقه .
 وإلى قوم : عينُ الخليفة تكلوكم ونظره يعصمكم .

- وفي رقعة ضرورة استأذنه في الحج : من سافر إلى الله أنجح .
 وفي قصة رجل شكوا عزوبة : الصوم لك وجاء .
 وفي رقعة رجل سأل ولاية : لا أولى بعض الظالمين بعضا .
 وفي قصة رجل سأل أن يُقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه : غيبة يوسف
 صلى الله عليه وسلم كانت أطول .
 وفي قصة رجل تظلم من عماله : إنا لعمله حتى تنصفك .
 وفي قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته : يرحل عنكم .
 وفي قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دج الضرع يدرُّ لغيرك كما دز لك .
 وإلى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتابٌ عمه وكرهه : كثرة ملاحاة الأوداء ،
 رُبما أراقت الدماء .
 وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : لم نزرعك لنحصدك .
 وإلى بعض عماله : اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا .
 وإلى بعض ندمائه : لا تبعد من ضمك .
 ووقع إلى متصل من ذنب : حكم الفلنات خلاف حكم الإصرار .

الفضل بن سهل

١٥

- كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخى ، فما يبيت خليفة الله إلا على ذكرك .
 وإلى طاهر : لخير ما أتصفت .
 وإلى : لشر ما ستموت .
 وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يُحَلُّ ما عقدت .
 وفي قصة متظلم : كفى بالله للظلم ناصرا .
 وفي قصة نقب نيت المال : يُذرأ عنه الحد إن كان له فيه سهم .
 ووقع إلى حاجبه : تمهل وتمهل .

٢٠

وإلى صاحب الشرطة : تَرَفَّقْ مُتَوَفَّق .

وإلى رجل شكَا غلبة الدّين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسَنَشْفَعُهَا بِمَثَلِهَا ،
ليُرْغَبَ الْمُسْتَمْنَحُونَ .

وفي قصة منظم : طِبَّ نَفْساً فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمَظْلُوم .

وإلى رجل شكَا إليه الدّين : الدّين سوء يبيض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه . ٥
وفي قصة قوم قطعوا الطريق : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وفي أمرئ قاتل شهد عليه العدول فُشِّعَ فِيهِ : كُتِبَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ . ١٠
وفي قصة رجل شهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضْرَبُ دُونَ الْحَذِّ
وَيُشْهَرُ ضَرْبُهُ .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وَقَعَ فِي قِصَّةِ مَنْظَمٍ : يُنْتَظَرُ فِيهَا رَفَعٌ ، وَإِنَّ الْحَقَّ مَنِيْعٌ ، وَإِلَّا فَشَفَاءُ السَّقِيمِ
دَوَاءُ السَّقَمِ . ١٥

وفي قصة قوم تظلموا من واليهم : الْحَقُّ أَوْلَى بِنَا ، وَالْعَدْلُ بُغْيَتُنَا ، وَإِنْ
صَحَّ مَا ادَّعَيْتُمْ عَلَيْهِ صَرْفَنَاهُ وَعَاقَبْنَاهُ .

وفي قصة امرأة حُبِسَ زَوْجُهَا : الْحَقُّ يَحْبِسُهُ وَالْإِنْصَافُ يُطْلِقُهُ .

وفي رقعة رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق ، وفوق
الكفاية مع الاقتصاد . ٢٠

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَساً هـ وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ

فقال قوم لهم فهم ومعرفة . رأيت خيراً وللأحلام تعب
 زؤياك فسر غداً عند الأمير تجد . تعب ذاك وفي النوم التبشير
 فوقع في أسفل كتابه (أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين)
 وأطلق له ما التمس .

- ٥ ودخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأنشده :
- أغفيت عند الصبح نوم مسهد . في ساعة ما كنت قبل أنامها
 فرأيت أنك رُغنى بوليدة . رُغوبة حسن على قيامها
 ويصدر حلت إلى وبغلة . دهماء مشرق يصل لجامها
 فدعوت ربى أن يُثيبك جنة . عوضاً يُصيبك بردها وسلامها
 تلك المنابر يابن مروان الندى . أضحت وأنت خطيبها وإمامها
- ١٠ فقال له : أبشر في كل شيء أصبت إلا البغلة ، فإنى لا أملك إلا شهباً ،
 فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتها إلا شهباً ، إلا أنى غلظت .

طاهر بن الحسين

- وَقَعَ فِي كِتَابِ رَجُلٍ تَظَلَّمَ مِنْ أَصْحَابِ نَصْرِ بْنِ شَيْبٍ : طَلَبْتَ الْحَقَّ فِي
 ١٥ دَارِ الْبَاطِلِ .
- وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ طَلَبَ قِبَالَ بَعْضِ أَعْمَالِهِ : الْقِبَالَ مِفْتَاحَ الْفُسَادِ ، وَلَوْ كَانَتْ
 صِلَاحًا مَا كُنْتَ لَهَا مَوْضِعًا .
- وَالِى السَّنْدَى بْنُ شَاهِكٍ وَجَاءَهُ مِنْهُ كِتَابٌ يَسْتَعِظُ فِيهِ : عِشْ مَا لَمْ أَرَكَ .
- وَالِى خُزَيْمَةَ بْنُ خَازِمٍ : الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا ، وَالصَّنِيعَةُ بِاسْتِدَامَتِهَا وَالِى الْغَايَةَ
 ٢٠ مَا جَرَى الْجَوَادُ ، فَعُمِدَ السَّابِقُ وَدُمَ السَّاقِطُ .

وَالِى الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي وَاسْتَبَطَّاهُ فِي خَرَّاجِ نَاجِيَتِهِ :

وَلَيْسَ أَخُو الْحَاجَاتِ مَنْ بَاتَ نَائِمًا . وَلَكِنْ أَخُوهَا مَنْ يَبِيتُ عَلَى رَحْلِ

وفي رقعة متصح (سَنَظَرُ أَصَدَقَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) .

وفي قصة مجبوس : يُطَلَّقُ وَيَعْتَقُ .

وفي رقعة مستوصل : يُقَامُ أَوْدُهُ .

- وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد : أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم
أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع في كتابه : أرفع علم الحق
يتبعك أهله .

توقيعات المعجم

- وقع أردشير في أزمة عمت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملك ورعيته
محزونون . ثم أمر ففرق في الكور جميع ما في بيوت الأموال .
- ١٠ ووقع رجل إلى كسرى بن قباد رقعة يخبره فيها أن جماعة من بطانته قد
فسدت نياتهم وخبئت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان : فوقع في أسفل كتابه : إنما
أملك ظاهراً الأجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأخلص عن
الأعمال لا عن السرائر .
- ووقع كسرى في رقعة مدح : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحقاً ،
واللداعي إذا كان للإجابة أهلاً .
- ١٥ وكتب إليه متصح أن قوماً من بطانته اجتمعوا للمنادمة ، فعابوه وثلبوه ،
فوقع : لئن كانوا نطقوا بالسنة شتى لقد اجتمعت مساوئها على لسانك فجرحك
أرغب ، ولسانك أكذب .
- ورفع إليه جماعة من بطانته رقعة يشكون فيها سوء حالهم ، فوقع :
ما أنصفكم من إلى الشكينة أخرجكم . ثم فرق بينهم ما وسعهم وأغنام .
- ٢٠ ووقع أنوشروان إلى صاحب خراجه : ما استغزر الخراج بمثل العدل ،
ولا استغزر بمثل الجور .
- ووقع في قصة رجل أعظم منه : لا ينبغي للأكظم أن يظلم منه ومن عنده يلتبس

العدل ، ولا ييخل ومن عنده يُتوقع الجرد . ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين يدي الموبذ

ووقع في قصة محبوس : من ركبَ ما نُهيَ عنه حبل بينه وبين ما يشتهي
ودفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ، فعرف
كذبه ، فوقع : إن الله خفف ظهرك فتقلته ، وأحسن إليك فكفرته فتب إلى
الله يتب عليك .

ووقع في قصة رجل سعى إليه يبطل : باللسان أحفظ رأسك .
ووقع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظله وأخذ ماله : لاتصلح
العامة إلا ببعض الخيف على الخاصة : فإن كنت صادقاً أبحثك جميع ما يملكه .
١٠ فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته

فصول في المودة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرائي إلى محمد بن سهل :
أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد
عليت أنى استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تستدعه ، واعتمدت من الرغبة
فيك بما لم توله .

١٥ وفصل لأبي علي البصير : قد أكد الله بيننا من الود ما نأمن الدهر على حل
عقده ونقض مِراره ، وما يستوى منه ثقتنا بأنفسنا لك وثقتنا بما عندك .
وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأنا والثقة ، وبسط
اللسان بالاستزادة : وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التي
٢٠ تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجمعنا حبها ، والصناعة تولفنا
أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ في لقاء ، أو تخلف في مكاتبه ، موضوع بيننا ،
يوجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبُّ إِلَيْكَ ، سامي الطرف نحوك ، وذكرك
ملصقٌ بلساني ، وأسمك حُلُوٌّ على لهواتي ، وشخصك مائلٌ بين عيني ، وأنت أقرب
الناس من قلبي ، وآخِذُهم بمجامع هواي .

وفصل له : لنحن أحقُّ بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة ، إلا أنك أحقُّ
بالفضل الذي سبقت إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إني أهديت مودتي رغبة إليك ، ورضيت بالقبول
منك مشوبة ، فصرتَ بقبولها قاضيا لحق ، ومالكاً لرق ، وصرت بالترفع إلى
الهدية ، والتتظر للثوبة ، مرتهن اللسان بالجزاء ، واليدين بالوفاء .

وفصل له : إني صادفت منك جوهرَ نفسي ، فأنا غير محمود على الانقياد لك
بغير زمام ، لأن النفس يقودها بعضها بعضاً .

وقال أبو العتاهية :

وللقلبِ على القلبِ • دليل حين يلقاهُ

وللناس من الناسِ • مقاييسٌ وأشبهاء

وفصل له : لسانِي رطبٌ بذكرك ، و[مكانك من قلبي] معمورٌ بمحبتك ،

حضرت أو غبت ، سررت أو أقمت . كقول أخى أبي دلف :

لعمري لئن قررت بقربك أعينٌ • لقد سحنت بالبين منك عيونُ

فيسر أو قف ، وقف عليك مودتي • مكانك من قلبي عليك مَصون

وفصل لإبراهيم بن المهدي : كتابي إليك كساب مخبر وسائل ، فأما الإخبار

فمن تصرف الخطوب بما يوجب العذر عند صديق العزيز على في إبطائي بالتعذر له ،

وأما السؤال فمن إمساك هذا الأخ الودود المودود عن مثل ذلك وإن العذر

كاشف ما سلف ، مصلح لما استأنف .

فصول في الزيارة

- كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
- نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تُضاحك الشمس حسنا ، قد باتت السماء
تكلها ، فهي شرقة بمائها ، حالية بنوارها ، فبادر إلينا لنكون على سواء من
استمتاع بعضنا ببعض ؛ فكتب إليه :
- هذه صفة لو كانت في أقصى الأطراف لوجب انتجاعها ، وحث المطي في
ابتغائها ؛ فكيف في موضع أنت تسكنه ، وتجمع إلى أنيق منظره ، حُسن وجهك
وطيب شمائك ! وأنا الجواب !
- وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في المصير إليه
وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي ؛ فكتب :
- عندي من أنا عقده ، وحجبتنا عليك إعلامنا إياك .
- وفصل : إنه من ظمئ شوقه من رؤيتك ، استوجب الرى من زيارتك .
ثم كتب تحت هذا :
- سر إلينا تفديك نفسى من السوء . ء فقد طال عهدنا بالتلاق
واجعلن ذاك - إن رأيت - جوابي . فلقد خفت سطوة الإشتياق
- وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفرط الحزن من فراقك ،
وظلم الأيام بعدك ؛ وأقول كما قال بعض المحدثين :
- غضارة دنيا أظلم العيش بعدها . وعند غروب الشمس يُعرف فقدها
- وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت بك كأنها أعياد ، وقصرت كأنها
ساعات - يُفوت الصفاء ؛ وبما يجتذده ويكثر دواعيه ، تصاقب الديار ، وقرب
الجوار ، ثم الله لنا النعمة المجددة فيك ، بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة
معه ، ولا أنس بعدها .

وفصل : مثلنا أعزك الله في قرب تجاورنا وبعده تزاورنا ، ما قبل في
أهل القبور :

ثم جيرة الأحياء ، أما سراؤهم ه فدان ، وأما الملتقى فبعيد !
وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ، للاشغف بك ، والثقة بحسن
نيتك ؛ وسنأخذ بقول أبي قيس بن الأسلت :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزِيَّتُهَا ه وَتَعْتَلُ عَنْ إِيْتَانِهِنَّ فُتُعْذَرُ

وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى ، إن أيام العمر أقل من أن تحتمل
الهجر والسلام .

فصل : كتب أحمد بن يوسف : لا تجوز قطيعة الصديق : لأنها لا تخلو
من أحد وجهين إما ضعف في نفس الاختيار ، وإما ملل ؛ وكلاهما حجة فيه .
وفصل : طال العهد بالاجتماع حتى كدنا تناكر عند الالتقاء ؛ وقد
جعلك الله للسرور نظاما ، وللأنس تَمَامًا ، وجعل المشاهدة موحشة إذا
خلت منك .

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :
أوجب العذر في تراخى اللقاء ه ما توالى من هذه الأنواء
فسلام الإله أهديه منى ه كل يوم لسيد الوزراء
لست أدري ماذا أقول وأشكو ه من سماء تعوقني عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالشك ه بل وأدعو لهذه بالبقاء
وقال آخر :

أزور محمدًا فإذا التقينا ه تكلمت الضمائر في الصدور
فارجع لم ألمه ولم يلنى ه وقدرضى الضمير عن الضمير

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص :
 كتابي إليك خططته يميني ، وفرغت له ذهني ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني ،
 أتراني أقبل العذر فيها ، وأقصر في الشكر عليها ؟ وابن أبي الشيص قد عرفته
 ونسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدانا إلى غيرنا ، فاكف بهذا منا .
 ٥ وفصل : كتابي إليك كتاب مقني بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ،
 ولن يضع بين الثقة والعناية حامله .

وفصل : كتب العتابي فكاد أن يختل بالمعنى من شدة الاختصار ، فكتب :
 حامل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا والسلام .

١٠ وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكك إياه
 في أمره ، فإن الصنعة حرمة الصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنعه ، فبسط الله
 يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .
 وفصل له : موصل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا ، وتأمله بعين مشاهدتي
 وخلقتي ، فبلسانه أشكر ما أتيت إليه ، وأذم ما قصرت فيه .

فصول في عتاب

١٥ كتب أحمد بن يوسف :
 لولا حسن الظن بك - أعزك الله - لكان في إغضائك عني ما يقبضني عن
 الطلبة إليك ، ولكن أمسك برقي من الرجاء على برأيك في رعاية الحق ، وبسط
 يدك إلى الذي لو قبضتها عنه ، لم يكن له إلا كركمك مذكراً ، وسود ذلك شافعا
 ٢٠ فصل : أما بعد البرء من مريض دائره في دوائه ، وعلمته في حبيته ! أنا منك
 كالغاص بالماء لأمساغ له .

وكما قال الشاعر :

كنت من كُرْبتي أفرُّ إليهم ، وهم كُرْبتي ، فأين الفرار ؟

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين : عتبي تكون منك ، أو عقبى
تغنى عنك !

فصل : أما بعد ، فقد كنت لنا كلُّك ، فاجعل لنا بعضك ، ولا نرضى
إلا بالكل لك منا .

فصل : أنا أبقى على وُدِّك من عارض يغيِّره ، أو عتاب يقدح فيه ، وآمل
عائدا من حسن رأيك ، يغنى عن اقتضائك .

فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منعك من الفضل . لو أن كل من
نازع إلى الصرْم قلَّدناه عِنان الهجر ، لكُنَّا أولى بالذنب منه ولكن تَرُدُّ عليك
من نفسك ونأخذ لها منك .

فصل : لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين
أما بعد ، فقد عاقبى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك : ابتدأتنى بلطف
عن غير خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ؛ فأطمعنى أولك فى إخوانك ، وآيسنى
آخرك من وفائك ؛ فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك ؛
فأقمنا على اتلاف أو افترقنا على اختلاف !

فصل : إذا جعلت الظن شاهدا تعدل شهادته بعد أن جعلته حكما يحيف فى
حكومته ، فأين الموثل من جورك ؟ ولست أسلك طريقا من العتب عليك إلا شدة
ما أنطوى عليه من مودتك ، ولا سبيل إلى شكائك إلا إليك ، ولا استعانة إلا بك ،
وما أحق من جعلك على أمر عونا أن تكون له إلى النجاح سببا !

وقال الشاعر :

تجبتُ لقلبك كيف انقلب ، ومن طول وُدِّك ، أتى ذهبُ
وأعجبُ من ذا وذا أتى * أراك بعين الرضا فى الغضب !

وفصل : إن مسألتى إليك حوائجى مع عتبك على من اللوم وإن إمساكى عنها فى حال ضرورة إليها مع على بكرمك فى السخط والرضا ، لعجزى ؛ غير أنى أعلم أن أقرب الوسائل فى طلب رضاك ، مساءك ما سنع من الحاجة ؛ إذ كنت لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

٥ وفصل : لو كانت الشكوك تخنلجنى فى صحة مودتك وكريم إغاثك ودوام عهدك ، لطال عتبى عليك ، فى تواتر كنى وأحتباس جواباتها عنى ؛ ولكن الثقة بما تقدم عندى ، تعذر وكُنْ حَسَنَ ما يُقْبَحُه جفاؤك ، والله يديم نعمته لك ولنا بك .

١٠ وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتفريع اللطيف ؛ فلو لا ما غلب على من السرور بسلامتك ، لنقطعت غمّاً بعتابك ، الذى لطف حتى كاد يخنى عن أهل الرقة والفطنة ، وغلاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ؛ فلا أعدمى الله رضاك مجازياً به على ما استحقّه عتبك ، فأنت ظالم فيه ، فهو وليُّ المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : إعتاب الأخ خيرٌ من فقدّه .

١٥ وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ • ويبقى الودُّ ما بقى العتابُ

وقال آخر فى غير هذا المعنى :

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ • وتعتب فى كلِّ يومٍ عليّاً

طلبتُ رضاك ، فإنْ عزّنى • عددتُك مِيتاً وإن كنت حيّاً

٢٠ ولا تُعجَبَنَّ بما فى يدك • فأكثر منه الذى فى يدَيَّ !

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب ؛ فليكن إيقاعك بعد وعيدك ،

ووعيدك بعد وعدك .

وفصل : قد حميت جانب الأمل فىك ، وقطعت أسباب الرجاء منك وقد أسلنى

اليأس منك إلى العزاء عنك ؛ فإن ترغب من الآن فصصح لا تثريب معه ، وإن تماديت فهجر لا وصل بعده .

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لاَوْ عَظِيمٍ أُمِلِّيْ فِيكِ مَا أَتَيْتِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذَنْبًا عَظِيمًا
ولا متعمدا ، ولعل فلتة لم ألتى بالا ، فأوطئ لها اعتذارا ، وإلا تكن فنة
حاسد زخرفها على لسان واثٍ ، نبذها إليك في بعض غزائك ، أصابت مني مقتلا
وشفت منه غليلا .

وفصل : ليس يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فَعَلْتُ حَمَلَكَ الْأَعْدَاءُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقْطَعُنِي
عَنْ رَجَائِكَ عَتَبَ حَدَّثَ عَلَيَّ مِنْكَ ؛ بَلْ أَرْجُو أَنْ تَقَاضِيَ كَرَمَكَ إِنْجَازَ وَعْدِكَ ،
إِذَا كَانَ أَبْلَغَ الشِّفْعَاءِ إِلَيْكَ ، وَأَوْجِبَ الْوَسَائِلَ لَدَيْكَ ،

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازيني بالسوء
على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان ، بل جناه على لسان واثٍ ، فأما قولك : إنك
لا تُسهِّلُ سَبِيلَ الْعَذْرِ ؛ فَأَنْتِ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ وَأَرْعَى لِحَقُوقِهِ وَأَعْرِفُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ
لِذِمَامَاتِهِ مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤَمِّلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّ ، وَمَنْ عَذْرُكَ إِذَا جَعَلَ
فضلك شافعا فيه وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت
بالمذنب معذرتة .

وفصل : يا أخى ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام على ، وسوء أثر الدهر
عندى ، وأنى معلق فى حبال من لا يعرف موضعى ، ولا يحلو عنده موقعى ،
أطلب منه الخلاص فيزيدنى كلفا ، وأرتجى منه الحق فيزداد به ضنا ، فالثواء ثواء
مقيم ، والنية نية ظاعن والزَّماع زَماع مرتحل : ما أذهب إلى ناحية من الحيلة
إلا وجَدْتُ مِنْ دُونِهَا مَانِعًا مِنَ الْعَوَاقِقِ ؛ فَأَحِلُّ الذَّنْبَ عَلَى الدَّهْرِ وَأَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ
بِالشُّكْرِ ، وَأَسْأَلُهُ جَمِيلَ الْعَقْبَى وَحَسَنَ الصَّبْرِ .

فصول في حسن التواصل

للفُضْل أن يخص بفضله من شاء ، وله الحمد فيما أعطى ، ولا حجة عليه فيما منع : وكن كيف شئت ، فإني قد أوليتك خالصة سربرتي ، أرى ببقائك بقاء سروري ، وبدوام النعمة عندك دوامها عندي .

٥ وفصل : قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك والاستعانة عليك : لأن حسن الظن بالله فيك ، وتأميل نجح الرغبة إليك فوق الشفعاء عندك .

وفصل : قد أفردتك برجائي بعد الله ، وتعجلت راحة اليأس بمن يهود بالوعد ويضن بالإنجاز ، ويحب أن يفضل ويرهد في أن يُفْضَل ، ويعيب الكذب ولا يصدق .

١٠ وفصل : ضَعْنِي — أكرمك الله — من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك . أصاب الله بمعروفك مواضعه ، وبسط بكل خير يدك .

وفصل : لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب إليك ، فرة أتوقف توقف المخفف عنك من المثونة ، ومرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المِثَقَة ؛ لا أعدنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا أخلانا من الصنع لك ؛ فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعماً إلا في ظلك ؛ ولئن كانت الرغبة إلى بَشَرٍ من الناس خسارة وذلاً ، لقد جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزاً ؛ لأنك لا نعرف حُرّاً قعد به دهره ، إلا سَبَقَتْ مسألته بالعطية وصُنَّت وجهه عن الطلب والذلة .

٢٠ وفصل : لي عليك حق التأمل والشكر ، بما ابتدأت من المعروف ، ولك على حق الاصطناع والفضل ، والتنويه بالاسم والشكر ؛ وليس يمنعني عليك بزيادة حقك على ما أبلغه من شكرك ، من مساوماتك المزيد ؛ إذ كنت قد انتهيت إلى ما بلغه المجهود ، وخرجت من منزلة الإضاعة والتقصير ، وإذ كنت تسمع بالحق عليك ، وتطيب نفسك عن حتمك اليسير ، ولا تكذب أحداً شكرك على الكثير .

فصل : لك — أصلحك الله — عندى أبادٍ تشفع لى إلى محبتك ، ومعروف
يوجب عليك الرب والإتمام .

فصل : أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِرَاسَةُ تُعدُّنيه فيك .

فصل : قد أجلَّ اللهُ قدركَ عن الاعتذار ، وأغناكَ فى القول عن الاعتلال ،
وأوجب علينا أن نقنع بما فعلت . ، ونرضى بما أتيت ، وصَلت أو قطعت . ٥

فصول فى الشكر

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر
الخراسانى ، فكان فى فصل منه :

لولا لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ،
أو زيادة منتظرة له ، لكنى . ١٠

ثم قال محمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قرطان بينهما
وجهٌ حسن .

وفصل للحسن بن وهب : من شَكَركَ على درجة رفَعته إليها أو ثروة
أَقْدَرتهُ إليها ؛ فإن شكرى لك على مهجة أحبيتها ، وحُشاشة أبقيتها ، ورقى
أَمْسَكْتَ به وقَمَتَ بين التلَف وبينه ؛ فلكل نعمة من نعم الدنيا حد يُنتهى ١٥
إليه ، ومدى يُوقَفُ عنده ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف ، خلا
هذه النعمة التى قد فاقت الوصف ، وطالت الشكرَ وتجاوزت قدره . وأنت
من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنت الحسود ؛ فنحن
نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكنف كريم ؛ فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ
جهدُ المجتهد ؟ ٢٠

وقال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون :

رَدَدْتَ مالى ولم تَمْنُنْ عَلَيَّ به . وقبلَ ردِّكَ مالى قد حَقَّنْتَ دِمي
فأينَ مِنكَ وقد جَلَلَنى نَعَمًا . هى الحَيَاتَانِ من موتٍ ومن عُدُم

فلو بَدَلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ . وَالْمَالَ حَتَّى أُسَلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ . إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ
الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَلَى الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي . فِيمَا أَتَيْتُ فَلَمْ تَعْتَبْ وَلَمْ تَلَمْ
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي يَحْتَجُّ عِنْدَكَ لِي . مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

فصول في البلاغة

٥

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وصل كتابك ، فما رأيت
كتاباً أسهل فنوناً ، ولا أملس متوناً ، ولا أكثر عيوناً ، ولا أحسن مقاطع
ومطالع منه : أنجزت فيه عدة الرأي ، وبشرى الفراسة ، وعاد الظن يقيناً ، والأمل
مبلوغاً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فصل : الكلام كثيرة فنونه ، قليلة عيوبه ؛ فنه ما يُنَكَّهُ الأسماع ، ويُؤنس
القلوب ، ومنه ما يُحْمَلُ الأذان ثقلاً ، ويملا الأذهان وحشة .

١٠

فصول من المدح

كتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

إن جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا اتهموا إليك أقروا لك
ويتنافسون في المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ؛ فزادك الله وزادنا بك وفك
وجعلنا بمن يقبله رأيك ويُقدِّمه اختيارك ؛ ويقع من الأمور بموقع موافقتك ،
ويجري فيها على سبيل طاعتك .

١٥

وفصل له : إن من النعمة على المني عليك ، أن لا يخاف الإفراط ، ولا يأمن
التقصير ، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد
فضلك تجاوزها ، ومن سعادة جَدِّكَ أن الداعي لا يقدم كثرة المشايخين له
والمؤمنين معه .

٢٠

وفصل : إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عندك ، ويزيدني بصيرة في العلم
بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحققها ، واستوجبها بما فيك من أسبابها ؛ ومن

شأن الأجناس أن تتآلف وشأن الأشكال أن تتعارف ، وكل شيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحن إلى عنطره ، فإذا صادف منبته ونزل في مغربيه ، ضرب بمرقه ، وستمق بفرعه ، وتمسكن تمسكن الإقامة . وتفتك تفتك الطبيعة .

- وفصل : إني فيما أتعاطى من مدحك ، كالخبر عن ضوء النهار الزاهر ، والقمر الباهر ، الذي لا يخفى على كل ناظر ؛ وأيقنت أني حيث انتهى بي القول ، منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فأنصرفت من الشناء عليك إلى الدعاء لك ؛ ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

- وفصل لمحمد بن الجهم : إنك لزم من الوفاء طريقة محردة ، وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها ؛ فتنافس الإخوان فيك ، يتدرون ودك ، ويتمسكون بحبالك ؛ فن أثبت الله له عندك ودًا فقد وضعت خُلته موضع حُرزها .

- وفصل لابن مكرم : السيف العتيق إذا أصابه الصدا استغنى بالقليل من الجلاء ، حتى تعود جِدته ويظهر فرندُه ، للين طبيعته ، وكرم جودِه ؛ ولم أضف نفسي لك عجبًا ، بل شكرًا .

- وفصل له : زاد معروفك عندي عظمًا أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور كبير .

أخذه الشاعر فقال :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا • أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْرٌ حَقِيرٌ

تَنَاسَاهُ كَأَن لَّمْ تَأْتِهِ • وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

- وفصل للعتابي : أنت أيها الأمير وارث سلفك ، وبقية أعلام أهل بيتك ، المسدود به نلهم ، المجدد به شرفهم ، والمُعيا به أيام سعيهم . وإنه لم يخمل من كسب وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ، ولا آتحت أعلام من خلفته في رتبته .

فصول في الذم

كتب أحمد بن يوسف :

أما بعد ، فإنى لا أعرف للمعروف طريقا أو عَرَ من طريقه إليك ، فالمعروف
لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايَتُك في المعروف أن تحقره ،
وفى وليه أن تكفره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة :

أما بعد ، فإنى توسلت إليك في طلب نائك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ،
فراراً من الفقر ، ورجاءً للغنى ، فازددت بهما بُعداً بما فيك تقربتُ ، وقرباً
بما فيه تبعدت ، وقد قسمتُ اللائمة بينى وبينك ؛ لأنى أخطأتُ في سؤالك ،
وأخطأتُ في منعى ؛ أمرتُ باليأس من أهل البخل فسألتهم ، ونهيت عن منع
أهل الرغبة فنعتهم ؛ وفى ذلك أقول :

فررتُ من الفقر الذى هو مُذْرِكى • إلى بُخْلِ محظورِ النوالِ منوع
فأعقنى الحرمانَ غِبَّ مطامعى • كذلك من يلقاه غيرَ قنوع
وغيرُ بديعٍ منعُ ذى البخلِ ماله • كما بذلُ أهلِ الفضلِ غيرِ بديع
إذا أنتَ كشفتَ الرجالَ وجدهم • لإعراضهم من حافظٍ ومُضيع

وفصل لإبراهيم بن المهدي : أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن لتجنب
شَيْن القبيح ، ورأيتك آثرُ القولِ عندك ما يضرُك فكنت فيما كان منك ومنا ،
كما قال زهير بن أبي سلمى :

وذى خطَلٍ في القولِ يحسبُ أنه • مُصِيبٌ فما يُلِمُّ به فهوَ قاتله
عبأت له حِلْماً وأكرمتُ غيره • وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله

فصل : إن مودة الأشرار متصلة بالدلة والصغار ، تميل معهما وتصرف في
آثارهما ؛ وقد كنت أجلُّ مودتك بالحل النفيس ، وأنزلها بالمنزل الرفيع ، حتى
رأيت ذلك عند القلة ، وضرعتك عند الحاجة ، وتذيرك عند الاستغناء ، واطرأحك

لأخوان الصفاء ؛ فكان ذلك أقوى أسباب عذري في قطيعتك ، عند من يتصفح
أمرى وأمرى بعين عدل لا تميل إلى هوى ، ولا ترى القبيح حسنا .

فصل للعتابي : تأتينا إفاقتك من سكرتك ، وترقينا انتباهك من رقذتك ،
وصبرنا على تجويع الغيظ فيك ، حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف لنا الصبر
عن وجه الغلظ فيك ؛ فها أنا قد عرفتك حق معرفتك في تعذيبك لطورك ،
وأطراحك حق من غلظ في اختيارك .

فصول في الأدب

كتب سعيد بن حميد :

إن من أمارات الحزم صحة الرأي في الرجل : يترك التماس ما لا سبيل إليه ،
إذا كان ذلك داعية لغنى لا عزة له ، وشقاء لا درك فيه ؛ وقد سمعت في أمر
١٥ تخييرك أوائله عن أواخره ، ويُنذرك بدؤه عن عواقبه ، لو كان لهذا المخير
الصادق مستمع حازم . ورأيت رائد الهوى قد مال بك إلى هذا الأمر ميلا
أيأس من رغب فيك ، ودل عدوك على معاييك ، وكشف له عن مقاتلك ؛
ولولا علمي بأن غلظ الناصح يؤدي إلى نفع في اعتقاد صواب الرأي ، لكان غير
هذا القول أولى بك ، والله يوفقك لما يحب ، ويوفق لك ما تحب .

١٠ وفصل : أنت رجل لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ؛ فقدّم على
نفسك من قدّمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين ، كان أحرى أن يُخطئ
في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

٢٠ وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينام دون
الظفر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع لما تلم ، ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق
من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحال يرضى بها حز ، أو يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مَعْتَمٍ ، وأنا دافع مغرم ، فإن كنت شاكرًا لما مضى ، فاعذر فيما بقى .

وفصل للعتابي : أما بعدُ ، فإن قرييك من قرب منك خَيْرُهُ ، وابن عمك من عمك نفعه ، وعشيرك من أحسن عِشْرَتِكَ ، وأهدى الناس إلى مودتك مَنْ أهدى برّه إليك .

فصول إلى عليل

ليست حالي - أكرمك الله - في الاغتمام بعلتك حالَ المِشَارِكِ فيها بأن ينالني نصيب منها وأسلم من أكثرها ، بل اجتمع على منها أنى مخصوص بها دونك ، مؤلَم منها بما يؤلمك ؛ فأنا عليل بمصروف العناية إلى عليل كأنى سليم ؛ فأنا أسأل الله الذى جعل عافيتى فى عافيتك ، أن يخصنى بما فىك ، فإنها شاملة لى والى .

وفصل : إن الذى يعلم حاجتى إلى بقائك ، قادرٌ على المدافعة عن حوْبانك ؛ فلو قلتُ إن الحق قد سقط عني فى عيادتكَ لأنى عليل بعلتك ، لقام بذلك شاهد عدلٌ فى ضميرك ، وأثرٌ باقٍ فى حالى لنيتك ؛ وأصدق الجبر ما حققه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل .

وفصل : لئن تخلفتُ عن عيادتكَ بالعدر الواضح من العلة ، لمَا أغفل قلبى ذكرك ، ولا لسانى فحْصاً عن خبرك فحْص من تقسّم جوارحه وصَبُّك ، وزاد فى ألماها أَلَمُكَ ؛ ومن اتصل به أحوالك فى السراء والضراء ، ولما بلغتْني إقامتك كتبت مهتناً بالعافية ، مُعْفِياً من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله .

ولاحد بن يوسف : قد أذهب الله وصَبَّ العلة ونَصَبَهَا ، ووفر أجراً

وثوابها ، وجعل فيها من إرغام العدو بعقبها ، أضعاف ما كان عنده من السرور بقبح أولائها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

- ٥ يا أمير المؤمنين ، إن كل من عنت به فكرتك فإما هو إلا سعيد يوتر أوشق يوتر .

- كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة ، محمود النقية ، مؤفياً بما أخذ الله عليه ، مضطلماً بما حمله منه ، مؤدياً إلى الله حقّه ، مقراً له بنعمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلاً ؛ ولا ينطق إلا فصلاً عنباً لدينه وأمانته ؛ كافاً ليد ولسانه .

- وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حق الأولياء على السلطان : تنفيذ أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدم محسنهم ، ويؤخر مسيئهم ؛ ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم .
- ١٥ وفصل له : إن من أعظم الحق حق الدين ، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين ؛ تحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له حسب مراحاه الله ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

- وفصل له : إن الله أوجب لخلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ، ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة ، وإحياء السنن الصالحة ؛ فإذا أدى كل إلى كل حقّه ، كان ذلك سبباً تمام النعمة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة .

وفصل : ليس من نعمة يحددها الله لأمر المؤمنين في نفسه خاصة ، إلا اتصلت برعته عامة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عنهم فيها ، ووجب عليهم

شكره عليها : لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتيديره وذّبه عن دينه حفظ حريمهم ، وبجياطته حقن دماهم وأمن سيلهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مؤيدا بالنصر ، معززا بالتمكين ، موصول بالبقاء للبعيم المقيم .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معمود النية بطاعته ، منطوى القلب على مناصحتهم ، مشعوذ السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفر ، ودوخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا ، وبرأ وبحرا .

وفصل : أفعال الأمير عندنا معسولة كالآمانى ، متصلة كالأيام ؛ ونحن نواتر الشكر لكریم فعله ، ونواصل الدعاء له مواصلة بره ؛ إنه الناهض بكلنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ، لیس فی واحدة منهما عنر يوجب حجة ولا يزيل لائمة : إما تقصير في عملك دعاك للإخلال بالحزم والتفريط في الواجب ، وإما مظاهره لأهل الفساد ومداهمة لأهل الريب ؛ وأية هاتين كانت منك لمحلة التكر بك ، وموجة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإنذار ؛ وفي حسن ما أقلت من عظيم العثرة ، مايووجب اجتهداك في تلافى التقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدي :

أما بعد ، فإنه عزيز على أن أكذب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ؛ غير أنه بلغني عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكث المخلوع ، فإن كان كما بلغني فقليل ما كتبت به كثير لك ^(١) ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ؛ وقد كتبت في أشغل كتابي أبياتا فتدبرها :

(١) في بعض الأصول : « فكثير ... قليل » .

- رُكُوبُكَ الْهُولَ مَا لَمْ تَلَقَ فَرَصَتُهُ • جَهْلُ رَمَى بِكَ بِالْإِقْعَامِ تَغْيِيرُ
أَهْوَنَ بِدُنْيَا يَصِيبُ الْمُخْطِئُونَ بِهَا • حَظُّ الْمَصِيبِينَ ، وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
فَارَزَعَ صَوَابًا وَخَذَ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ • فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ مَصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ • فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ قَفَزْتَ بِهِ • قَالُوا جَهْلُ أَعَاتِهِ الْمَقَادِيرُ ١٥
- فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُتِمَّ النِّعَمِ بِرَحْمَتِهِ ، الْهَادِي
إِلَى شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ مِنَ
الْفَضَائِلِ مَا فَرَّقَهُ فِي الرُّسُلِ قَبْلَهُ ، وَجَعَلَ تَرَاتُّبَهُ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِخَلْقِهِ ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

فصول لعمر بن بحر الجاحظ

١٠

منها فصول في عتاب :

- أما بعد ، فَإِنَّ الْمَكَافَاةَ بِالْإِحْسَانِ فَرِيضَةٌ ، وَالتَّفَضُّلُ عَلَى غَيْرِ ذَوِي
الْإِحْسَانِ نَافِلَةٌ .
- أما بعد فليكن السكوت على لسانك إن كانت العافية من شأنك .
- أما بعد ، فلا تزهد فيما رَغِبَ إِلَيْكَ ، فَتَكُونَ لِحَظِّكَ مَعَانِدًا ، وَلِلنِّعْمَةِ جَاهِدًا ١٥
- أما بعد ، فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْهَوَى ضِدَانٌ ، فَتَقْرِينُ الْعَقْلِ التَّوْفِيقُ ، وَتَقْرِينُ الْهَوَى
الْحَذَلَانُ ، وَالنَّفْسُ طَالِبَةٌ ، فَبَأْيَهِمَا ظَفِرْتَ كَانَتْ فِي حَزْبِهِ .
- أما بعد ، فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ كَالْأَشْجَارِ ، وَالْحَرَكَاتُ كَالْأَغْصَانِ ، وَالْأَلْفَاظُ كَالثَّمَارِ .
- أما بعد ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ وَالْعُقُولُ مَعَادِنُ ، فَمَا فِي الْوَعَاءِ يَنْفَدُ إِذَا لَمْ
يَمُدَّهُ الْمَعْدِنُ . ٢٠
- أما بعد ، فَكُنْ بِالتَّجَارِبِ تَأْدِييًا ، وَبِتَغْلِبِ الْأَيَّامِ عِظَةً ، وَبِأَخْلَاقٍ مِنْ عَاشَرَتْ
مَعْرِقَةً ، وَبِذِكْرِكَ الْمَوْتِ زَاجِرًا .
- أما بعد ، فَإِنَّ احْتِمَالَ الصَّبْرِ عَلَى لَذَعِ الْغَضَبِ ، أَهْوَنُ مِنْ لُطْفَائِهِ بِالشَّتْمِ وَالْقَذَعِ .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أولوا الاستعداد للنواب ؛ وما عظمت
نعمة امرئٍ إلا استغرقت الدنيا همته ، ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الأيام
مطايا عمله والآخرة مقيلاً مُرْتَجِله .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والأجل ، والاستغناء غير
ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلم أمسك ، وقد يستجهل الحليم حتى يستخفه الهجر
أما بعد ، فإن أحبيت أن تتم لك المقة في قلوب إخوانك فاستقل كثيراً
بما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة ، من لطف حتى كف حرب عدوه
بالصفح والتجاوز ، واستبل حقه بالرفق والتعجب .

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه :

أما بعد ، فلو كففت عنا من غربك لكننا أهلاً لذلك منك ، والسلام .
فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبیح .

وله فصول في وصاة :

أما بعد ، فإن أحق من أسعفته في حاجته ، وأجبت إلى طلبته ، من توسل
إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

أما بعد ، فما أقبح الأحداث من مستمنح حرمة ، وطلب حاجة رددته ،
ومثار حجبته ، ومنبسط إليك قبضته ، ومقبل إليك بعنانه لويت عنه ، فتثبت
في ذلك ولا تطع كل حلافٍ مهين ، همار مشاء بنميم .

أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه وبلوغ موافقته من أياديك
عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن
رأيك ، ويكون مكافأةً لحقه علينا

أما بعد ، فقد أتانا كتابك في فلان ، وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته

ورعاية حقه ، ونحن من العناية بأمره على ما يكافئ حرمة ويؤدي شكره .

وله فصول في استنجاز وعد :

- أما بعد ، فقد رَسَمْنَا في قيود مواعيدك ، وطال مقامنا في سجون مَظْلُك ،
فأطلقنا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد غمّها بنعم منك ثمرة أو [لا] مريحة .
أما بعد ، فإن شجرَ مواعيدك قد أوردت ، فليكن ثمرها سالماً من جوائح المظل .
أما بعد ، فإن سحاب وعدك قد برقت ، فليكن وبلها سالماً من صواعق
المظل والاعتلال .

وله فصول في الاعتذار :

- أما بعد ، فنعم البديلُ من الزلة الاعتذار ، وبئس العوضُ من التوبة الإصرار .
أما بعد ، فإن أحق ما عطفّت عليه بحبك من لم يتشفّع إليك بغيرك .
أما بعد ، فإنه لا عوض من إغاثتك ، ولا خلف من حُسن رأيك ، وقد انتقمت
مني في زلتى بجفائلك ، فأطلق أسير تشوقى إلى لقائك .
أما بعد ، فإننى بمعرقى بمبلغ حبلك وغاية عفوك ، ضمنت لنفسى العفو من
زلتها عندك .
أما بعد ، فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك ، مكذب نفسه بما
يبدو للناس منه .
أما بعد ، فقد مسنى من الألم مالم يشفيه غيرُ مواسلتك ، مع حبسك الاعتذار
من هفوتك ؛ ولكن ذنبك تغفره مودّتك ، فامن علينا بصلتك ، تكن بدلا
من مساءتك ، وعوضا من هفوتك .
أما بعد ، فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع
لحنات الإخوان .
أما بعد ، فإن أولى الناس عندى بالصفح ، من أسلمه إلى ملكك التماس رضاك
من غير مقدرة منك عليه .
أما بعد ، فإن كنت ذممتنى على الإساءة ، فلم رضيت لنفسك المكافأة !

وله فصول التمازى :

أما بعد ، فإن الماضى قبلك الباقى لك ، والباقى بعدك المآجور فىك (ولمّا
يوى الصّابرون أجرهم بغير حساب) .

أما بعد ، فإن فى الله العزاء من كل هالك ، والخلف من كل مصاب ، وإنه
من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة . ٥

أما بعد ، فإن الصبر يعقبه الأجر ، والجزع يعقبه الهلع ؛ فتمسك بحظك من
الصبر ، تل به الذى تطلب ، وتذكر به الذى تأمل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظا ، ولذوى الألباب زاجرا ؛ فعليك بالتلاوة
تنجُ مما أوعد الله به أهل المعصية .

صدور إلى خليفة

١٠

وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلّده ، وأيده وأصلح به ، وعلى يديه .
أكرم الله أمير المؤمنين بالظفر ، وأيده بالنصر فى دوام نعمته ، وحاط
الرعية بطول مدته .

صدور إلى ولى عهد

منّ الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه فعل الجليل ،
وأنس بولايته المؤمنين . ١٥

مدّ الله للأمير النعمة ، وأسعد بطول عمره الأمة ، وجعله غياثا ورحمة .
أكمل الله له الكرامة ، وحاطه بالنعمة والسلامة ، ومنّ به الخاصة والعامة .
منع الله بسلامتك أهل الحرمه ، وجمع لك شمل الأمة ، واستعملك بالراقة والرحمة

صدور إلى والى شرطة

٢٠

أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيدك بالتثبيت ،
ووفّقك للصواب .

- أرشدك الله بالتوفيق ، وأنطقك بالصواب ، وجعلك عصمة للدين ، وحصناً للمسلمين
 أعانك الله على ما قلدك ، وحفظك لما استعملك بما يرضى من فعلك .
 سددك الله وأرشدك ، وأدام لك فضل ما عودك .
 رادك الله شرقاً في المنزلة ، وقدرأ في قلوب الأئمة ، وزلفة عند الخليفة .
 نصر الله بعدلك المظلوم ، وكشف بك كربة الملهوف ، وأعانك على أداء الحقوق .

صدور إلى قاض

- أهملك الله الحجة ، وأيدك بالتثبيت وردّ بك الحقوق .
 أهملك الله الاعتصام بحبله بالعلم ، والتثبيت في الحكم .
 أهملك الله الحكمة وفصل الخطاب ، وجعلك إماماً لذوى الألباب .
 زين الله بفضلك الزمان ، وأنطق بشكرك اللسان ، وبسط يدك في اصطناع المعروف .
 أدام الله لك الإفضال ، وحقق فيك الآمال .

صدور إلى عالم

- جعل الله لك العلم نوراً في الطاعة ، وسيباً إلى النجاة ، وزلفة عند الله .
 نفع الله بعلمك المستفيدين ، وقضى بك حوائج المتبحرّمين ، وأوضح بك سنن
 الدين ، وشرائع المسلمين .
 أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأمنك
 مكروه العواقب .

صدور إلى إخوان

- منع الله أبصارنا برؤيتك ، وقلوبنا بدوام أنفك ، ولا أخلانا من جميل
 عشرتك ، ووهب لك من كريم نفسك ، بحسب ما تنطوى عليه مودتك ، وأبهج
 الله إخوانك بقربك وجمع ألفتهم بالأنس بك ، وصرف الله عن ألفتنا عواقب
 القدر ، وأعاد صفوة إخواننا من العكدر ، وجعلنا بمن أنعم الله عليه فشكر .

- مَنْ الله علينا بطول مدتك ، وآنس أيامنا بمواصلتك ، وهنأنا النعمة بسلامتك .
 قُرب الله منا ما كنا نأمل منك ، وجمع شمل السرور بك .
 نَزَّهَ الله بقربك القلوب ، وبرؤيتك الأبصار ، ومحدثك الأسماع .
 أقبل الله بك على أودائك . ولا ابتلاهم بطول جفائك .
 أزال الله حَرَدَنَا من قُتُورِكَ عَنَا ، ورَغَبْنَا عَنْكَ من تَقْصِيرِكَ في أُمُورِنَا .
 حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقدَه ، وردَّ إلينا ما كنا نألفُه ونعْهده .
 رحم الله فاقة الحنين إليك ، وما بي من تباريح الحزن عليك ، وجعل حرمتنا
 منك الشفيع لديك .
 يَسِّرَ الله لنا من صفحك ما يسع تقصيرنا ، ومن حلك ما يردُّ سخطك عَنَا .
 زين الله أَلْفَتَنَا بمعاودة صِلَتِكَ ، واجتماعنا بزيارتك .
 أعاد الله علينا من إخائك وجيل رأيك ما يكون معهوداً منك بالوفاء لك .

صدور في عتاب

- أنصف الله شوقنا إليك من جفائك لنا ، وأخذ لبراً بك من تقصيرك عَنَا .
 وكتب^(١) معاوية إلى عمرو بن العاص وبلغه عنه أمر : وفقك الله لرشدك ؛
 بلغني كلامك ، فإذا أوله بَطَرٌ ، وآخره خَوَرٌ ؛ ومن أبطره الغنى أذله الفقر ، وهما
 ضدان مخادعان للبر من عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء ، والسلام .
 فأجابه : طاولتك النعم وطاولت بك ؛ علو إنصافك يؤمن سطوة جورك ؛
 ذكرتَ أني نطقت بما تكره وأنا مخدوع ، وقد علمت أني ملت إلى محبتك ولم
 أخدع ، ومثلك شُكْرُ مَنْعِي مُعْتَذِرٌ ، وعفا زلة مُعْتَرِفٌ .

تم الجزء الرابع من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، وبليغ إن شاء الله الجزء الخامس
 وأوله : كتاب المسجدة الثانية في الحقائق وتواريخهم وأيامهم

(١) يلاحظ أن هذا وما بعده ليس من فصول الجاحظ .

صفحة	صفحة
٥٨ قولم في الدين . قولم في النواذر والملح .	١ كتاب المسجدة في كلام الأعراب
٦٤ قولم في التلصص . قولم في الطعام .	خالد بن صفوان وأعرابي .
٦٩ أخبار أبي مهدية الأعرابي .	٣ قول الأعراب في الدعاء . لعمر بن عبد العزيز :
٧٠ خبر أبي الزهراء ٧٥ لبعض الأعراب .	٤ لأعرابي في الطواف ٥ لأعرابي بعرفات
٧٦ الرشيد والأصمعي .	٦ لأعرابي بنى . لآخر في فلاة .
٨ كتاب المجنبة في الأجوبة	٨ لأعرابية تودع ابنها . لأعرابي مات ابنه .
٧٨ جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه .	قولم في الرقاق .
٨٠ جواب ابن عباس لمعاوية وأصحابه .	٩ لأعرابي في حزنه على ولده . لآخر في ذهاب
٨١ ابن أبي مليكة في ابن عباس .	شبابه . لآخر في تحول جسمه . لآخر في الكبر
٨٣ ابن عباس وابن العاص .	١٠ لأعرابي في القطيعة . لآخرين في تغير الديار .
٨٥ مجاورة بني هاشم وبني عبد شمس لابن الزبير	١١ لأعرابية ترى ابنها . لأعرابي في وصف بلد .
٨٩ ابن الزبير ومعاوية .	قولم في الاشتطعام . ممن بن زائدة وأعرابي .
٩٠ مجاورة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه .	١٢ المهندي وأعرابية في الطواف . بين عتبة بن أبي
٩٢ مجاورة بين معاوية وأصحابه .	سفيان وأعرابي .
٩٣ مجاورة بين بني أمية . ٩٥ الجواب القاطع .	١٣ أعرابي أغير على إبله . بين خالد القسري وأعرابي .
٩٧ مجاورة الأمراء والرد عليهم . معاوية وابن قدامة	١٤ ابن طوق وأعرابي .
٩٨ معاوية والاحنف . معاوية وعدي . الاحنف	١٥ أعرابي في حلقة يونس
وشامي لعن عليا .	١٦ لأعرابية مع عبد الرحمن بن أبي بكر . شعر
٩٩ معاوية وعقيل في أمر على .	لبعض الأعراب .
١٠٠ معاوية وابن الخطل . معاوية وخريم الناعم .	١٧ الأصمعي يروي بعض أخبار الأعراب .
عبد الملك وعطاء . المضحك	١٨ هشام وأعرابي .
١٠١ عبد الملك بن مروان وابن ظبيان . هشام بن	١٩ المأمون وأعرابي . أعرابي في مجاعة .
عبد الملك وزيد بن علي	٢٠ قولم في المواعظ والزهد . هشام وأعرابي .
١٠٢ عمر بن الخطاب وأبو مريم .	لأعرابي بعض أخاه . ٢٢ لابن عباس .
١٠٣ معاوية والآنصار .	٢٣ أخبار متفرقة الأعراب . ٣٠ قولم في المدح .
١٠٤ عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير . الرشيد	٣٥ قولم في الذم . قولم في الغزل .
وابن مزير . المأمون وابن أكرم	٣٦ قولم في الخيل . ٤٧ قولم في القيث .
١٠٥ عتبة بن عبد الرحمن وخالد القسري .	٤٩ قولم في البلاغة والإيجاز .
١٠٦ عمر بن الخطاب وابن العاص .	٥٠ قولم في حسن التوقيع وحسن التشبيه .
١٠٧ ابن الجارود وابن العاص .	٥٢ قولم في المناكح . ٥٧ قولم في الإعراب .

- ١٠٨ جواب في هزل . المغيرة وأعرابي يؤاكله . ابن عتبة وإبراهيم بن عبد الله في حضرة هشام .
- ١٠٩ مسلمة بن عبد الملك وموسوس . النخعي والأعشى . ابن أسماء في سجن الكوفة .
- ١١٠ هشام بن القاسم والفرزدق .
- ١١١ خالد بن صفوان والفرزدق . معن بن زائدة وابن عباس المتوفى .
- ١١٢ حسان وعائشة . الحجاج وابن ظبيان .
- ١١٣ خالد بن يزيد والحجاج . وهب بن منبه . ولهي . يزيد بن منصور وابن مزيد . الفرزدق وعبد الجبار والمجاشعي .
- ١١٤ ابن صفوان وابن جعفر . معاوية وابن عامر جواب في نحر . الأبرش وخالد بن صفوان .
- ١١٥ هشام وقوم من اليمن . الحجاج وعبد الملك . عبد الرحمن بن خالد ومعاوية الزبير وعثمان بن عفان
- ١١٦ أحمد بن يوسف وابن الفضل . زياد ومعاوية قریش وقيس . عتبة وأعرابي .
- ١١٧ فيروز ورميلة . بن مسمع وشقيق . قتبية بن مسلم وهيرة .
- ١١٨ أجوبة لابن أبي دواد جواب في تفحش .
- ١١٩ موسى بن مصعب وامرأة مدنية يونس النحوي ورجل من الأزدي . بين أعرابيين
- ١٢٠ للفرزدق . بين جرير والفرزدق .
- ١٢١ الفرزدق ومسجد الأحامرة . بين الجاهل والضعيف
- كتاب الواسطة في الخطب
- لابن عبد ربه . عبد الملك وابن سلة .
- ١٢٣ لمعاوية في زياد . لأبي دواد . بشر بن المعتمر وابن جبلة .
- ١٢٤ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
- ١٢٦ خطب أبي بكر .
- ١٢٩ خطب عمر بن الخطاب .
- ١٢٣ خطبة عثمان بن عفان . خطب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- ١٢٤ خطب معاوية .
- ١٢٨ عبيد الله بن زياد عند معاوية .
- ١٥٣ يزيد بن معاوية بعد موت أبيه .
- ١٥٤ خطبة لعبد الملك بن مروان . خطبة للوليد بن عبد الملك .
- ١٥٥ خطبة لسليمان بن عبد الملك ومعن . خطب عمر بن العزيز .
- ١٥٦ خطبة لعبد الله بن الأعمش بين يدي عمر بن عبد العزيز
- ١٥٩ خطبة ليزيد بن الوليد .
- ١٦٠ خطبة للسفاح بالشام . ومن خطب المنصور .
- ١٦٢ خطبة لسليمان بن علي . خطبة لعبد الملك بن صالح
- ١٦٣ خطب لصالح بن علي . ومن خطب داود بن علي .
- ١٦٤ خطبة المهدي . ١٦٥ خطبة هارون الرشيد من خطب المأمون
- ١٦٧ من خطب عبد الله بن الزبير
- ١٧٠ الخطبة لإبراهيم بن زياد ١٧٥ خطب الجامع المحاربي من خطب الحجاج
- ١٧٦ خطب لطاهر بن الحسين . خطبة عبد الله بن طاهر . خطبة قتبية بن مسلم .
- ١٨١ خطبة ليزيد بن المهلب . خطبة قس بن ساعدة الإيادي
- ١٨٧ خطبة عائشة رضي الله عنها يوم الجمل
- ١٨٨ خطبة لعبد الله بن مسعود . خطبة لعنبة بن مروان من خطب عمرو بن سعيد الأشدق
- ١٨٩ خطب للأخنف بن قيس . خطبة ليوسف بن عمر . خطبة لشداد بن أوس الطائي .
- خطبة لخالد بن عبد الله القسري
- ١٩٢ خطبة لمصعب بن الزبير . خطبة للنعمان بن بشير
- ١٩٣ خطبة لثيب بن شيبه . من خطب لعنبة بن أبي سفيان

٢٥٨ توقيع عبد الملك بن مروان . توقيع الولد وسليمان بن عبد الملك	١٩٧ من خطب الخوارج . خطبة لقطري بن الفضالة في ذم الدنيا
٢٥٩ توقيعات عمر بن عبد العزيز	١٩٩ من خطب ابن أبي حمزة
٢٦٠ توقيعات يزيد بن عبد الملك . توقيعات هشام بن عبد الملك	٢٠٢ من أرتج عليه في خطبه
٢٦٠ توقيعات مروان بن محمد .	٢٠٤ خطب النكاح ٢٠٦ خطب الأعراب
٢٦٢ . السفاح . توقيعات المنصور .	٢٠٧ خطبة لعل كرم الله وجهه
٢٦٤ . المهدي . توقيعات موسى الهادي .	٢١٠ كتاب المجنبه الثانية
٢٦٥ . هارون الرشيد . ٢٦٦ المأمون .	لابن عبد ربه . لثني صلى الله عليه وسلم
٢٦٧ . الأعراء والكبراء . توقيعات زياد .	٢١١ أزل من وضع الكتابة
٢٦٩ . الحجاج بن يوسف . توقيعات أبو مسلم	٢١٢ الكتابة في الإسلام
٢٧٠ توقيعات جعفر بن يحيى .	٢١٣ افتتاح الكتب . ختم الكتاب وعنوانه
٢٧١ . الفضل بن سهل . ٢٧٢ الحسن بن سهل	٢١٤ تأريخ الكتاب تفسير : الأئمة
٢٧٢ . طاهر بن الحسين . ٢٧٤ المعجم .	٢١٥ شرف الكتاب وفضلهم . كتاب النبي ﷺ
٢١٥ فصول في المودة .	٢١٧ كتاب أبي بكر رضي الله عنه
٢٧٧ . في الزيادة .	٢١٨ كتاب عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .
٢٧٩ . في وصاة . فصول في عتاب .	كتاب في أمة
٢٨٢ . في التنصل .	٢١٩ كتاب بني العباس ٢٢١ من كتب لغير الخلفاء
٢٨٣ . في حسن التواصل .	٢٢٢ أشراف الكتاب
٢٨٤ . في الشكر .	٢٢٤ من نيل بالكتابة وكان قبل عاملا . من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها
٢٨٥ . في البلاغة . فصول من المدح .	٢٢٥ صفة الكتاب
٢٨٧ . في الذم . ٢٨٨ في الأدب	٢٢٦ ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه
٢٨٩ . إلى عليل .	٢٢٩ خبر حائل الكلام
٢٩٠ . إلى خليفة وأمير .	٢٣٢ فضائل الكتابة . ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز
٢٩٢ . لعمر بن بحر الجاحظ .	٢٤١ البلاغة . تعريف العلماء للبلاغة
٢٩٥ صدور إلى خليفة . صدور إلى ولي عهد صدور إلى والي شرطة .	٢٤٢ تضمين الأسرار في الكتب
٢٩٦ صدور إلى قاض . صدور إلى عالم .	٢٤٣ قولم في الأفلام ٢٥١ قولم في الجد
صدور إلى إخوان .	٢٥٢ قولم في الصحف
٢٩٧ صدور في عتاب .	٢٥٦ توقيعات الخلفاء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
	٢٥٧ توقيع معاوية رضي الله عنه . توقيع يزيد ابنه